

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان غفر بن بحر الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

بتحقيق وترتيب
جدة اليتيم محمد طه

الكتاب الأول

الجزء الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى
نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بصرة
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء.

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تنبيه :

كل تسكلة موضوعة بين معقفين في هذا
الجزء خاصة ، وتروكة بدون تعليق
وتنبيهه ، فهي من النسخة الشنقراطية
الرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في جُملة الذرة والتملة ،
كما شرطنا به آخر المصحف^(١) الثالث . ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلّي العظيم^(٢) .

(خصائص التملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب ، والدفع عن
الحريم . ولكننا إذا أردنا موضع العجب والتعجب ، والتنبيه على
التدبير ، ذكرنا الحسب القليل ، والسَّخيف المِهين ؛ فأريناك ما عنده من
الحسِّ اللطيف والتقدير الغريب ؛ ومن النظر في العواقب ، ومشاكله
الإنسان ومزاحمته .

والإنسان هو الذي سُخِّر له هذا الفلك بما يشتمل عليه .
وقد علمنا أن الذرة تدخرُ للشتاء في الصيف ، وتقدمُ في حال المَهلة ،
ولا تُضيع أوقات إمكان الحزم . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقدها وحسن خبرها ،
والنظر في عواقب أمرها ، أنها تخافُ على الحبوب التي ادخرتها للشتاء

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية
أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أَنْ تَعْفَنَ وَتُسْوَسَ^(١) ، وَيَقْبَلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرجُها إلى ظهرها ؛ لتُيسِّسها وتُعِيدَ إليها جَفَوفَها^(٢) ، وليضربها الذِّسِيمُ وَيَنْفِيَ عنها اللَّحْنَ والفساد .

ثُمَّ رَبَّما كان - بل يكون^(٣) أَكْثَرَ مَكانُها نَدِيًّا . و [إن^(٤)] خافَتْ أَنْ تَنْبِتَ نَقَرَتْ مَوْضِعَ القِطْمِيرِ^(٥) من وسط الحَبَّةِ ، وتعلم أَنَّها من ذلك المَوْضِعِ تَبْتَدِئُ وتَنْبِتُ وتَنْقَلِبُ ، فهي تَفْلُقُ الحبَّ كُلَّهُ أَنْصَافًا . فَأَمَّا إِذَا كان الحب من حَبِّ الكَزْبُرَةِ^(٦) ، فَلَقَّتْهُ أَرْباعًا ؛ لِأَنَّ أَنْصَافَ حَبِّ الكَزْبُرَةِ يَنْبِتُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الحُبُوبِ . فهي على هذا الوجه مجاوزةٌ لِفِطْنَةِ جَمِيعِ الحَيَوانِ ، حَتَّى رَبَّما كَانَتْ في ذلك أَحْزَمَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ . وَلِها مع لُطَافَةِ شَخْصِها وَخِفَّةَ وَزْنِها ، في الشَّمِّ والاستِرواح^(٧) ما ليس لشيء .

وَرَبَّما أَكَلَ الإنسانُ الجِرادَ أو بعضَ ما يشبه الجِرادَ ، فَتَسْقُطُ^(٨) من يَدِهِ الواحِدَةُ أو صَدْرُ الواحِدَةِ ، وليس يرى بِقُرْبِهِ ذَرَّةً ولا له بِالذَّرِّ عَهْدٌ

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « لَيْسَها وَيَعِيدُ إليها جَفَوفَها » .

(٣) س : « لَيكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القِطْمِيرُ : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أَنْ يَنْبِت بِقُرْبِ » وَأَثْبَتَ ما في س .

(٦) الكَزْبُرَةُ والكَسْبِرَةُ ، بضم الكاف والباء في كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأباذير معروف .

(٧) الاستِرواح : القشيم .

(٨) س : « فَيَسْقُطُ » .

فى ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة ،
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملها .

فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،
والجراحة على محاولة نقل شيء فى وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مراراً غيرهما . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن التى حاولت نقل الجرادة فعجزت ،
هى التى أخبرت صويحباتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتهن ؟ قلنا :
ليطول التجربة ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثل ذلك ، وإن كنا لا نفصل
فى العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع فى القلب غير الذى قلنا .
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

ذَرَّةٌ ، إِلَّا واقَفَتْهَا ساعة وخَبَّرَتْهَا بشيءٍ . فدلَّ ذلك على أنها في رجوعِها عن الجُرادة ، إنَّما كانت لأشباهِها كالرائدِ لا يكذبُ أهلهُ ^(١) .

ومن العَجَب أنَّكَ تُنَكِّرُ أنها توحى إلى أختِها بشيءٍ ، والقرآنُ قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافاً . وقال رُوْبَةُ بن العجاج ^(٢) :

لو كُنْتُ عَلَّمْتُ كَلَامَ الْحَكْلِ ^(٣) عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا ﴾ ^(٤) أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ
يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ^(٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلاء والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ١٥ . وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأق أيضاً فى ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الديميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبله :

تسألنى من السَّيِّئِينَ كمْ لى فقلتُ : لو عُمرتُ عُمرَ الحِسلِ

وقد أتاه زمن الفِطْحَلِ والصَّخْرُ مبتلُّ كطينِ الوحلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحِكلِ كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

والحِكل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت ، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستأق صحيحة فى ص ١٥ ، ٢٠ . وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلا من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان وَأَثْبَتَتْ عَيْنَهُ ^(١) ، وَأَنَّ عِلْمَ مَنْطِقِهَا عِنْدَهُ ، وَأَنَّهَا أَمَرَتْ صُوبِجَاتِهَا ^(٢) بِمَا هُوَ أَحْزَمُ وَأَسْلَمُ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجُنُودَ مِنْ غَيْرِ الْجُنُودِ ، وَقَدْ قَالَتْ : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣﴾ . وَنَحَاكَ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ تَبَسُّمَهُ بِجَاهِنَ ^(٣) ، أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ [الوقتِ وَبَعْدَهُ ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَا تَدْبِيرًا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ . وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَدَّعِيَهُ . وَلَكِنْ ، مَا تَنْكَرُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا بَيَانًا ، وَقَوْلًا ، وَمَنْطِقًا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بِسَبِيلِهَا ؟ ! فَلَغَلَهَا مَكْلَفَةٌ ، وَمَأْمُورَةٌ مِنْهِيَّةٌ ، وَمُطِيعَةٌ عَاصِيَةٌ . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ ^(٤) مَسَائِلِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ مِنْ هَذَا الْمَسْكَانِ لَنَاقِصٌ ٤ الرُّوْيَةُ ^(٥) رَدَى الْفِكْرَةَ ^(٦) . وَقَدْ عَلِمْنَا ، وَهُمْ نَاسٌ وَلَهُمْ [بِذَلِكَ] فَضِيلَةٌ فِي الْغَرِيزَةِ وَفِي الْجَنْسِ وَالطَّبِيعَةِ . وَهُمْ نَاسٌ إِلَى أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى وَقْتِ الْبُلُوغِ وَنَزُولِ الْفَرَضِ ^(٧) حَتَّى لَوْ وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشَرِبَتْ مِنْ أَعْلَاهُ .

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « فأثبت » .

(٢) س : « صواباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ : « تشبه بجاهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت ما فى س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الفرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب^(١) :

أَبَ هَذَا اللَّيْلُ فَاکْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاْمْتَنَعَا^(٢)
فِي قِيَابٍ وَسُطَ دَسْكَرَةٌ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا^(٣)
[وَلَهَا بِالْمَاطُرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خَرْفَةً ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقٍ يَبَعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقري الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمعجم واللسان . ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا الم » ورواية ياقوت : « أب هذا الم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وفتح النون ، ويروى بكسرهما . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعاً : أى الذى جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجتنى . ورواية العباب والمقاييس والمختص (١١ : ٩) : « خلفه » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الشر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراة مصر . وارتبعت : دخلت في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لسكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقريه من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التَّنُّومَ وَالسَّلْعَا (١)
ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آكُلُهُ وَأُرَاهُ مَا كَلَّا فَظْعَا (٢)

وقال أبو النجيم في مثل ذلك (٣) :

وكانَ نُشَابَ الرِّيحِ سُنْبُلَةً (٤) واخْضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرْمَلُهُ (٥)
وايْضُ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدْوَلُهُ (٦) وَأَصْبَحَ الرُّوضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (٧)
واصْفَرَّ مِنْ تَلْعٍ فَلْيَجْ بِقَلِّهِ (٨) وَاخْتَّ مِنْ حَرْشَاءٍ فَلَجَّ خَرْدَلُهُ (٩)

(١) التَّنُّوم ، بفتح التاء وتشديد النون المفصومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبهما بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتق حبالا خضرا لا ورق لها ، وقصبانه تلتف على الغصون وتتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أبيض اسود ، فتأكله القروود .
(٢) الفظع ، ككتف : الفظيح .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز في جهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرملة ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لمسايق من الماء فيها . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي . والفليج ، بالجيم : غنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فلح » ، صوابه في س واللسان (حرش ، قطار) . والفليج :

النهر الصغير . والخرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهي في الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشَقَّ عن فصيح سواء عنطله^(١) وانتفض البروقُ سوداً فلقله^(٢)
واختلفَ التَّمْلُ قطاراً ينقله^(٣) طارَ عَنِ الْمُهْرِ نَسِيلٌ يُنْسِلُهُ^(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك في الدَّرَّة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب^(٥) ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجحر^(٦) بما فيه من الذرِّ والحبِّ
والمازِن . والمازِن هو البيض ، وبه سمَّوا مازن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنطله » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفلذ : البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حَب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، ه : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ه : « فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ه : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النَسِيل ، بفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جواباً لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ه : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما تجمع من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزَّبَال ما حملت النملةُ فيها ، وهو قولُ
ابنِ مُقبل :

كريمِ النَّجارِ حمى ظهره فلم يُرتزأ برُكوب زبالا^(٢)

(شعر في التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم^(٣) .

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضَّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)
وقال الأصمعيُّ في تسليطِ اللَّهِ الذَّرَّ على بعضِ الأُمم :

لحقوا بالزَّهْوَيْنِ فَأَمَسُوا لَا تَرَى عُقْرَ دَارِهِم بِالْمَبِينِ^(٥)
سَلَّطَ اللَّهُ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ بَدَارٍ شَطُونِ^(٦)

- (١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .
(٢) البيت في صفة فعل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره :
أى منع ظهره من الركوب . ويرتزا ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفي ط ، ه :
« يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل)
والخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى
المرجعين السابقين .
(٣) فى ط ، ه : « لحيم » . وفى س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه
يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .
(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف
فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ،
ذلك الحيوان .
(٥) لعل « الزهوين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهوين »
وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، ه .
(٦) يقال عققان ، كتمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل :
« عقيقان » بقاءين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :
سَلَّطَ الذَّرَّ ، فَازِرًا أَوْ عُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ لِدَارٍ شَطُونِ
ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه فى س ، ه .

٥ يَتَّبِعُ الْقَارَّ وَالْمَسَافِرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهَدْيِ بِذَاتِ الْغَصُونِ^(١)
 فازر ، وعَقِيفَان^(٢) : صِنْفَانِ مِنَ الذَّرِّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل
 [بن حنظلة] الناسب^(٣) . ويقال : إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَسَكُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
 قال : [وكان آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ ، ^(٤)] هِشَامُ
 ابْنِ الْمَغِيرَةِ .

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

تُرْعَ الذُّكْرُ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّدْمِيرَا^(٥)
 أَرْسَلَ الذَّرَّ وَالْجَرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَنِينًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورَا^(٦)
 ذَكَرُ الذَّرَّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنْ الْجَرَادَ كَانَ تُبُورَا^(٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :
 « الفار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، هـ : « التدى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .
 فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتنا اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، هـ .
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
 في الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

ويفرعون إذ تشاق له المسا . فهلا لله كان شكورا

قال إني أنا المجير على الناس ولا رب لي على مجيرا

فحاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهى القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س :
 « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو
 يخلل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، هـ والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(غملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بـ وادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف نُشِكِرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النملُ ربّما أجلت أمةً من الأمم عن بلادهم .

ولقد سألتُ أهل كسكر^(٤) فقلت : شعيرُكم عَجَبٌ ، وأرزُكم عَجَبٌ ، وسمكم^(٥) عجب ، وجدّواؤكم عجب ، وبطّكم عجب ، ودجّاجُكم عجب ، فلو كانت لكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرة النمل لا تصلح فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجحرة^(٦) مساكن . والعربُ تسميها كذلك . ثم قال : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعت من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من تمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ :

« سمنكم » وفى س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم »

وقد سبق تفسيرها فى حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجمع مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل :

« الجحرة » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنْ قَائِدِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا
مَعْذُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ . فَلَذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَتَبَسَّمْ
صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ (١)] غُورِهَا وَتَسْدِيدِهَا ،
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « أَلُطِفَ (٢) مِنْ ذَرَّةٍ » و : « أَضْبَطَ مِنْ نَمْلَةٍ (٣) » .
قال : والنَّمْلَةُ أيضاً : قَرَحَةٌ تَعْرُضُ لِلسَّاقِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ فِي جَزِيرَةِ
العرب (٤) .

قال : ويقال : « أُنْشِبُ مِنْ ذَرَّةٍ (٥) » .

(قول في بيت من الشعر)

فَأَمَّا قَوْلُهُ (٦) :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لِأُنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ (٧)

-
- (١) الزيادة من س ، هـ .
(٢) أَلُطِفَ ، من اللطافة ، وهى الدقة . س : « ألُفَ » من الإلخاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
(٣) أَضْبَطَ ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) .
(٤) فسرهما صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالثملة » .
(٥) في الأصل : « أنسب » .
(٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
(٧) أُنْدَبَتْهَا : أثرت فيها . والكَلُوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلَىٰ مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِر :

تَلَقَّطَ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَى أُمَسَّتْ بِالْحَبِيبَيْنِ بَلْقَعَا^(٢)
قَالَ : وَحَوْلَى الْحَصَى : صَغَارَهَا . فَشَبَّهَهُ بِالْحَوْلَى مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .

(أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْبَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنَ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ ٦
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالْهُدُودُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيْقٍ
نَمْلًا ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالجبيين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ الْكُوفِيُّ ، اختلف في اسمه ،
فَقِيلَ هَرَمٌ ، وَقِيلَ عَمْرُو ، وَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ جَرِيرٌ . من الرواة
النفقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبيُّ من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فقام إلى نملٍ كثير تحت شجرة فقتلَهُنَّ ، فقبل له : أفلا نملة واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابنُ شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزل نبيُّ من الأنبياء تحت شجرة ، فقصته نملة ، فأمر بجهازه (١) فأخرج من تحتها ثم أمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكك أمة من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلا نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني (٢) ، عن هشام الدستوائي (٣) قال : إنَّ النمل والذر إذا كانا في الصيف كله ينقلن الحب ، فإذا كان الشتاء وخفن أن ينبت فلقته .

هشام بن حسان ، أن أهل الأحنف بن قيس لقوا من النمل أذى ، فأمر الأحنف بكرسي [فوضع عند جحرهن ، فجلس عليه ثم تشهد] فقال : لتنتهن أو لنحرقن عليكن ، أو لنفعلن أو لنفعلن (٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناده هذا الحديث والقول فيه عند الديري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستوي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لنفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة بن زهير^(٢) قال : قال أبو موسى الأشعري : إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة .

عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّمْلِ ! » .

مسعر بن كدام^(٣) ، قال . حَدَّثَنَا زَيْدُ الْقُمِّيُّ^(٤) عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِي^(٥) قَالَ « خَرَجَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَسْتَسْقِي فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا ، رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة روى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازنى البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان من افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الحلالي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محمداً ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبث . وفي الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو - وقيل ابن قيس - الناجى بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجى » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهم إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ، لَيْسَ بِنَا غَنَى عَنْ سَقِيكَ ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تَسْقِينَا
وَتَرْزُقَنَا ، وَإِنَّمَا أَنْ تُمَيِّنَنَا وَتُهْلِكَنَا ! فَقَالَ : ارْجِعُوا فَقَدْ سَقِيتُمْ
بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ ! » .

(تَأْوِيل آيَةِ)

وحدثني أبو الجهمجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ۚ
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إِنَّ نَذِيرًا يَعَجِبُ^(٢) مِنْهُ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ يَعْظُمُ خَطَرُهُ حَتَّىٰ يُضْحِكُهُ لَعَجِيبٌ ! قال : فقال : لَيْسَ التَّأْوِيلُ مَا ذَهَبَتْ
إِلَيْهِ . قال : فَإِنَّهُ قَدْ يَضْحَكُ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ كَلَامِ
الصَّبِيِّ ، وَمِنْ نَادِرَةِ غَرِيبَةٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنِهِ ، كَالنَّادِرَةِ
تُسَمَّعُ مِنَ الْمَجْنُونِ ، فَهُوَ يُضْحِكُ . فَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ عِنْدِي عَلَىٰ أَنَّهُ اسْتَظَرَفَ
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ النَّمْلَةِ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ .

(سَادَةُ النَّمْلِ)

وقال أبو الجهمجاه : سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ أَبِي مُوسَى^(٣) : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ
سَادَةً حَتَّىٰ الذَّرَّةَ . قال : يَقُولُونَ : إِنَّ سَادَتَهَا الْآوَاتِي يَخْرُجْنَ مِنَ الْجَحْرِ ،
يَرْتَدْنَ بِجَاعَتِهَا ، وَيَسْتَبْقْنَ إِلَى شَمِّ الَّذِي هُوَ مِنْ طَعَامِهَا .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفوف » .

(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَاقِضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقَى عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قَشْعَمٍ ^(١)
قال بعض العلماء : قرية النخل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال فى لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان فى لسانه ثِقْلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَيَانِ .
فإذا كان الثَّقْلُ الذى فى لسانه مِنْ قِبَلِ الْعُجْمَةِ ^(٢) قِيلَ : فى لسانه
حُكْلَةٌ . والحُكْلُ من الحيوان كَلَّةٌ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ يُسْتَبَانَ بِاخْتِلَافِ
مَخَارِجِهِ ، عِنْدَ حَرَجِهِ ، وَضَجَرِهِ ، وَطَلْبِهِ مَا يَغْدُوهُ ، أَوْ عِنْدَ هَيَاجِهِ إِذَا أَرَادَ
السَّفَادَ ، أَوْ عِنْدَ وَعِيدٍ لِقِتَالٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ .

(رأى الهند فى سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سبب ماله كثير كلام الناس واختلقت صور
ألفاظهم ^(٣) ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم فى اللين والشدة ،

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستمع
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .
وأم قشعم : الحرب ، أو المنيعة ، أو الضيع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر
قول زهير .

(٢) فى الأصل : « العجمة » .

(٣) بعد هذه فى كل من ط ، ه : « واتسمت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المدّ والقطع - كثرة^(١) حاجاتهم . وليكثر^(٢) حاجاتهم كثرت
خواطرهم وتصاريق ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم .

قالوا : فحوائج السنانير لاتعدو خمسة أوجه : منها صياحها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحها إذا دعت أخواتها وآلافها^(٣) ، ولذلك صورة^(٤) .
وصياحها إذا دعت أولادها للطعم ، ولذلك صورة . وصياحها إذا جاعت ،
ولذلك صورة^(٥) . فلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلت وجوه
مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثم من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها^(٦) ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والإشارات
والشمال . وحاجاتها ظاهرة جليلة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة
ما لا يقصر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه .

٨

[و] راضية الإبل ، والرعاء ، ورواض الدواب في المروج ، والسؤاس ،
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات
والتشوف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،
ما لا يعرف مثله من هو أعقل منهم^(٧) ، إذا لم يكن له من معينة أصناف

= تكرار لعبارة ستأتي بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها
كما في س .

- (١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .
- (٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .
- (٣) الآلاف بعد الهزة في أوله : جمع ألف بالكسر وهو الأليف . ط :
- « آلفات » صوابه في س ، هـ .
- (٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .
- (٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لائحة . فهو سهو منه .
- (٦) في الأصل : « ومنتهى » .
- (٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لَهُمْ^(١) . فالحُكْلُ من الحيوان [من ^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة . قال رؤبة^(٣) :

لَوْ أَنَّنِي عُمَرْتُ عُمَرَ الحِجْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ
(تأويل بيت للعُمَانِي)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفَقِيمِيُّ وهو الذي يقال له العُمَانِيُّ^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمَانِيُّ ممن يُعَدُّ ممن جَمَعَ الرِّجْزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ الجَلِجِ^(٥) ، وجَرِير بن الحَطَفِي ، وأبي النَّجْم وغيرهم . قال العُمَانِيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ مِوَادُّهَا^(٦)
يقول : الذَّرَّةُ الذي لَا يُسْمَعُ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ^(٨) لفهمه . والسَّوَادُ هو السَّرَارُ^(٩) . [قال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ما سبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقَت ترجمته في (٢ : ١٦٦)

(٥) في الأصل : « كمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقَت ترجمته في (١ : ٣٤٩) .
و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجأ المقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس
ما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده
يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفمر بالماء ! صوابه في س . والسرار ،
بالكسر : التحدّث سرّاً .

« أَذْنُكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أَيْ تَسْمَعُ سِوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْخُحْسِ : « قُرْبُ الْوَسَادِ »
وَطُولُ السَّوَادِ (١) .

قال أبو كبير الهذلي :

سَاوَدَتْ عَنْهَا الطَّالِبِينَ فَلَمْ أَنْمَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعَزْلِ (٢)
وقال النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقِدَ نَارِهَا (٣)
عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَّةٍ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ تَحْتَ شِفَارِهَا (٤)
وقد فسرنا شأن الحكل (٥) .

وقال التيمي الشاعر (٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني
تَغْلِبَ معروفين - :

عُجْمٌ وَحُكْلٌ لَا تَبِينُ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قالت هذا حين سئلت : « ما حلك على أن زנית بعبدك ؟ » . انظر البيان
(١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعيين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه في س . والسهاك الأعزل : منزلة . من منازل
القمر ، وهو نجم يظهر مع القمر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحاً ولم يقدر على غيره ؛
لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولي من المطر
فسمنت . أساود ربهما : يقول : أساره وأناجييه لأخذه عنها فيسمح بها ليبيرى
عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفارها : أى أن الشفار التي تذيب بها وتقطع
يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه
في س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعاني الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع عنج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس :

جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .
والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو مطراً أوجبة .
وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان

(١ : ٤٠) : « ولكن حكلا لا تبين » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ^(١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ
وَالظَّلْفِ وَالْخَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالدَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ
الَّتِي لَيْسَتْ تَصِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمُئِذٍ حَفْصُ الْفَرْدُ^(٢) : [أَشْهَدُ]
أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ^(٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يَخْبِرُ عَنِ
النَّصَارَى كَمَا يَخْبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَى وَالْمُفْضَلِّ)

[و] قَالَ الْأَصْمَى لِلْمُفْضَلِّ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمُفْضَلُّ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ^(٤) ٩
قَوْلَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ :
وَذَاتِ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصُمِّتُ بِالمَاءِ تَوَلُّبًا جَدْعًا^(٥)

- (١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .
(٢) من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه
وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست
٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .
(٣) ط ، هـ : « حق » ، وهو على الصواب في س .
(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان
ابن علي الهاشمي .
(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم
الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراوع
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة
المجاعة . تصمت بالماء تولباً : أى نسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً
انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء
الاستعارة، هذا يسمى معاطلة وقال : لا أعرف المعاطلة إلا فاحش الاستعارة .
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من
قصيده جيدة يرقى بها فضالة بن كلدة مطلعها :
- أَيْتَمَا النَّفْسِ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنِ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ليبتك الشرب والمدامة والافتيان طرا وطامع طمعا
وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الدال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجداع^(١) .

قال الأصمعي : إنما هي : « تَوَلَّباً جَدِعا » الدال مكسورة . وفي الجديع يَقُولُ أبو زيد :

ثمَّ استقاهَا فلم يقطعَ نظامَها عن التَضْيِبِ لا عِبْلٌ ولا جَدِغُ^(٢)
وإنما ذلك كقول ابن حَبْناء الأشجعي^(٣) :

وَأَرْسَلَ مُهْمَلًا جَدِعاً وَخَفًّا ولا جَدِغُ الثَّبَاتِ ولا جَدِيبُ^(٤)

ففنخ المفصّل ، ورفع بها صوتَه ، وتكلم وهو يصيح . فقال الأصمعي :

لو نفختَ بالشُّبُورَ لمَ ينفعل ! تكلم بكلام التَّمَلِّ وأصِيبَ^(٥) !

(١) الأجداع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .

(٢) التضبيب : السمن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضبيب » . والجديع ، ككتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيىء الغذاء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أهمهم كما في القاموس ومعجم المرزباني ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحن : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) . وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ - ١٦٣) . وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء في (٣ : ٦٠) . جاء في ط : « حنباء » صوابه في ه ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيها بالتصغير) وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى في أيام بني أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني . (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخلف هنا الإبل .

(٥) تجدد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جديع) .

والشُّبُور : شئٌ مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيَّة^(١) . وهو شئٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت^(٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم نفخُوا عليه بالشُّبُور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلامِ مِنَ الحدودِ القائمةِ في كتبهم ، ولكنَّ الجاثليقَ^(٣) ورأسَ الجالوتِ ، لا يمكنُهُما في دار الإسلامِ حبسٌ ولا ضربٌ ؛ فليسَ عندهما إلَّا أنْ يغرَّما المالَ ، ويُحرَّما الكلامَ . على أنَّ الجاثليقَ كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدرِ ، الذى له من السُّلطانِ ناحيةٌ . وكان طيمانو^(٤) رئيسَ الجاثليقِ ، قد هَمَّ بتحريمِ كلامِ عَوْنِ العبادى^(٥) ، عند ما بلغه من اتِّخاذِ السَّرارى^(٦) ، فتوعَّده وحلف : لئن فعلَ لِيُسْلِمَنَّ ! وكما تركَ الأشقيـلَ^(٧) وميخايلَ^(٨) وتوفيلَ^(٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالخير .

(٦) السراى : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بهتاً . ونظام التصرى ، أى اتِّخاذِ السراى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتصرى محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشقيـل » .

(٨) س : « ميخايل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلَ عَيْنٍ مَّنْوِيلٍ^(١) - وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الروم يقتل ؛
وإن كان ذا رأى سَمَلُوا عَيْنَيْهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنتَهُم فيه .
وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَارَى^(٢) . فإن
أردته فاطلبه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عمر بن أبي ربيعة :
لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِيٍّ جِلْدُهَا لِأَبَانَ مِنْ آثَارِهنَّ حُدُورُ^(٣)
والحذر : الورم والأثر^(٤) يكون عن الضرب .

(١) سمل عينه : فشقها . وبدل هذه العبارة في ط : « وسموعين ومنويل » وفي هـ :
« سمل عين ومنويل » ، وصوابه في س .

(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة
تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى
بالمسلمين في عصره . وقيل عصره . وتجد فقرأ منها بهامشة السكامل (٢ :
١٤٨ - ١٩٨) .

(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر .
و « حذور » فاعل أبان ، ومنه في السكاتب : « حمّ - والسكاتب الميّن » أى
البين الظاهر ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حذر)
والمخصص (٢ : ٨٠) « حذورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في هـ ، س ؛
إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :
لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) في الأصل : « والحذر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمّى بنملة ونَمِيلَة ، ويكتنون بها . وتسمّوا بذُرّ ، واكتنوا بأبى ذرّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرّ ، وَهُوَ ذَرِيُّ السَّيْفِ (١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة (٢) :

وقد أغدُو مع الفتيّا نِ بالمنجردِ الثَّر (٣)
وذى البركة كاللّابو تِ والمَحْزَمِ كالقَر (٤)

(١) في الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وفري السيف : فرنده ومأوه ، يشبهان في الصفاء بمذب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :
وكننت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (ترر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « واليتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجري هذا البيت في أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيحا ء بالمختنك الثر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، للكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجري » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كجلس : موضع الخزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

مَعَى قَاضِبَةً كَالْمِلْحِ حَرٌّ فِي مَتْنَيْهِ كَالذَّرِّ (١)
 ١٠ وَقَدْ أَعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَشْنِي شَتْنُ الشَّتْرِ (٢)

وقال الآخر :

تَسْكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتَرْجَفُ إِنْ يُلْثَمَهَا خِمَارُ (٣)
 وَتَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَبِيلَ حَقًّا وَرُعْبُ قَلْبِهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ

وقال أوس بن حجر ، في صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرَّبَا وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ (٤)
 عَلَى صَفْحَتِهِ بَعْدَ حِينَ جِلَانِهِ كَفَى بِالَّذِي أْبَلَى وَأَنْعَتَ مُنْصَلًا (٥)

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالمالح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالمالح كما سبق تشبيه الشحم به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما في اللسان (مادة تر) . ويمكن تصحيحه وإكماله ما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجئ عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعر » صوابه في هـ . والشر ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهي في ط : « شتن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنخيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما في س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحته من متون جلالة » .

(انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجلاً من الحرقفة^(١) من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِطَاطاً ، ودهن آسته رَبُّ وَقَمَطُهُ^(٢) وقربه من قرية النمل ، فأكل النمل حُشوة بطنه^(٣) .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال ذو الرمة :

وَقَرِيَّةٌ لاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَّةٌ مُدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شَرَّارًا^(٤)
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقِرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا^(٥)
وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بَدَارِ هَمُّهَا أَشَبُّ جَنْلِ الْفُرُوعِ كَثِيرُهُ شَعْبُهُ^(٦)
إِنَّ اسْتِهْنَتَهَا بِمَنْ صَرَعَتْ لِبَقْدَرٍ مَا تَعْلُو بِهِ رُتْبُهُ^(٧)

- (١) كذا حل الصواب في ط ، ه وهى قبيلة . وفى س : « الحديقة » محرف .
وفى الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .
(٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثقل الصمن والزيت . وفى الأغاني : « ودهن آسته بشحم » .
(٣) القصة فى الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .
(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : عل غير استقامة فهى معوجة .
(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغى عندها » .
(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جنل : كثير الورق . ط ، ه : « جبل » صوابه فى س .
(٧) فى الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ ^(١)
وَقَالَ الْبَعِيثُ :

وَمَوَّلَى كَبَيْتِ النَّمْلِ لِأَخِيرَ عِنْدَهُ لِمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيَهُ بَنَمِيمٍ

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب ^(٢) يقول : إنه لنمائم نملى . على
قولهم : « كذبَ علىَّ نَمْلٌ » ^(٣) إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام . وقال
حميد بن ثور ، في تهوين ^(٤) قوَّة الذر :

منعمة ، لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سَارِيًّا عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا ^(٥)
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة
عنب - : أَتَصَدِّقِينَ ^(٦) بحبة عنب ؟ ! قالت : إِنْ فِيهَا لَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ ^(٧)

= أبى العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فيقدر »
وأثبت ما فى الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . « وعلو » هى فى ط :
« نعلوا » ، وتصحيحه من س ، هـ والثمار والمروج . ويدلها فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل ككتف والتأمل والمنمل - كحسن - والمنمل - ككبر - والنمل ، كل
أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « تهوين » والتهوين : التقليل . والتهوين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تتصدقين ، حدثت إحدى التامين تخفيفاً . ط فقط :
« أتصدقين » .

(٧) ميثاقيل : جمع ميثقال ، بمعنى مقدار . س : « ميثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، هـ .
وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز في النمل)

ومما قيل في الشعر من اللغز^(١) :

فما ذو جناح له حافرٌ وليس بضراً ولا ينفعُ

يعنى النمل . فزعم أن للنمل حافراً ، وإنما يحفر جحره ، وليس ١١
يحفره بضمه^(٢) .

(التعذيب بالنمل)

وعذب عمر بن هبيرة^(٣) سعيد بن عمرو الحرشي^(٤) بأنواع العذاب
فقيل له : إن أردت ألا يفلح أبداً فمرهم أن ينفضوا في دبره النمل .
ففعّلوا فلم يفلح بعدها .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوامه الصت . انظر اللميرى .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة
الشجعان ، ولى الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك
إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر
بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثني ، وفيه يقول الفرزدق
ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد القميص

تفندق بالعراق أبو المثني وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتل
بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة
مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ :
٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الجرشي »
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبري القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشَبَّهُ في ذلك بالإنسان ذى العقل والروية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفأر ، والجردان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرّ للنمل)

وزعم البقّطرى^(٢) أنك لو أدخلتَ نملةً في جُحر ذرٍّ لأكلتها ، حتى تاتى على عامتها . وذكر أنه جرّب ذلك .

(أكل الضبّاع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنّ الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ، وذلك أنّ الضبّاع تاتى قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادةٍ قويّةٍ .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كلَّ شيءٍ لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشئ^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الروية: النظر والتفكير . ط ، هـ : « الروية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشئ » هى « ينشئ » سهل همزها ، وهى بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتى على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملاً ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملاً . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص ^(١) في عددها ومضرتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » . والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخر ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو ^(٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر ^(٣) :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س : « ينشبو » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ماقى ه .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . ونيس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ

الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجد اضطراباً في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدت بالياء ، ومرة بدت بالثاء

وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ^(١)
وَإِذَا صَارَ النَّمْلُ كَذَلِكَ أَخْصَبَتِ الْعَصَافِيرُ ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَادُهَا فِي حَالِ
طَيْرَانِهَا .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا^(٢)] : وَتُقْتَلُ بِأَنْ يُصَبَّ فِي أَفْوَاهِ بَيُونِهَا الْقَطِرَانُ وَالْكَبِيرَةُ
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسَّ فِي أَفْوَاهِهَا^(٣) الشَّعْرُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ
بَاطِلًا . انْتَهَى .

ب

١٢

جملة القول في القِرْدِ وَالْخَزِيرِ

وَفِي تَأْوِيلِ الْمَسْخُ ، وَكَيْفَ كَانَ ، وَكَيْفَ يُمَسِّخُ النَّاسَ عَلَى خَلْقَتِهِمَا^(٤)
دُونَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعِبَرَةِ وَالْمُخَنَةِ ؛ وَفِي خَصَالِهَا الْمَذْمُومَةِ ، وَمَا فِيهِمَا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ؛ وَمَا الْفَضْلُ^(٥) الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي النَّقْصِ ، وَفِي الْفَضْلِ ،
وَفِي الذَّمِّ وَفِي الْحَمْدِ .

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أى أفواه بيوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) في الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّمْلَ ،
والكلبَ ، والحمارَ ، والنَّحْلَ ، والهُدْهُدَ ، والغرابَ ، والذئبَ^(١) ، والفيلَ
والخيلَ ، والبغالَ ، والحَمِيرَ ، والبَقَرَ ، والبَعُوضَ ، والمعزَ ، والضأنَ ،
والبقرةَ ، والنعجةَ ، والحيوتَ ، والنُّونَ^(٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً
في الذِّلَّةِ والضعفِ ، وفي الوهنِ ، وفي البِدَاءِ ، والجهلِ .

(هَوَانُ شَأْنِ الْقَرْدِ وَالْخَنَزِيرِ)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً
فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقلَّ لها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جلَّ
وعلا ، لم يمسح أحداً من حَشَوِ أعدائه وعظائمهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَّنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إِنَّمَا قَرَّعَ
الطَّالِبُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ^(٣) بِإِنْكَارِهِ وَضَعْفِهِ ، إذ عجز ضعفه عن ضَعْفِ

(١) س : « للذب » صوابه في ط ، هـ . وليس في القرآن الكريم ذكر للذب ،
ولإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمي يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا » لأن النون كان قد التقمه في اليم ، انظر مفردات
الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل
ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ،
والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نَجِدْه جَلَّ وعلا .
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذُبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فَدَلَّ بِهِ بَيْتَهُ
عَلَى وَهْنِ خَلْقِهِ ، فَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ دَلِيلًا عَلَى التَّصْغِيرِ وَالتَّقْلِيلِ . وَإِنَّمَا لَمْ
يَقُلْ : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنْكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتَرَّ كَهْ يَلْهَثْ ﴾ ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى ذَمِّ طَبَاعِهِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ تَسَرُّعِهِ
وَبِذَائِهِ . وَعَنْ جَهْلِهِ فِي تَنْدِيرِهِ ، وَتَرْكِهِ وَأَخْذِهِ . وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وَذَكَرَ الذَّرَّةَ فَقَالَ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الصَّغَرِ
وَالْقِلَّةِ ، وَفِي خِفَّةِ الْوِزْنِ وَقِلَّةِ الرَّجْحَانِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وَذَكَرَ الْحِمَارَ فَقَالَ : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فَجَعَلَهُ مَثَلًا
فِي الْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ ، وَفِي قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَغِلَظِ الطَّبِيعَةِ . وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي مَسَخْتُ
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خلق وذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ بِالذَّمِّ وَالْحَمْدِ . فَأَمَّا
١٣ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ ^(١) ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ ^(٢) بِذَمٍّ وَلَا
نَقْصٍ ، بَلْ قَدْ ذَكَرَ أَكْثَرَهُنَّ ^(٣) بِالْأُمُورِ الْحَمُودَةِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى ذَكَرِ

(١) الكلام من مبدل : « بالذم والحمد » ساقط من س .

(٢) س : « يذکر » .

(٣) س : « أكثرها » .

الفرد فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لهما في قلوب الناس حال . و [لو] ^(١) لم يكن جعل لهما في صدور ^(٢) العامة والخاصة من القُبْح والتشويه ، ونذالة النفس ، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما خصهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أن العقرب أشدُّ عداوةً وأذىً ، وأفسدُ ، وأن الأفعى والثعبان وعامة الأحناش ^(٣) ، أبغضُ إليهم وأقتلَ لهم ، وأن الأسدَّ أشدُّ صولةً ، وأنهم عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قوته عليهم ، وعجزهم عنه ، وعلى حسب سوء أثره فيهم . ولم نره تعالى مسخَّ أحداً من أعدائه على صورة شيء من هذه الأصناف . ولو كان الاستئذال والاستثقال والاستسقاط أراد ، لكان المسخ على صورة بناتِ وردانِ أولى وأحقَّ ^(٤) . ولو كان التَّحقير والتَّصغير أراد ، لكانت الصُّوابة والجرجسة ^(٥) أولى بذلك . ولو كان إلى الاستصغار ذهبَ لكان الذَّرُّ والقمل والذبابُ أولى بذلك . والدليل على قولنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وليس أن النَّاسَ رأوا شيطناً قطُّ على صورة ، ولكن لما كان الله [تعالى] قد جعل ^(٦) في طياع جميع الأمم استقباح جميع صور الشَّيَاطِين ، واستسماجه وكرهاته ، وأجرى على السنة جميعهم ضربَ المثل في ذلك — رجع بالإحاش والتنفير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناش : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هي في س : « إذا كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البموض الصغار . في الأصل : « الخرجسة » صوابه ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفريع^(١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم^(٢) .

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن رعوس الشياطين نبات ينبت باليمن^(٣) .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رجس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ^(٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرد .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أن في الخنزير معنى متقدماً^(٥) سوى المسوخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل للعذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين . وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) ط ، ه : « متقدماً » تصحيحه من س .

وَاللَّوْاطِ الْمَفْرُطُ^(١) وَالْأَخْلَاقِ السَّمِجَةُ ، مَا لَيْسَ فِي الْقَرْدِ الَّذِي هُوَ شَرِيكُهُ
فِي الْمَسْخِ - لَمَّا ذَكَرَهُ دُونَهُ .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم نَاسٌ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَسْكُنْ تَأْكُلُ الْقُرُودَ . وَكَانَ مِنْ تَنْصَرٍّ^(٢)
مِنْ كِبَارِ الْقَبَائِلِ وَمُلُوكِهَا يَأْكُلُ الْخِنْزِيرَ ، فَأُظْهِرَ لَذَلِكَ تَحْرِيمُهُ ؛ إِذْ كَانَ
هَنَّاكَ عَالَمٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْوُضَعَاءِ ، وَالْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ ،
يَأْكُلُونَهُ أَشَدَّ الْأَكْلِ ، وَيَرْغَبُونَ فِي لَحْمِهِ أَشَدَّ الرِّغْبَةِ . قَالُوا : وَلَئِنْ لَحْمَ
الْقَرْدِ يَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ . وَيَكْفِي الطَّبَائِعَ فِي^(٣) الزَّجْرِ عَنْهُ غَنَّتُهُ^(٤) . وَلَحْمُ
الْخِنْزِيرِ مِمَّا يُسْتَطَابُ وَيُتَوَاصَفُ ، وَسَبِيلُ لَحْمِ الْقَرْدِ كَسَبِيلِ لَحْمِ الْكَلْبِ
يَلْهُو شَرُّهُ مِنْهُ وَأَخْبَثُ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) لِلْأَسَدِيِّ الَّذِي لَيْمَ يَأْكُلْ لَحْمَ
الْكَلْبِ^(٦) :

يَا فِقْعَسِي لِمَ أَكَلْتَهُ بِلَهْ لَوْ خَافَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ
فَمَا أَكَلْتَهُ لَحْمَهُ وَلَا دَمَهُ

وَلَيْسَ يَرِيدُ بِقَوْلِهِ : « لَوْ خَافَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ » أَنَّ اللَّهَ يَخَافُهُ عَلَى شَيْءٍ
أَوْ يَخَافُهُ^(٧) مِنْ شَيْءٍ . وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْكَلْبُ عِنْدَهُ مِمَّا لَا يَأْكُلُهُ أَحَدٌ

(١) ط ، هـ « واللواط المفرطة » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غنث » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لأمه الناس يأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »
وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فِيحَرِّمَهُ . وهذا مما لا تقف الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبِعَ الْوَهْمُ مُوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يَدْخُلُ فِي بَابِ الدِّينِ ، فَمَا يُعْرَفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجراً ^(٢) الكلاب نامسٌ ، ويستطيبنها فيما يزعمون . ويقولون : إِنَّ جَرَّو الْكَلْبِ أَسْمَنُ شَيْءٍ صَغِيرًا ، فإذا شَبَّ اسْتَحَالَ لَحْمُهُ ، كَأَنَّهُ يَشْبَهُ بِفَرْخِ الْحَمَامِ مَا دَامَ فَرْخًا وَنَاهِضًا ، إِلَى أَنْ يَسْتَحْكَمَ وَيَشْتَدَّ .

(ذكر من يأكل السنائير)

وما أَكْثَرَ مَنْ يَأْكُلُ السَّنَائِيرَ . وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَهَا صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ : أَحَدُهُمَا الْفَقِيُّ الْمَغْرُورُ ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ أَنْتَ مَسْحُورٌ ، وَيَقَالُ لَهُ : مَنْ أَكَلَ سِنُورًا أَسْوَدَ بَيْمًا لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ السَّحَرُ ، فَيَأْكُلُهُ لَذًا . فَإِذَا أَكَلَهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ غَسَلَ ذَلِكَ وَعَصَرَهُ ، أَذْهَبَ الْمَاءُ زَهْوَمَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ بِمُسْتَقْدِرٍ مَا اسْتَطَابَهُ . وَلَعَلَّهُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ ^(٣) فَوْقَ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَإِذَا أَكَلَهُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ، وَدَبَّرَ هَذَا التَّدْبِيرَ ، وَلَمْ يَنْكَرْهُ ، عَاوَدَهُ . فَإِذَا عَاوَدَهُ صَارَ ذَلِكَ ضَرَاوَةً لَهُ .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، ه .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصَّنْف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبُّون المصائد^(١) للسنانير ،
 ءالتي يُلقَّون منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظُ أحدهم وحنقه وَغَضِبُهُ
 عليه ، أن [يكون] السَّنور مُفْرِطَ السَّمَنِ ، فيدعُ قتله ويدبُّه . فإذا فعل
 ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقرَّر^(٣) الرَّجُلُ من أكل
 الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلَّا أن يأكله مرَّةً لبعض التجربة ، أو لبعض
 الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
 بأن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وها هنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
 أطيبَ منه . والأعراب إنما^(٦) يأكلون الحياتِ على شبيهِ بهذا الترتيب
 ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطباء والفلاسفة ، أن الحياتِ والأفاعى توكُل نِيئَةً^(٧)
 ومطبوخة ، ومشوية ، وأنها^(٨) تغذو غذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معاش .

(٢) أى يصيهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتعدى » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تغذو الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكّر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤية وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤية ، وعنده جرذان قد شَوَّاهُنَّ ، فإذا هو يأكلهنَّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤية : هُنَّ خيرٌ من اليرابيع والضَّبَابِ وأطيبُ ؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولُ الحياتِ^(١) في الصُّدُور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقدر^(٢) أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذبَّان والزناير)

وناسٌ من السُّفالة^(٣) يأكلون الذبَّان . وأهلُ خُرَاسَانَ يُعَجَّبُونَ باتِّخَاذِ الْبَزِّ مَاوَرِدِ^(٤) من فراخ الزناير ، ويعافون أذنانَ الجرَادِ الْأَعْرَابِيِّ السمين . وليسَ بين رِيحِ الْجَرَادِ إذا كانت مشويةً وبينَ رِيحِ الْعُقَارِبِ مشويةً فرق . وَالطَّعْمُ تبعٌ للرائحة^(٥) : خبيثُها خبيثُها ، وطيبُها لطيبُها . وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويةً ونيئةً ، أنها كالجراد^(٦) السَّمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقدر » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابي السمين فرق » .

وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمته في طلب فراخ الزنابير ليأكلها .
وفراخها ضرب من الذبّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيها ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنه لم يأكل أطيب من رأس برذون وسرته . فأما السرّة والمعركة^(١) فإنهم
يزاحجون بها الجداء والدجاج . ويقدمون الأسرام المحشوة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرق^(٢) والكوسج^(٣)
فهو من أعجب طعام البحريين . وأهل البحر يأكلون البلبل^(٤) وهو اللحم
الذي في جوف الأصداف .

والأعرابي إذا وجد أسوداً سانحاً^(٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير في كسميره^(٦) .

(١) المعرفة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شربه ، وهو في الماء شر
من الأسد في البر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضي .
ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المملوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما في س ، ه .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى في حواشي (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرني كم شئت^(١) من الناس ، أنه رأى أصحابَ الجبنِ الرطبِ^(٢) بالأهوازِ وقراها ، يأخذون^(٣) القطعةَ الضخمةَ من الجبنِ الرطبِ^(٤) ، وفيها ككواء الزناير^(٥) ، وقد تولَّدَ فيها الدِّيدانُ ، فينفضها وسطَ رَاحَتِهِ ، ثمَّ يَقمَحُها^(٦) في فيه ، كما يَقمَحُ السَّويقَ والسُّكَّرَ ، أو ما هو أَطيبُ منه .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحابِ النَّقمِ ، وما أنزل الله من العذابِ ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس . » واستعمال « كم » فاعلاً ، هو لغة رديئة حكاه ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر مغنى اللبيب .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنه بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويحففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهى الخرق فى الحائط ، أو الثقب فى البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سمع : استغه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * .

وليس من هذه الأصنافِ شئٌ أبلغُ في المثلثة والشنعة ، مَن (١)
جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالنخزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .
وكلها لا تقبل الآداب . وإنَّ الفُهوْدَ وهى وحشية تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازى ، والشَّواهين ، والصقورة (٣) ، والزُّرَقُ ، واليُؤْيُؤُ ، والعُقَابُ ، وعَنَاقُ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشِيَّاتِ . ثمَّ يفضلها الفهدُ بِخَصْلَةٍ غربية
وذلك أنَّ كبارها ومسانها أقبلُ للآدابِ ، وإن تقادمتْ في الوحش (٥) ،
مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغيرَ إذْ أُدبَ

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضا على أحمره ، وحر - بضمين وبضمة - وهور ، وجرات ،
ومحموراء . جاء في ط : « كالحماير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صديهما ،
وصقر بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل
إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغر من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ،
وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شئ حتى الطير ، ويسمى أيضا
الثقة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفريقية : Caracal . وفي الأصل :

« عناق الأرض » بالثاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباحث الفكر ، نسختي الخطية : « الوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خبثاً مؤاكلاً^(١) ، والمسنّ الوحش يخلص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغارُ سباعِ الطير وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الحميع يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدبَ على حال ، حتى كأنه - وإن كان بهيمة - في طباع ذئب .

وذلك أن أعرابياً أخذ جروَ ذئب وكان التقطه التقاطاً ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما ، وهو غرٌّ لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربّيناه وألفناه ، أنفع لنا من الكلب . فلما شبَّ عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابيُّ :

أَكَلْتُ شَوِيهِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَنُ أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ^(٢)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وخشيين [كانا^(٣)] ثم من أشدّ الوحش توحُّشاً ، وألزمها للقفار ، وأبعدُها من العمران .
والذئب أغدر من الخنزير والخنوص^(٤) ، وهما بهيمان .

(١) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيباً » . ه : « جينا » ، صوابه في س . وانظروا سياقاً في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميري . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لساننا ولد ربيب
غذيت بدها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُتَمَعَّى لَهُ الْأَسَدُ ؟ ! وذلك أَنَّ الخنازير ^(١) إِذَا كَانَتْ بِقَرَبِ ضِيَاعِ قَوْمٍ هَلَكَتْ تِلْكَ الضِّيَاعُ ، وَفَسَدَتْ تِلْكَ الْغَلَّاتُ . وَرَبَّمَا طَلَبَ الْخَنَزِيرُ ^(٢) بَعْضَ الْعُرُوقِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْأَرْضِ فَيَخْرُبُ مِائَةَ جَرِيْبٍ ^(٣) ، وَنَابَهُ لَيْسَ يَغْلِبُهُ مِعُولٌ . فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ تَمَنَّوْا أَنْ يَصِيرَ فِي جَنَّتِهِمْ ^(٤) أَسَدٌ . وَلَرَبَّمَا صَارَ فِي ضِيَاعِهِمُ الْأَسَدُ فَلَا يَهَيِّجُونَهُ ، وَلَا يُؤْذِنُهُ ، وَلَوْ ذَهَبَ إِنْسَانٌ لِيَحْفَرَ لَهُ زُبْيَةً ^(٥) مَنَعُوهُ أَشَدَّ الْمَنَعِ ؛ إِذْ كَانَ رَبَّمَا حَمَى جَانِبَهُمْ مِنَ الْخَنَازِيرِ فَقَطُّ . فَمَا ظَنُّكَ بِإِفْسَادِهَا ، وَمَا ظَنُّكَ بِبَهِيمَةٍ يُتَمَعَّى أَنْ يَكُونَ بَدَلَهَا ^(٦) أَسَدٌ ؟ ! ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْخَنَازِيرِ بِالسَّلَاحِ ، وَبِالْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ الَّتِي تَقْتُلُ بِهَا ، فَرَبَّمَا قَتَلَ الرَّجُلَ مِنْهُمْ ، أَوْ عَقَرَهُ الْعَقْرَ الَّذِي لَا يَنْدِمِلُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُضْرَبُ بِنَابِهِ شَيْئاً إِلَّا قَطَعَهُ ، كَائِناً مَا كَانَ . فَلَوْ قَتَلُوا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا مِائَةً وَقَتَلَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِنْسَاناً وَاحِداً ، لَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ عِوَضٌ .

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإنفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقدرة .

(٤) الجنة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة^(١) ؛ لأنها تطلب أحرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل^(٢) ذلك وبعده ؛ لبروز^(٣) الناس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر^(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها فى^(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأروغ من الخنزير ، ولا أكدر للفراس ، ولا أشد إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأما قبح وجهه فلو أن القبح والإفلاس، والغدر والكذب ، تجسدت ثم تصوّرت^(٦) لما زادت على قبح الخنزير . وكل ذلك بعض الأسباب التى مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأن القرد لسميح الوجه ، قبيح كل شيء^(٧) . وكفالك به أنه للمثل المضروب — ولسكنه فى وجه آخر مليح . فليحه^(٨) يعترض على قبحه

(١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .

(٢) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباهج الفكر، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .

(٣) كذا فى ط ، هـ ومباهج الفكر . وفى س : « لخروج » .

(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .

(٥) فى الأصل : « إلى » ، وصوابه فى مباهج الفكر .

(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد تم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .

(٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شيء » .

(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة ، يقال : ملح ملحاً وملاحاة .

فمازجُه ويُصلِح منه . والخِزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمّتٌ بهم ،
فصار أسمعٌ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثني بعضُ أهل العلم ، ثَمَّ طال ثَوابُه في أرض الجزيرة ، وكان
صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التَّبين^(١) ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ
أن يُفَضِّيَ إلى حقائقها ، وتثبِت أعيانها بعللها ، وتمييز^(٢) أجناسها ، وتعرِّف
مقاديرِ قواها ، وتصرِّف أعمالها ، وتنقِّل حالاتها ؛ وكان يعرفُ للعلم قدره ،
وللبیان فضله .

قال : ربّما رأيت الخنزيرَ الذَّكر وقد ألجأه أكثرُ من عشرينَ خنزيراً
إلى مَضيق ، وإلى زاوية ، فينزُونَ عليه واحداً واحداً^(٣) ، حتّى يبلغ آخرُهم .
وخبرني هذا الرَّجل وغيرُه من أهل النَّظر وأصحابِ الفكر ، أنَّهم رأوا
مثلاً ذلك من^(٤) الحمير . وذكروا أنَّ ذلك إما تأنيثٌ في طبعه ، وإما أنَّ
يكون له في أعينها من الامتَحسانِ شبيهٌ بالذي يعتري عيونَ بعضِ الرجال
في الغلمان ، والأحداثِ الشَّباب .

وقد يكون هذا بين الغرائق والسكرانِ . والتَّسافُد بين الذَّكر
والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ في جميع أصناف

(١) في الأصل : « التَّبين » ، وهو تحريف يشكر كثيرأ . وإنما هو « التَّبين » بمعنى
التفهم والاكتناه .

(٢) في الأصل : « وتميز » .

(٣) بدله في مباحج الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٢٠٠) : « ثم ينزو عليه
الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « في » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفسى . وأما^(١) تسافد الحمام الذكر والأنثى للذكر^(٢) ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنياب في نابه من القوة والدرب ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقي أسنانه^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .

قال : والخنزير لا يلقي أسنانه ألبتة .

(من لم يشفر)

ويقال : إنَّ عبد الصَّمد بنَ عليٍّ^(٥) لم يُشفر قط^(٦) ، وأنه دخل قبره بأَسنان الصَّبا . ١٨

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يلقي أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ،

ولي الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقدم بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شفر ، بالبناء للمجهول ، وأشفر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر

العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، ممطولة^(١) في نفس العظم . وذلك ممّا توصف به أسنان الحية . قال الشاعر :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنَهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّئْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَذَلِكَ .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأما ما كان كثير الثرب^(٤) ففرقته تجمد^(٥) ، مثل مرق لحم المغزى .

(١) المطال : أصله السبك والطبع . ط ، ه : « ممطولة » وصوابها من س وما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد في هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س « يجمل » وفي ه : « يجمد » . وكتب في هامشة س : « خ يجمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى البكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدعُ خنزيراً إلا قتلته ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلدته ، ثم يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكره الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والسكباش والتبوس في أفاطيعها ، وهي قبل ذلك الزمان ^(١) متسالة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة ^(٢) لا يدعُ جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته ^(٣) .
والجمل خاصةً يكره قرب الفرس ، ويقاقله أبداً .
ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأن بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبؤته . وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ^(٤) ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان ، والفيالون يحمونها التزو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هيج لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنيهما لا يجعلان على الناس ؛ لمكان الألفة .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ريحاً في زمانٍ هيئتها ، فلا يباعدون الذُّكُورَ عنها ، وإذا اعترها ذلك ركضتْ ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناثِ الخنازير . فإذا ^(١) كان زمنُ هياج الخنازير ، تطأطئُ رؤوسها ، وتحركُ أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغيَّرُ أصواتها إذا طلبت السَّفاد . وإذا طلبت الخنزيرة السَّفادَ بالت بولاً متتابعاً .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنوصاً ^(٢) . وإذا وضعت أجراً كثيراً لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذَّكَرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذنانها . فإذا فعلت ذلك ^(٣) تكنتى بنزوة واحدة .

١٩

ويُعلَفُ الذَّكَرُ الشَّعِيرَ في أوان النَّزْوِ ، ويصلح للأُنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والحافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا نجىء كما يريدون . وأجود الأنزؤ أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة ^(١) بكرًا ولدت جراء ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير ^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ ^(٣) ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مازع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فانت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فانت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماسر بالأقداح على الجزور .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^(١) أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيبٌ ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشَّعِيرِ والأَرْزِ طيبٌ ، فإنما يريدون أنه وسطٌ ، وأنه فوق الدُّون . ويقولون : فمُ طيبُ الرِّيحِ ، وكذلك البرُّ ، يريدون أنه سليم من اللِّتَنِ ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيبٌ ، وهذا لا يحل [لك ^(٢)] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطَّاغُوتَ » . وقرئ : « عابد الطَّاغُوتَ » ، و « عبد الطَّاغُوتَ » نعت كقطن . ويقط ، و « عبدة الطَّاغُوتَ » ، و « عبد الطَّاغُوتَ » جمع كخدم . والطَّاغُوتُ منصوبة في قراءة حفص ، مجرورة في القراءات الأربع التي سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه في معصية الله .
(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز في الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، في أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله في (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره في ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو في ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل طم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المغْنَى لبعض^(١) ولد عثمان بن عفان^(٢) : لقد شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمِّكَ المَبَارَكَةِ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ . يَرِيدُ الطَّهَارَةَ . ولو قال : شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمِّكَ الطَّيِّبَةَ إِلَى أَبِيكَ المَبَارَكِ ، لم يَحْسُنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَكَ طَيِّبٌ إِنَّمَا
يَدُلُّ عَلَى قَدَرِ مَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الكَلَامِ . وقد قال الشَّاعِرُ^(٣) :

وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ^(٤)

وقد يَخْلُو الرَّجُلُ بِالمرأة فيقول : وَجَدْتُهَا طَيِّبَةً . يَرِيدُ طَيِّبَةَ الْكُومِ^(٥)
تَلَذِيزَةِ نَفْسِ الوَطَاءِ . وإذا قالوا : فلان طَيِّبٌ الْخُلُقِ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الظَّرْفَ
وَالْمِلْحَ^(٦) .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ ﴾ ، يَرِيدُ رِيحًا لَيْسَتْ بِالضَّعِيفَةِ وَلَا الْقَوِيَّةِ .

(١) طويس هذا ، هو الذى يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه - كما يقولون -
ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل عتي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيه بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينما أسن ، أنا أو أنت
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتى . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في البيان : « بأبي أنت وأمي ، لقد . . . إلخ .

(٣) هو الحررق بنت هفان ، من مرثية لها ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيط ، ومن قتل معهم من قومهم .
الخرافة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معتزك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاى للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من

الإنسان . والمعنى أنهم أعفأ . ط : « الأرز » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطاء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة .

ويقال : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذ (١) كانت طيبة الهواء والفواكه ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِثِينَ وَالْخَيْثِثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليل على أن التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحَ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدل ذلك على أنه لم يعن الخيانة في الفرج .

وقد يقع اسم الخيانة على ضروب : أو لها المال ، ثم يشتق من الخيانة في المال الغش في النصيحة والمشاورة . وليس لأحد أن يوجه الخبر إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرّم الرُّسل ، على أسمع الوجوه ، إذا كان للخبر مذهب في السلامة ، أو في القصور على أدنى العيوب (٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تتخطى إلى الفرج حتى (٣) تبتدىء بالمال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، ه : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقلوه : طيّب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
ذلك ^(١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ٢١
ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التّحريم ، فلمّا
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتة
أو ذكر الدّابح عليه اسم الله ، أنّه رِجْسٌ ^(١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلّا الذى
خصّه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
ذلك القول ليس بما يضرّ الخنزير ، وفيه الرّجس عن محارمه ، والتّخويفُ

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إِنْ قِيلَ ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخَّ صورة الفرد ،
 فهلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرّم ، ثمّ خصّه أيضاً أنّه من بينها
 رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنّ العرب لم تكن تأكلُ القُرودَ ،
 ولا تلتمسُ صيدها للأكل . وكلُّ مَنْ تنصّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشةِ
 والصّين ، وكلُّ مَنْ تمجّسَ من مَلِكٍ أو سُوقَةٍ ، فإنّهسُم كانوا يرونَ للحمِ
 الخنزير ^(٢) فضيلةً ، وأنّ لحومها ممّا تقوم إليه النفوسُ ، وتنازع إليه
 الشّهوات . وكان في طباع الناس من التكرّه للحوم القِرَدَةِ ، والتقدّر ^(٣)
 منها ما يُغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو
 ذكر ذلك وألحق القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لسكان ذلك إنما كان على
 وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكرّه والتقدّر ، ولا ^(٤)
 غير ذلك .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظَفَرٍ وَمِنَ
 الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ
 مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر الخلب والخالفر أيضاً . والمراد بالشحوم
 شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم .
 والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية .
 لاتصاله بالعصم . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت
 مسرودة في س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالكذب والظلم والغشم^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين^(٣) بيان خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يقبح^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا مما يحرم بعينه وبداته ، لأنه^(٥) حرّم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .
وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإني أريد أن أضرب بها القتل ثم أحياهما جميعا . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل^(٦) ، ثم التعرض ، والتعنت^(٧) في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليظ القرض^(٨) .

(١) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلکؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلکى » هـ : « التلظى »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون (١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستئصال (٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ (٣) .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد (٤) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خِتَاكُمُ (٥) كَمْشَى خِنْزِيرَةٍ إِلَى عَذْرَةٍ (٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادىء بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمتق الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلعتكم » ، وصوابه « خلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر (١) :

نِعْمَ جَارُ الْخَنْزِيرَةِ الْمَرْضِيعُ الْغَرَّ ثَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ (٢)
طَاوِيًا قَدْ أَضَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثُرَيْدٍ مُلَبِّدٍ مَأْدُومٍ (٣)
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّمْسِ س فَالْقَى كَالْمِغْلَفِ الْمَهْدُومِ
(جَرِيرُ وَالْحَضْرَمِيِّ)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ
يَشْتُمُهُ ؟ فقالوا : مَا أَحَدٌ يَقْدِمُ عَلَيْهِ ! قال : فَأَنَا أَشْتُمُهُ وَيَرْضَى وَيَضْحَكُ !
قال : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْتَ جَرِيرُ ؟ قال : نَعَمْ . قال : فَلَا قَرَبَ اللَّهِ دَارَكَ
وَلَا حَيًّا مَزَارَكَ ! يَا كَلْبُ ! فَجَعَلَ جَرِيرٌ يَنْتَفَخُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : رَضِيتَ فِي
شُرْفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَقْفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقَرْدَ الْعَاجِزَ (٥) ؟ ! يَعْنِي الْفَرَزْدَقُ . فَضَحِكَ .
فَحَدَّثَ صَدِيقٌ لِي أبا الصَّلَعِ السَّنْدِيَّ (٦) بِهَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : فَشِعْرِي
أَعْجَبُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنِّي شَتَمْتُ الْبُخْلَاءَ ، فَشَتَمْتُ نَفْسِي بِأَشَدِّ مِمَّا شَتَمْتَهُمْ .
فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ قَوْلِي :

لَا تَرَى بَيْتَ هَجَاءٍ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِنِّي
الْهَجَا أَرْفَعُ مِمَّنْ قَدَرُهُ يَصْغُرُ عَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
- (٢) الفرثي ، بالعين : جمع غرثان ، وهو الجائع . ه : « الفرثي » صوابه في ط ،
س والبيان (٣ : ٣١١) .
- (٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو
ما يخلط به الخبز .
- (٤) هو أبو الحسن المدائني الأخباري الراوية .
- (٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما في س ، ه .
- (٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين ١٦٤ ليسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم
٣١١ باسم « أبو الصلَع » في حرف الضاد المعجمة . ه : « الهندي » .
- (٧) س : « ينقص غني » .

(طريقة)

قال أبو الحسن : كان واحداً يسخر بالناس ، ويدعى أنه يرقى من
الضرس إذا ضرب على صاحبه . فكان إذا أتاه من يشتكى ضرسه قال له
إذا رقاها : إياك أن تذكر إذا صرت إلى فراشك القرد ؛ فإنك إن ذكرته
بطلت الرقية ! فكان - إذا أوى إلى فراشه - أول شيء يخطر على باله
ذكر القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوجع ، فيغدو إلى الذي رقاها ٢٣
فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بت وجعاً ! فيقول : لعلك
ذكرت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : من ثم لم تنتفع بالرقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقاراً^(١)
وإن يأكل أبو فروخ آكل وإن كانت خنائيصاً صغاراً^(٢)

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى .
والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها
عن المشي .

(٢) الخنائيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأخبار
(٣ : ١٦) . والثاني منهما في اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية^(١) :

فَمَنْ مَبْلِغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقْتُ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانَهُ
تَعَلَّقَ أَبَا قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطْعَمَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانُ^(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزع من هجاء قط كجزعه من
بيت حماد عجرد ، حيث يقول :

وَبَا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

-
- (١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، ه وأمالى الزجاجي ٤٦ والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ : ٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان في طلبه فنبجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين (برواية أخرى) :
- تَمْسِكُ أَبَا قَيْسٍ عَلَى أَرْحَبِيَّةٍ فَلَيْسَ عَلَيْنَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانُ
- فقلت من الشخص الذي سبقته جياذ أمير المؤمنين أتان
- قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتي عن نهاية الأرب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .
- (٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

(شمر في الهجاء)

وقال بُشَيْرُ بْنُ أَبِي جَذِيمَةَ الْعَبْسِيُّ^(١) :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةً وهل يستعدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ^(٢)
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْمْ قُرُودٍ وَسَطُ كُلِّ مَكَانٍ
لَقَدْ سَمِنَتْ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ^(٣)

الْأَصْمَعِيُّ^(٤) عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ^(٥) عَنْ أَبِي السَّلِيلِ قَالَ : مَا أَبَالِي أَخْزِيرًا
رَأَيْتُ يُجْمَرُ بِرَجْلِهِ^(٦) ، أَوْ مِثْلُ^(٧) عَبِيدٍ يَنَادِي : يَا لَفُلَانِ !

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة
العبسي ، ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات
الآتية في حماسه (٢ : ١٨٢) . وفي الأصل : « بشر بن الهندى » ، وهو
تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر :
العظمة ، أو التجبر . يقول لقييل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشرف ؟ !
وجعلهم قُرودا لخسهم . والقرد لا ذنب له يخطر به . ورواية الحماسة : « أتخطر
للأشرف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى
سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع
قرد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم »
جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها
باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابي رواية
أبي تمام . التبريزي (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعي » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطرد لغوى)

الأصمعي عن أبي ظبيان^(١) قال : الخوز^(٢) هم البناة^(٣) الذين بنوا الصرح^(٤) واسمهم مشتق من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ، فجعلت العرب خوك^(٦) خوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و [قد] قال الناس في المسخ بأقاويل مختلفة : فمنهم من زعم أن المسخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يكون موعظة وعبرة ، فقطعوا على ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضب والجري^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأمم التي مسخت في هذه الصور . وكذلك قولهم في الحيات .

وقالوا في الوزغ : إن أباه^(١٠) ، لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس ما صنع^(١١) ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

(١) لم أهر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من ه ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ، ه : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) في الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمي استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، ه : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجري : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسحها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ ص ٥) .

(١٠) س ، ه : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية فصلاً لذلك ، عنوانه : (فصل في إجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه) .

(١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان في بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى^(١) هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل^(٢) ، وفي الزهرة^(٣) ، وفي هاروت وماروت^(٤) ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين^(٥) ، وجرهم^(٦) ، ما قالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا روي أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . السمرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً بالين . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً . (٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخنها الله شهاباً . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهما ماسكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتمرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء ، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآني فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فمحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاما بالباه الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب

٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريل . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨)

وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمشناة التحتية . وفي ط :

« قيرى وعيرى » و ه : « قيرى وعيرى » و س (قيرى — مهمل — وعيرى)

أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو

أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨)

وثمار القلوب . جاء في الأصل بعده : « وفي أبوى » . وكلمة : « في » مقحمة

كما ظهر لك . وجاء في ط ، ه : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول في المسخ)

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ : فَأَمَّا الدَّهْرِيَّةُ ٢٤
فَهُمْ فِي ذَلِكَ صَنِيفَانِ : فَهُمْ مَنْ جَعَدَ الْمَسْخَ وَأَقْرَبَ بِالْخُسْفِ (١) وَالرَّيْحَ
وَالطُّوفَانَ ، وَجَعَلَ الْخُسْفَ كَالزَّلَازِلِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقِرُّ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ
مِنَ الْبَرَدِ الْكِبَارِ (٢) ؛ فَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ . وَقَالَ :
لَسْتُ أَجُوزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْكَرَ
الْمَسْخَ الْبَيْتَةَ .

(أثر البيثة)

وَقَالَ الصَّنِيفُ الْآخَرُ : لَا نَنْكَرُ أَنْ يَفْسُدَ الْهَوَاءُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي
فَيَفْسُدَ مَاؤُهُمْ (٣) وَتَفْسُدَ ثُرْبَتُهُمْ ، فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي طَبَاعِهِمْ (٤) عَلَى الْأَيَّامِ ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم
فنزّلوا شباب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب
إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاخ بن عمرو الجرمي .
والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى
الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) :
١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدي — في زعمهم —
« العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا
به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبيراً . فأما سقوط الحجارة
من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم
على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها
حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم
حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٣٣ .
في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماؤهم » ، صوابه في س .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة^(١) ، وطباع بلاد أاجوج
ومأجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف
انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل
والدواب وجميع ماشيتهم : من سبع وبهيمة ، على طبائعهم . وترى جراد
البقول والرياحين وديدانها خضراً ، وトラها^(٣) في غير الخضرة على غير ذلك .
وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وトラها في رأس الشيخ
الأبيض الشعر بيضاء ، وトラها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الجميل
الأورق^(٤) . فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء . فإن نصل
خضابه صار فيها شكلة من بين بيض وحمر .

وقد نرى حرّة بنى سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ،
وبهيمة وطار ، وحشرة فتراها كلها سوداء .

-
- (١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين
خصائصهم المسمودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .
- (٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين
المسمودي طباعهم بأنهم في عداد البهائم .
- (٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « و تراها » .
- (٤) الشمط محرّكة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس .
وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف
ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشبهة نحو الشمط . والأورق
من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .
- (٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكلة » بحرف .
- (٦) الحرّة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار : وسليم ،
هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه
الحرّة في عالم نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرّة ، في رسائل
الجاحظ ٧٨ سمي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يُحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط بيسان^(١) ، ولهم أذنانٌ إلا تكن كالأذنان التماسيح والأسد والبقر والحيل وإلا كالأذنان السلاحف والجُرذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ^(٢) طوال كالأذنان .

وربما رأينا الملاح النبطى فى بعض الجعفریات^(٣) على وجهه شبه القرد . وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ ، إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد ، والماء الخبيث ، والتربة الرديئة ، ناساً فى صفة هؤلاء المغريين^(٤) والأنباط ، ويكونون جهالاً ، فلا^(٥) يرتحلون ؛ ضنانه^(٦) بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زاد فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذنان ، وفى تلك الألوان الشقر ، وفى تلك الصور المناسبة للقروء .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذى لا يعارض ، أن الموضع الذى قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذى نقل صور قوم إلى صور القروء . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت فى مهب الريح الشمالى ، والأخرى

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر فى معجم ما استعجم ١٢٨٣ فى رسم (ميسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملائن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، ه : « المشوهين » . وأثبت ما فى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانه بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يخجل .

في مهبّ الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز ٢٥
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا ننسكِر المِسْخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على
مجرى الطَّبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتم ليس بمُحالٍ ، ولا يُنسكِر أن يحدثَ
في العالمِ برهاناتٌ ، وذلك المِسْخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنمّا عرفنا ذلك من قبَلهم . ولولا ذلك لكان الذي
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المِسْخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثمّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دعا به نبيٌّ ، لكان ذلك أعظمَ الحُجّة .

فأما أبو بكر الأصم^(٣) ، وهشام بن الحكم^(٤) ، فإنّهما [كانا^(٥)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنّه إذا جاز أن يقلب الله خردلةً من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٦) [أو عرضاً^(٧)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(٨) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان
(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه ^(١) قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قول جميع من قال بالطَّبَّاء ولم يذهب مذهب جهم ^(٢) ، وحفص الفرد ^(٣) .

وقال ابن العنسي ^(٤) يذكر الفرد :

فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ تَوَامِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون ^(٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فمنهم من أراد الطَّعْنَ ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة المفتي ؛ إذ ^(٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ ﴾
فذكر اللَّحْمَ دُونَ الشَّحْمِ ، ودُونَ الرَّأْسِ ، ودُونَ الْمَخِّ ، ودُونَ الْعَصَبِ ،

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر

الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « الفردى » ، وفي لسان الميزان

٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « الفرد » وصوابه ما أثبت من

القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضح . قال ابن النديم : « من الحيرة ومن

أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه

فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب التفرع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

تودون سائر أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك^(١) الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في الخنزير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه . وليس بين ذِكْرِ اللَّحْمِ والعَظْمِ فرق ، ولا بين اللَّحْمِ والشَّحْمِ فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرِّمْتُ عَلَيْكُمُ الميتةَ والدَّم والشَّحْمَ الخنزير ، أن تحرِّموا الشَّحْمَ ، وإنَّما ذكر^(٢) اللَّحْمَ ، فلم تحرِّم الشَّحْمَ ؛ وما بالكم تحرِّمون الشَّحْمَ عند ذكر غير الشَّحْمِ ! فهلاًَّ حرِّمتم اللَّحْمَ بالسَّكَناء ، وحرِّمتم ما سواه بالخبر الذي لا يُدْفَعُ ! ؟ فإن بقيت خصلة أو خصلتان ممَّا لم تُصَيِّبوا ذكره في كتابٍ منزَّل ، وفي أثرٍ لا يدفع ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للناس عاداتٍ ، وكلاماً^(٣) يعرف كلُّ شيء بموضعه ، وإنَّما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لو كبله : اشتر لي بهذا الدِّينار لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيه باللحم فيه الشَّحْمُ والعَظْمُ ، والعِرقُ والعَصَبُ والغُضروفُ ، والفؤاد والطَّحال ، والرَّثَّةُ ، وبيعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحم ، والسَّمَكُ أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فإن كان الرَّسُولُ ذهب إلى المستعمل من ذلك ، وترك بعض ما يقع عليه اسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه . فإذا قال حرِّمْتُ عَلَيْكُمُ لحماً فكأنه قال : لحم الشاة والبقرة

(١) في الأصل : « فكذاك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » ه : « وكلاماً ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أن رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان لهم مجاز ، إلا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخنزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلد إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخ ويُدَحَس^(١) فيتبرأ مما كان به مُلتزقاً^(٢) ولم يكن مُلتحماً ، كفرق ما بين جلد الحوصلة والعرقين^(٣) .

فإن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع^(٤) ، فإني أزعم أن جلده لا يُدْبَغ ولا يَنْتَفِعُ به إلا الأساكفة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلكَ غَدًا إلا أن يشاءَ اللهُ ﴾ .

والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالثقْب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمى العيرَ لطيمة^(٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول : هذه ظعنُ فلانٍ ؛ للهو ادج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) هـ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها :

واللطيمة : المير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقصد ، وصار فى أعظم الأجزاء
قَدْرًا ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاء فى اسمه . ولو كان الشحم معتزلاً من اللحم
ومفرداً فى جميع الشحام ، كشحوم الكلى^(١) والثروب ، لم يجز ذلك .
وإذا تكلمت على المفردات لم يكن المخ لحماً ، ولا الدماغ ، ولا العظم ،
ولا الشحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
المشبهة باللحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القول واقعاً ٢٧
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا فَالْهَامُ مُنْصَجَّةٌ لَدَى الشَّحَامِ^(٢)
لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابِخًا يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل فى بعض الكلام ، فسنذكر
شأن الهدهد والمسألة فى ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكَيْتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
يعنى الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له - والعقوبة لا تكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام القدوة ، بالضم ، وهى أول النهار .
والهام : البرموس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى هـ ، بس : « لا يعنى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إِلَّا عَلَى الْمَعْصِيَةِ لِبَشَرِيٍّ آدَمِيٍّ لَمْ تَكُنْ عَقُوبَتُهُ الذَّبْحُ ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَعْصِيَةَ
 إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ ، وَلَا تَكُونُ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ إِلَّا آمَنَ يَعْرِفَ اللَّهَ ، أَوْ آمَنَ كَانَ يُمْكِنُهُ
 أَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ تَعَالَى فَتَرَكَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ - وَفِي قَوْلِهِ لِسُلَيْمَانَ :
 ﴿ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً
 تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ
 عَرَفَ فَصْلَ (١) مَا بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالشُّوْقَةِ ، وَمَا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَعَرَفَ
 عِظَمَ (٢) عَرْشِهَا ، وَكَثْرَةَ مَا أُوتِيَتْ (٣) فِي مَلِكِهَا ، قَالَ : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فَعَرَفَ (٤) السُّجُودَ لِلشَّمْسِ وَأَنْكَرَ الْمَعَاصِيَ . ثُمَّ
 قَالَ : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٥) ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ سَجُودِهِمْ لِغَيْرِ اللَّهِ . ثُمَّ عَلِمَ
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ نَاسٍ
 كَثِيرٍ مِنَ الْمُمَيِّزِينَ الْمُسْتَدَلِّينَ النَّاطِرِينَ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾
 ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
 يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَضْل » بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، بِمَعْنَى الْفَرْقِ .

(٢) فِي ط : « عَظِيم » . وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ ، س .

(٣) س : « أُعْطِيَتْ » .

(٤) أَيْ الْهَدْمَ .

(٥) قَرَأَ حَفْصٌ وَعَلَى وَالْكَسَائِيُّ بِالتَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى الْخَطَابِ ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّحِيَّةِ عَلَى النَّفِثِ
 غَيْثُ النَّفْعِ ٢٤٥ وَابْنُ الْقَاصِحِ ٣٠١ .

وَلِأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي﴾ (١) بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِمَهْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وذلك أنها قالت : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣﴾ ، [ثم (٢)] قال سليمان للهدهد : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَسَأَتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [و] قال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ ٢٨ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَ شْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتسكليف والثواب ، والولاية (٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛ لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهدهد أن يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والذهري (٤) . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحزرة بإثباتها وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكرر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم ، تُقدّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب^(٢) ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ؛ فإن الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا من عُرْضِ الهداهد^(٥) ، فلم يوقع قوله على الهداهد بجملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، ولكِنَّه قَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلّ بذلك القصد على أنّه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، [وكذلك] حمار غزير ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس^(٧) ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبير ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهر الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالقوا بينهما ، رفعا للائتناس . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقل الناس أن يعمل عمل أجرا الناس ، كما لا يستطيع أجرا الناس أن يعمل أعمال أعقل الناس . فبأعمال المجانين والعقلاء عرفنا مقدارهما من صحة أذهانهما وفسادها^(١) ، وباختلاف أعمال الأطفال والكهول عرفنا مقدارهما في الضعف^(٢) والقوة ، وفي الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فصلنا^(٣) بين الجماد والحيوان ، والعالم وأعلم منه ، والجاهل وأجهل منه^(٤) . ولو كان عند السباع والبهائم ما عند الحكماء والأدباء ، والوزراء والخلفاء ٢٩ والأمم^(٥) والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمار تلك العقول . وهذا باب لا يخطئ فيه إلا المانيّة^(٦) وأصحاب الجهالات فقط . فأمّا عوام

(١) في الأصل : « وفسادها » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، ه : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالصاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » في تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأمم » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متنبئ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سمة صدر ، فنزحوا إليهم في أيام بنى أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم ، وكان يرى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فأنهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (ماني) وهي نسبة شاذة ، و (مانوي) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشنوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « هتاني » نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يُتفاضل بالبيان والحفظ ، وينسق المحفوظ ^(١) . فأمّا المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدار معارف الحيوان إلاّ بما يظهر منها ^(٢) . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحيّ والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : ما نعرف كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأنّ عيسى عليه السلام خلق من غير ذكرٍ وإنما خلق من أنثى ؛ وأنّ آدمَ وحواءَ خلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنّ عيسى تكلم في المهد ، وأنّ يحيى بن زكريّا نطق بالحكمة في الصّبا ، وأنّ عقيماً ألحق ، وأنّ عاقراً ولدت ^(٣) ، وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسق العادة ^(٤) . فالسبب الذي به عرفنا أنّه قد كان لذلك الهدهد مقدار من المعرفة ، دون ما توهمتم وفوق مامع الهدهد . ومتى سألتونا عن الحجة فالسبيل واحدة . ونحن نقرّ بأنّ من دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاء كاملين ، من غير تجاربٍ وتمرينٍ وترتيب . ففسألتكم عما ألهم الهدهد ، هي المسألة عمّا ألهم الطفل في الجنة .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقراً » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى ماألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ :

« وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ » .

فإن قال قائل : فإن [كان^(١)] ذلك القول كله ، الذي كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجلُ ابنه - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذب فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك قد حسنَ خطه ، وجاد حسابه ، وشدا من النحو [والعروض^(٢)] والفرائض^(٣) شدوا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [و^(٤)] أجاب في الفتيا بكلام فوق معاني الهدهد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق ذبحتك ؛ وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في الهدهد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام والدبك ، والعناق^(٦) والجدى . والذبح سبيلٌ من سبيل مناياهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقديم والتأخير ، وإلا بقدر صرف^(٧) ٣٠ ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذبح . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ه . وفي ط : « العرائض » ، صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الفرض » ، صوابه في س ، ه .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، ه : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين درّة^(١) . ولعلّ نتف جناحه ينفى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهداهد بعينه حقّ ما دلّت عليه الآية ، ولم نجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن^(٢) كمن ينكر قدرة الله على أن يُركّب^(٣) عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنّا لو تأولنا الذّبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم وإسماعيل^(٥) عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحًا في المعنى لغيره^(٦) - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا بن دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العيسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميداني (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « آدمي » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير في الذبيح منهما ، والأعراف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبيح فعلا على الكبش . س : « ذبحا في العين » ، صوابه في ط ، هـ .

القائل : أَمَا أَنَا فَقَدْ ذَبَحْتَهُ وَضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، وَلَكِن السَّيْفُ خَانِي . أَوْ عَلَى قَوْلِهِمْ : الْمَسْكُ الذَّبِيحُ ^(١) ، أَوْ عَلَى قَوْلِهِمْ : فَجِئْتُ وَقَدْ ذَبَحَنِي الْعَطَشُ - لَكَانَ ذَلِكَ مَجَازًا .

وَلَوْ أَنَّ صَبِيًّا مِنْ صَبِيَّانَا سُئِلَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فَرَضَ الْبُلُوغِ بِسَاعَةٍ ، [وَكَانَ ^(٢)] رَأَى مَلِكَةً سَبِيًّا ^(٣) فِي جَمِيعِ حَالَاتِهَا ، لَمَا كَانَ بَعِيدًا وَلَا مَمْتَنَعًا أَنْ يَقُولَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً مَلِكَةً ، وَرَأَيْتُهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَرَأَيْتُهَا تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وَتَعْصِي الرَّحْمَنَ . وَلَا سَبِيًّا إِنْ كَانَ مِنْ صَبِيَّانِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، أَوْ مِنْ صَبِيَّانِ الْأَعْرَابِ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْهَدَّهَدَ كَانَ مَسْخَرًا وَمَيْسَرًا ، مُضِيَّهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرَجُوعُهُ مِنْ سَاعَتِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الطَّيْرِ الْقَوَاطِعِ فَرَجَعَ إِلَى وَكْرِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ : نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ حِينَ مَضَيْتَ بَطَالًا هَارِبًا مِنَ الْعَمَلِ ، أَتُسَكِّدِي أَمْ تَنْجَحِ ، أَوْ تَرَى أُعْجُوبَةً أَوْ لَا تَرَاهَا . وَلَكِنَّهُ تَوَعَّدُهُ عَلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَنَافَرَهُ الْقَوْلُ ؛ لِيُظْهَرَ الْآيَةُ وَالْأَعْجُوبَةُ .

(طَعْنُ الدَّهْرِيَّةِ فِي مَلِكِ سُلَيْمَانَ)

ثُمَّ طَعَنَ فِي مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَلِكَةِ سَبِيٍّ ، نَاسٌ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ ، وَقَالُوا ^(٤) : زَعَمْتَ أَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ رَبَّهُ [فَقَالَ] : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾

(١) أَيْ الَّذِي شَقَّتْ فَارْتَهُ . وَفَارَةُ الْمَسْكُ : نَافِجَتُهُ ، أَيْ وَعَاؤُهُ .

(٢) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ ، وَهِيَ يَصْلُحُ الْكَلَامُ .

(٣) لَيْسَتْ فِي س . وَبَدَلَهَا فِي هـ : « سَبِيًّا » ، مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أُثْبِتَ مِنْ ط .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ » .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّكَهُ عَلَى الْجِنِّ فَضْلاً عَنِ الْإِنْسِ ، وَعَلَّمَهُ
 مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ ، فَكَانَتْ الْجِنُّ لَهُ خَوَلاً ، وَالرِّيحُ لَهُ مَسْخَرَةً
 ثُمَّ زَعَمَتْ - وَهُوَ لِمَا بِالشَّامِ وَلِمَا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْيَمَنِ مَلِكَةً
 هَذِهِ صِفَتُهَا . وَمَلَوْكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَا يَنْخِي عَلَيْهِمْ صَاحِبُ
 الْخَزَرِ ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ ، وَلَا صَاحِبُ الثُّوبَةِ . وَكَيْفَ
 يَجْهَلُ سُلَيْمَانُ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا ! وَلَيْسَ
 دُونَهَا بَحَارٌ وَلَا أَوْعَارٌ ؛ وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ ^(١) . فَكَيْفَ
 وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ طَوْعُ يَمِينِهِ . وَلَوْ كَانَ ، حِينَ خَبَّرَهُ الْمُهْدِدُ بِمَكَانِهَا ، أَضْرَبَ
 ٣١ عَنْهَا صَفْحًا ، لَكَانَ لِقَائِي أَنْ يَقُولَ : مَا أَتَاهُ الْمُهْدِدُ إِلَّا بِأَمْرٍ يَعْرِفُهُ . فَهَذَا
 وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فُسَادِ أَخْبَارِكُمْ .

قُلْنَا : إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَّاهَا اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلُهَا ، وَمَجَارَى أُمُورِهَا وَعَادَاتُهَا
 كَانَتْ لِعَمْرَى كَمَا تَقُولُونَ . وَنَحْنُ نَزْعُمُ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 كَانَ أَنْبَاءَ أَهْلِ زَمَانِهِ ؛ لِأَنَّهُ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ . وَكَانَ يُوسُفُ وَزِيرُ مَلِكِ مِصْرَ مِنَ
 النَّبَاهَةِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ ^(٢) ، وَلَهُ الْبُرْدُ ^(٣) ، وَلِإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ ،
 ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يُوسُفَ ، وَلَا يُوسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
 - دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ ، مَعَ النَّبَاهَةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَاتِّصَالِ الدَّارِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي التِّيهِ ^(٤) ، فَقَدْ

(١) طَرِيقُ نَهْجٍ : وَاضِحٌ . وَالْخَفُّ : أَيْ الْإِبِلُ . ط ، هـ : « الْخَفُّ »
 صَوَابُهُ فِي س .

(٢) النَّبَاهَةُ : الشُّبْرَةُ . ط ، هـ : « وَمَنْ » وَالْوَجْهَ حَذَفَ الرَّوَا ، وَالنَّصُّ فِي س
 « وَلِلْمَلِكِ النَّبَاهَةُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ » . وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

(٣) الْبُرْدُ : جَمْعُ بَرِيدٍ .

(٤) التِّيهِ ، هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ . قَالَ يَاقُوتُ : « وَهِيَ
 أَرْضُ بَيْنِ أَيْلَةٍ وَمِصْرَ وَبَحْرُ الْقَلْزَمِ وَجِبَالُ وَالْمَرْأَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » .

كانوا أئمةً من الأمم يتكسعون^(١) أربعين عاماً ، في مقدار فراسخٍ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وما كانت بلادُ التَّيه إلا من ملاءهم ومُنْتَزَهاَتهم^(٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك^(٣)] العسكرِ^(٤) الأدلاءَ والجمالين^(٥) ، والمكاريين^(٦) ، والفيوج^(٧) ، والرُّسلَ ، والتَّجارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامهم ، ورفع ذلك الفصل^(٨) من صدورهم .

وكذلك القول في الشَّيَاطِين الذين يسترِقون السَّمْعَ في كلِّ ليلةٍ ، فنَقُولُ^(٩) : إنَّهم لو كان كلما أراد مُريدٌ^(١٠) منهم أن يصعدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قد رُجِمَ صاحبه^(١١) ، وأنَّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحدٌ منهم مع الذِّكر والعِيان .

(١) تكسع : ذهب في ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسعون » والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون في الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليلكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكاريين : جمع مكار . والمكاري : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « بيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوج » ، صوابه في هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .

(٩) ط ، هـ : « فنقول » بالتاء ، صوابه في س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التردد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى ^(١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود ^(١) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصرف القلب عن ذكر ذلك الخبر ^(٣) ، دخل في حدة المستطعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا بشره الله بالظفر وتمام
الأمر ^(٤) بشر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كل حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة ^(٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع ^(٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكر الأختيار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالذال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون أو يفتنون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢ للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه . ولو طمع فيه لتسكفه ، ولو تكاف بعضهم ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شبهة لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسيلمة^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تعلّقوا بما ألّف لهم مُسيلمة من ذلك الكلام ، الذى يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يُقارنه . فكان لله ذلك التدبيرُ ، الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرى يريد من أصحاب العبادات والرسل ، ما يريد من

(١) س : « ليحتملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوءها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحأها » ، وقوله : « يا ضفدع نق نقى . كم تنقين . لالماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذى لَا يُقَرُّ إِلَّا بما أوجدَه العيان ، وما يجرى بجرى العيان - فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علم الدَّهْرِيُّ [أَتَنَّا نَعْتَقِدُ ^(١)] أَنَّ لنا رَبًّا يَخْتَرعُ الأجسامَ اختراعاً وأَنَّهُ حَيٌّ لَا بحياة ، وعالمٌ لَا بعلم ^(٢) ، وأَنَّهُ شَيْءٌ لَا ينقسم ، وليس بِذِي طُولٍ وَلَا عَرْضٍ وَلَا عُقْمٍ ، وَأَنَّ الأنبياءَ تحيى ^(٣) الموتى . وهذا كُلُّهُ عِنْدَ الدهرِيِّ مستنكرٌ ، وإِنَّمَا كانَ يكونُ لَهُ عَلَيْنَا سَبِيلٌ ^(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جأزاً فى القياس ، واحتجنا إلى تثبيتِ الرُّبُوبِيَّةِ وتصديقِ الرِّسالةِ ، فإذا كانَ ذلكَ جأزاً ، وكانَ كونه غيرَ مستنكرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظلمٍ ، ولا عيبٍ ، فلم يبقَ لَهُ إِلَّا أنْ يسألنَا عن الأصلِ الذى دعا إلى التَّوْحِيدِ ، وإلى تثبيتِ الرسل .

وفى كتابنا المنزل الذى يدلُّنا على أَنَّهُ صِدْقٌ ، نَظَّمَهُ البديع الذى لَا يقدر على مثله العباد ، مَعَ ما سِوَى ذلكَ من الدَّلَائِلِ التى جَاءَ بها مَنْ جَاءَ بِهِ .

وفيه مسطور أَنَّ سليمانَ بنَ داودَ غَبَرَ حِيناً - وهو مَيِّتٌ - معتمدٌ على عصاه ، فى الموضع الذى لَا يُحْجَبُ عَنْهُ إنْسِيٌّ وَلَا جِنِّيٌّ ، والشَّيَاطِينُ مِنْهُمْ الْمَسْكُودُ بِالْعَمَلِ الشَّدِيدِ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ الْحَبُوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحيى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإِنَّمَا كانَ يكونُ لَهُ علة » .

(٥) المسكود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ما أثبت

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَغَوَاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تَجَاهَ أَعْيُنِهِمْ (٢) ، فَلَهُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةً وَجُوهَ الْمَوْتِ ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتِ . وَثَبَتَ قَائِمًا مُعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسَنِ ، ٣٣ وَنَفُوذِ الْبَصَرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى بِهَذَا الْمَسْكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَذْنَى ذَلِكَ أَنْ نَظْنَ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُوا (٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبَّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجواب : جمع جابية ، وهو الخوض الجامع . وإثبات الباء في آخر الكلمة وصلا ووقفًا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفًا قراءة الباقيين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفَةُ ^(١) التي يُلقِيها الله تعالى على قَلْبٍ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا ^(٢)]
 أَنَّ الله يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الأَوْهَامَ كيف شاء ، ويذَكِّرُ بما يشاء ، ويُنَسِّيَ
 ما يشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ ورَبَضِهِ ^(٣) ، وخاصَّتُهُ ، ومن
 يخدمه من الجنِّ والإنسِ والشَّيَاطِينِ ، على الإطباقِ بأنَّه حَيٌّ . كذلك
 كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعروا به كانوا على ما لم
 يزالوا عليه . فعَلِمْنَا أَنَّ الجنَّ والشَّيَاطِينِ كانت تُوهِمُ الأغبياءَ والعَوَامَّ ،
 والحَشَوَةَ ^(٤) والسَّقَلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ — والشَّيَاطِينِ لا تعلم
 ذلك — فأراد الله أَنْ يكشفَ مِنْ أَمْرِهِم للجُحَالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماءِ . فبهذا
 وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرونَّ ^(٥) بالحججِ الاضطراريَّةِ
 فليس لخصومتنا حيلةً إلَّا أَنْ يوافقُونَا ^(٦) ، وينظروا في العلَّةِ التي اضطرتنا
 إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إلَّا الصَّحِيحَ . وإن
 كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّمَّا أَتَيْنَا مِنْ تَأْوِيلِنَا ^(٧) .

وأما قوله : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يَكُونُ بِالْحَبْسِ ، كما قال الله

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س :
 « الصدقة » صوابهما في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الرض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به البدن من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يوافقونا ، بتقديم القاف ، من الموافقة ، وهى أن يقف المرء مع غيره في خصومة
 ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبننا . وفي الأصل : « أتينا » ولا يصح بها الكلام .

ط ، ه : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم »
 مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عز وجل : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .
ولمَّا كانوا مُحَيِّسِينَ (١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى (٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى بقوم في أقل من عشر ساعة (٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحل الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربما قتل الأسد ، وما أكثر ما يلحق
بصاحب (٤) السيف والرمح ، فيضربه بِنَابِهِ ، فيقطع كل ما لقيه من جسده :
من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربما احتال أن ينبطح (٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغنى ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أروغ من ثعلب ، إذا أرادته الفارس . وإذا (٦) عدا أطمع
في نفسه كل شيء ، وإذا طولب أعيا الخيل العتاق . والخنزير مع ذلك أنسل

(١) الخيس ، هو من قوطم : إبل مخيسة : لا تمرح . ط : « محبوسين » وهي
صيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتنى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ينبطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الخنزيرة تَضَعُ عِشْرِينَ خِنُوصاً ، وهو مع كثرة إنساله - مِنْ أَقْوَى الفُحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ، فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعَ لِلْفُحُولَةِ (١) .

٣٤ . وَإِذَا كَانَ الْكَلْبُ وَالذَّبُّ مَوْصُوفَيْنِ بِشِدَّةِ الْقَلْبِ ؛ لَطُولِ الْخَطْمِ (٢) ، فَالْخَنَزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ .

وَالْفِيلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلَكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغاً (٣) ، وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِخُرْطُومِهِ ، وَخُرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالْخَطْمُ غَيْرُ الْخُرْطُومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهو طيبُ لحمه ولحمُ أولاده (٤) . وإذا أرادوا وصفَ اختلاط (٥) وَدَكَ الْكَرْكِيِّ (٦) فِي مَرَقِ طَيْبِخٍ ، قَالُوا : كَانَ إِهَالَتُهُ إِهَالَةَ خَنَزِيرٍ (٧) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهَا (٨) الْجَمُودُ . وَسُرْعَةُ جَمُودِ إِهَالَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَجْمَعَ الْفُحُولَةُ » وَلَا تَصِحُّ . وَفِي ط ، هـ زِيَادَةٌ : « بِهَذَا » فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ الْبَابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الْخ . وَاثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ س ، هـ .

(٤) بَدَلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي هـ : « وَلَهُ طَيْبُ لَحْمِهِ » فَقَطْ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَاقِطَةٌ مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي هـ . وَفِي ط ، س : « اخْتِلَافٌ » .

(٦) الْكَرْكِيُّ ، بِالضَّمِّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَبْتَرُ الذَّنْبِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ : Crane . قَالَ الدَّمِيرِيُّ : « وَلِلْمَلُوكِ مَصْرُ وَأَمْرَاتُهُمَا فِي صَيْدِهِ تَغَالُ لَا يَدْرِكُ حَدَّهُ ، وَإِنْ تَفَاقَ مَالٌ لَا يَسْتَطَاعُ حَصْرُهُ وَعَدَهُ » . ط : « الْكَرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٧) الْإِهَالَةُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالْوَدَكُ : الدَّمُ . هـ : « أَهَالُهُ إِهَالُ خَنَزِيرٍ » ، مُحَرَفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مُحَرَفٌ .

الماعز في الشتاء عيب . وللضأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عظمٌ واحتيجَ إلى صِلتهِ في بعض الأمراض لم يلتجئ به إلاَّ عظمُ الخنزير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرب فصاح لم يكن السامعُ يفصلُ بينَ صوتِهِ وبينَ صوتِ صبيٍّ مضروبٍ (١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباقِ جميعِ الأممِ على شهوةِ أكله واستطابةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخقة ونحوها)

والمجوس يزعم أنَّ المنخقةَ والموقوذةَ والمترديةَ (٢) ، وكلَّ ما اعتُبط ولم يمت حتفَ أنفه (٣) ، فهو أطيبَ لحمًا وأحلى ؛ لأنَّ دمه فيه ، والدم حلوٌ

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتفَ أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، ه : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت . وبدلها في س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمَ . وإنما عافَهَ مَنْ عافَهَ من طَرِيقِ العادة والديانة ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذي يَكُونُ في أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومُ الجرِّيِّ والضُّبابِ^(١) على مثل ذلك ، وشَغِفَ بِهِ آخرون .

وقد كانت العربُ في الجاهليَّةِ^(٢) تأكل دمَ الفصْدِ^(٣) ، وتفَضِّلُ طعمه ، ومُنْجَبَرٌ عَمَّا يورثُ من القوَّةِ .

قال : وأىُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ من الدَّمِ ، وهل اللَّحْمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللَّحْمُ شحماً ؟ ! ولكنَّ الناسَ إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذَلِكَ كاسِراً لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ في حسنِها^(٤) ، فَإِنَّهُ ليس في الأرضَ جسمٌ لم يصبغَ أحسنَ منه^(٥) . وَلَوْلا معرفَتُهُمْ بقتلِها وإحراقِها وإتلافِها ، والألمَ والحرقَةَ المولدين^(٦) عنها ، لتضاعفَ ذلك الحُسْنُ^(٧) عِنْدَهُمْ . وإنَّهُمْ لَيَرَوْنَهَا

(١) الجرِّي ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصدِه في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، هـ ، س . وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يستحسنُ قَدْ السَّيفِ وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذي هُيئَ له ، بدا له في أكثر ذلك ^(١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعداوة الحيات ^(٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حقَّ تربية ، ثمَّ رأوا شيئاً من هذه الحيات ^(٣) البيض ، المنقشة الظهور - كما بيئتها ونوموها إلا في المهدي ، مع صبيانهم .

(ردُّ على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة ^(٤) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق

العبادة والمحنة ، وليس أن جوهر شيء من المأكول ^(٥) يوجب ذلك . ٣٥
وإنما قلنا : إنا وجدنا الله تعالى قد مسحَ عباداً من عباده في صور الخنزير [دونَ بقية ^(٦) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعلْ ذلك إلا لأُمُورٍ اجتمعت في الخنزير ^(٧)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقلْ إلا هذا

(١) بدا له : أي نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، هـ .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ سمي وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهي المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتلى المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) هـ : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيُقْعَى وَيَحْكَى ، وَيَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ بِيَدَيْهِ وَيَضْعُهُ فِي فِيهِ ، وَلَهُ أَصَابِعُ وَأَظْفَارُ ، وَيَنْتَقِي ^(١) الْجُوزَ ، وَيَأْنَسُ الْأُنْسَ الشَّدِيدَ ، وَيَلْقَنُ بِالتَّلْقَيْنِ الْكَثِيرِ ، وَإِذَا سَقَطَ فِي الْمَاءِ غَرِقَ وَلَمْ يَسْبَحْ ؛ كَالْإِنْسَانِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ السَّبَاحَةَ . فَلَمْ تَجِدِ النَّاسَ لِلَّذِي اعْتَرَى الْقِرْدُ مِنْ ذَلِكَ — دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ عِلَّةً — إِلَّا هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتَهَا ^(٢) ، مِنْ مَنَاسِبَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ قَبْلِهَا .

وَيُحْكَى عَنْهُ مِنْ شِدَّةِ الزَّوْاجِ ، وَالْغَيْرَةِ عَلَى الْأَزْوَاجِ ، مَا لَا يَحْكَى مِثْلُهُ إِلَّا عَنِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّ الْخَنَزِيرَ يَغَارُ ، وَكَذَلِكَ الْجَمْلُ وَالْفَرَسُ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَزَاجُ . وَالْجَمَارُ يَغَارُ وَيَحْمِي عَانَتَهُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ^(٣) ، وَيَضْرِبُ فِيهَا كَضْرِبِهِ لَوْ أَصَابَ أَتَانًا مِنْ غَيْرِهَا . وَأَجْنَسُ الْحَمَامِ تَزَاجُ وَلَا تَغَارُ .

وَاجْتَمَعَ فِي الْقِرْدِ الزَّوْاجِ وَالْغَيْرَةِ ، وَهُمَا خَصْلَتَانِ كَرِيمَتَانِ ، وَاجْتِمَاعُهُمَا مِنْ مَفَاخِرِ الْإِنْسَانِ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانِ . وَنَحْنُ لَمْ نَرَ وَجْهَ شَيْءٍ غَيْرِ الْإِنْسَانِ أَشْبَهَ صُورَةً وَشَبَهَا ، عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ، وَلَا أَشْبَهَ فُأً وَوَجْهًا بِالْإِنْسَانِ ، مِنَ الْقِرْدِ . وَرُبَّمَا ^(٤) رَأَيْنَا وَجْهَ بَعْضِ الْحَمَرِ ^(٥) إِذَا كَانَ ذَا خَطْمٍ ، فَلَا نَجِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِرْدِ إِلَّا الْيَسِيرَ .

(١) أصله من قولهم : نَقَى الْعِظَمَ نَقْيًا : اسْتَخْرَجَ نَقِيَّهُ . وَالتَّقَى بِالْكَسْرِ : مَخَّ الْعِظَامَ وَشَحْمَهَا . فَالْمَعْنَى يَسْتَخْرِجُ لُبَ الْجُوزِ .

(٢) س : « ذَكَرْنَاهَا » .

(٣) الْعَانَةُ : جَمَاعَةُ الْحَمَرِ الْوَحْشِيَّةِ .

(٤) ط : « وَبِمَا » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، هـ .

(٥) لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْحَمَرِ هُنَا الرُّوسُ . وَجَاءَ فِي التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ ١٢٢ : « وَالرُّومُ تَسْمِيهِمْ رُوسِيَا . مَعْنَى ذَلِكَ : الْحَمَرُ » . فِي الْأَصْلِ : « بَعْضُ وَجْهِ الْحَمَرِ » .

(أمثال فى القرد)

وتقول ^(١) الناس : « أَكَيْسٌ مِنْ قِشَّةٍ ^(٢) » ، و « أَمْلَحُ مِنْ رُبَّاحٍ ^(٣) »
ولم يقل أحد : أكيس من خنزير ، وأملح من خنوص . وهو قول العامة :
« القرد قبيحٌ ولسكنه مليح » .

(كفّ القرد وأصابه)

وقال النَّاسُ فى الضَّبِّ : إنه مِسْخٌ . وقالوا : انْظُرْ إِلَى كَفِّهِ وَأَصَابِهِ .
فَكَفَّ الْقَرْدُ وَأَصَابَهُ ^(٤) أَشْبَهُ وَأَصْنَعُ . فَقَدِمَتْ الْقَرْدُ عَلَى الْخَنْزِيرِ مِنْ
هَذَا الْوَجْهِ .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وَأَمَّا الْقَوْلُ فى لحمه ، فَإِنَّا لَمْ نَزْعَمْ أَنَّ الْخَنْزِيرَ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِى
مُسَخَّ ، وَلَا هُوَ مِنْ نَسْلِهِ ، وَلَمْ نَدْعُ لَحْمَهُ مِنْ جِهَةِ الْاسْتِغْذَارِ لَشَهْوَتِهِ فى الْعَذْرَةِ ،
وَنَحْنُ نَجِدُ الشَّهْوَطَ وَالْجُرَى ^(٥) ، وَالذَّجَاجَ ، وَالْجِرَادَ ، يَشَارِكُنُهُ فى ذَلِكَ ،
وَلَكِنْ لِلْخِصَالِ الَّتِى عَدَدْنَا مِنْ أَسْبَابِ الْعِبَادَاتِ . وَكَيْفَ صَارَ أَحَقَّ بِأَنْ تَمْسَخَ
الْأَعْدَاءُ ^(٦) عَلَى صُورَتِهِ فى خَلْقَتِهِ .

(١) س : « ويقول » .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجري : ضربان من ضروب السك . وانظر مثل هذا الكلام

فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرّة لعبيد الكلابي - وأظهر من حبّ الإبل والشّعف بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أيّنها وبينكم قرابة ^(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إني والله ما أعني البَخَاتِيَّ ، ولكنّي أعني العَرَابَ ، التي هي أعرب ! قلت له : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرًا ! قال : الله لا يمسحُ الإنسانَ على صورةٍ كريمٍ ، وإنما يمسحه على صورةٍ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد ^(٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ ^(٣) تكلم على فطرته .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤) .
وقد طعن ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغير علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجيء ^(٥) في كلّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السّنة فرق .

٣٦

(١) س : « أيّنكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، ه : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافي .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر ، أي قرية منه .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »

أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » :

ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، ه : « يجيء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرة والأبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السمك الأسبور ^(١) ، فيعرفون وقت مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقت انقطاعه ومجيئ غيره ، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتى يُقبِل السمك من ذلك البحر ، في ذلك الأوان ، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة ، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس . ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أَسْمَنَ ، وهو الجواف ^(٢) ، ثم يأتيهم الأسبور ^(٣) ، على حساب مجيء الأسبور ^(٤) والجواف . فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج . وذلك معروف عند البحرين . وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة ^(٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقت قطعها المعروف ^(٦) ، وفي وقت رجوعها . ومع ذلك أصناف من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » محرف .

(٢) في الأصل : « الجواف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأسبور » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأسبور » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « آل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشبه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإرْبِيَّان^(١) ، والرَّقَّ^(٢) ، والكَوْسَج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والبرَسْتُوج^(٥) . وكلُّ ذلك مَعْرُوفُ الزَّمانِ ، متوقَّعُ المخرَجِ .
وفي السّمكِ أَوْبَدٌ وقواطعُ ، وفيها سِيَّارَةٌ لا تَقِيمُ . وذلك الشَّبهُ يُصَابُ .
ولذلك صارُوا يَتَكَلَّمُونَ بِخَمْسَةِ السَّنَةِ^(٦) ، يَهْدُونَهَا^(٧) ، سَوَى ما تَعَلَّقُوا به
من غيرِها .

ثمَّ القواطعُ من اللطيرِ قد تأتينا إلى العِراقِ منهم^(٨) في ذلك الإِبَّانِ
جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطَعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ في وقتها .

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،
كما في معجم المملوك . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦)
وفي الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحري كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السمك الذى يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرنوح » و س :
« الكرنوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذا الحديث يهذه : سرده . وفي الأصل : « يهدونها » بالدال المهملة ،
ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبى النمل ادخلوا
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس
ينبغي لها أن تدرى القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني
رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

(رد على المترض)

قُلْنَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمَ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَاوَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيحِ ، وَالْأَسَابِيحُ تَدُورُ مَعَ شُهُورِ
 الْقَمَرِ ^(١) . وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتِوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، وَفِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانِ قَوَاطِعِ
 السَّمَكِ ^(٢) وَهَيَّجَ الْحَيَوَانَ وَطَلَبَ السَّفَادَ ، وَأَزْمَانَ الْفَلَاخَةِ ، وَأَوْقَاتِ
 الْجَزْرِ وَالْمَدِّ ؛ وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْفَضُّ ^(٣) الْوَرَقَ وَالثَّارَ ؛
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ ^(٤) ، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا ^(٥) وَالطَّيْرُ كَيْفَ
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

وَلَوْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : إِنِّي نَسِيتُ ^(٦) [قُلْنَا لَهُ : وَمَا آيَتُكَ ؟ وَمَا عَلَامَتُكَ ؟ ٣٧
 فَقَالَ : إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينِ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأُسْبُورُ ^(٧) ، مِنْ جِهَةِ
 الْبَحْرِ — ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا بِهِ . وَلَوْ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
 أَوْ يَوْمُ الْأَحَدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأُسْبُورُ ^(٧) ، حَتَّى لَا يَزَالَ يُصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

(١) ط : « القمرية » ، صوابه في س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه في س .

وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسليخ من بابي نصر ومنع ، وانسلخت تسليخ : إذا انسرت من

جلدها . جاء في س : « تسليخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س

وموضعها في ط ، ه بعد كلمة « تسليخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل يتصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراراً إذا عايننا الذي ذَكَرَ على نَسَقِهِ أَنَّهُ صادق ، وأنه لم يعلم ذلك إلا من قَبْلِ خَالِقِ ذَلِكَ ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرنا بعجيب ما نرى من مطالع الشُّجُوم ، ومن تناهى المدَّ والجُزر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ومحاقه ^(٢) ، واستساراه ^(٣) . وكلُّ شيء يأتى على هذا النَّسَقِ من المجارى ، فإنَّما الآيَةُ فيه لِلَّهِ وحده على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعة ^(٤) ولأهل مُرسى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدولٍ : تأتِيكم الحِيتانُ فى كلِّ سبت . أو قال : فى كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ فى الشَّتاءِ والصَّيفِ ، والرَّبيعِ والحريفِ . والسَّبْتُ يتحوِّلُ فى جميعِ الأزمانِ . فإذا كان ذلك كانتُ تلك الأعجوبة ^(٥) فيه دالَّةً على توحيدِ الله تعالى ، وعلى صِدْقِ صاحبِ الخبرِ ، وأنه رسولٌ ذلك المسخَّرُ لذلك الصَّنَفِ . وكان ^(٦) ذلك الحِجْبُ خارجاً من النَّسَقِ القائمِ ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

(١) بدله فى ط ، هـ : « السبك » .

(٢) الحاق ، مشاة : آخر الشهر د أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستمر القمر فلا يرى غلوة ولا عشية .

(٣) استمرار القمر : أن يختفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . فى ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة فى ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنة الخنازير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مَنُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذكر أنه مسخ ناساً خنازير قد ذكر القُرود^(١) . ولم يذكر أنه مسخ قوماً خنازير ، ولم يمسح منهم قروداً^(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة^(٣) أشنع ؛ إذ كان المسح على صورتها^(٤) أعظم^(٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذي قد ذكر أنه قد مسخ ناساً قروداً فقد كان مسخ ناساً خنازير . فلم يدع ذكر الخنازير وذكر القروداً^(٦) إلا والقروداً في هذا الباب أوجع وأشنع وأعظم في العقوبة ، وأدل على شدة السخطة^(٧) . هذا قول بعضهم .

(١) س : « قرودا » ، وفي ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أي أنه عند ذكره مسخ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسح بالقروود ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفي الأصل : « ولم يذكر أنه مسخ قوما قرودا ولم يمسح منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) في الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .

(٤) في الأصل : « على صورتها » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتي .

(٦) أي وحدها ؛ إذا قال في سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنازير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنازير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحريك ، وبضمين ، وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السِّباع الحَظْم ، والخرطوم - وقد يقال ذلك للخنزير - والفِنْطِيسَة^(١) ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَأَنَّ فَنَاطِيسَهَا كِرَاكِرُ الْإِبِلِ^(٢) » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خنزيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًّا . وذكر أنَّ خَنَازِيرَ بعضِ البُلدانِ يكون لها ظِلْفٌ واحد ، ولا يكون بأَرْضِ نَهَاوَنْدَ حِمَارٍ ؛ لشدَّةِ بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمَارَ صَرِدٌ .
وقال : فى أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شيءٌ من الخُلْدِ^(٣) ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتًا . وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقْلِيَّةَ^(٤) لا يَكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أقرشان^(٥) . ٣٨

-
- (١) الفِنْطِيسَة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفِنْطِيسَة والفِرطِيسَة والأرنبة ، أى هو منيع الحوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فِنْطِيسَتِهِ وفِرطِيسَتِهِ : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .
(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « فَنَاطِيسَهَا » ، وفى س : « فَنَاطِيسَه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .
(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .
(٤) صقلىة ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أصقلىة » ولعلها لغة فى تعريبها .
(٥) س : « أقرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسيح)

وأهل الكتابين ^(١) يُنسكرون أن يكونَ الله تعالى مسيخَ النَّاسِ قروداً
وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَرًا ^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جنبْنَا التكلفَ ، وأعِزَّنَا من الخطلِ ، واحمِنَا من العَجَبِ بِمَا
يكونُ مِنَّا ، والثقةَ بِمَا عندنا ، واجعلْنَا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوْحُ الكاتب
ورجالٌ من بني العنبرِ ، أن عندهم في رمال بلعنبرِ حَيَّةٌ تصيدُ العَصَافيرَ
وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ
بلعنبرِ ، وامتنعت الأرض على الخافى والمنتعل ، ورَمِضَ الجندب ^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من القوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونيات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمح مركوز ، أو عودٌ ثابت^(١) ، فيجىء الطائر الصغير أو الجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود . فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جعلاً أو بغض مالا يشبعها مثله ، ابتلعه^(٢) وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على رأسها طائراً يشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دائماً ما منع الرمل جانبها^(٣) في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عودٌ ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للجرباء^(٤) ، إلى أن يسكن الحر ووهج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة . وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة أكتراث الحية بالرمل الذي عاد كالجمر^(٥) ، وصلاح أن يكون ملةً وموضعاً للخبرة^(٦) ، ثم [أن^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافي الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « ثابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والهرباء : بالسكس : دويبة من العظام بطيئة حركة تتلون ألواناً : Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها نتوءاً فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبرة ، بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ من الصَّقالِبَةِ ، خصيانٌ وفحول ، أَنَّ الحَيَّةَ فى بلادهم تأتى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتطوى على فخذِها^(٣) ورُكبتِها إلى عراقيها ، ثم تُشخص صدرها نحو أَخلافِ ضَرْعِها ، حتى تَلْتَقِمَ الخِلْفَ ؛ فلا تستطيع البقرة [مع قوَّتِها^(٤)] أَنْ تَتَرَمَّرمَ^(٥) . فلا تزالُ تَمصُّ اللبن ، وكلما مصَّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أَنَّ تلكَ البقرةَ إما أَنْ تموتَ^(٦) ، وإما أَنْ يصيبَها فى ضَرْعِها فسادٌ شديدٌ تَعْسُرُ مداواته^(٧) .

والحَيَّةُ تَعْجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإِناءَ غيرَ مَحْمَرٍّ^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضَرْعِها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخلى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإِناء : غطاءه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ ^(١) ، وَرُبَّمَا جَحَّتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهُ كَثِيرٌ .

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ مُحْتَضَرٌ ^(٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعَمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثَّوْبَ الْمُعْصَمَرَ مُحْتَضَرٌ ^(٣) . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعْجِبُ بِهِ الْحَيَاتِ)

وَالْحَيَّةُ تُعْجَبُ بِاللَّفَاحِ ^(٤) وَالْبَطِيخِ ^(٥) ، وَبِالْحُرْفِ ^(٦) ، وَانْخَرَدَلَ الْمُرْخُوفُ ^(٧) ، وَتَكَرَّهَ رِيحَ السَّدَابِ ^(٨) وَالشَّيْحِ ، كَمَا تَكَرَّهُ الْوَزْغُ رِيحَ الزَّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكَرَوْعَا : تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِيهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضَرٌ ، بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ الْمَفْتُوحَةُ : تَحْضَرُهُ الْجَنُّ فَيَا يَزْعُمُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضِرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضِرٌ » س : « مُحْتَضِرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ السَّابِقَ .

(٤) الْفَاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتُ عَرِيضِ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ التَّفَاحِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدِ الْعَفْصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضَجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّامِ تَفَاحُ الْجَنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالسَّرْيَانِيَةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ : « هَزَارُ كَشَاي » أَيْ يَحِلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّعْمُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَظُوا الْبَطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَعِصِمُهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَا يَرُونَ .

(٦) الْحُرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرِّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَاسْتَرْخَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرَفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « الْمَزْخَرَفُ » وَفِي س : « الْمَرْخُوفُ » بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانْظُرِ لِلْعَقْدِ (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية ، إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أو في صدع إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبها بكلتا^(١) يديه أن يخرجها ؛ لشدة اعتمادها ، وتعاون أجزاءها . وليست بذات^(٢) قوائم لها أظفار أو مخالب أو أظلاف^(٣) ، تُنشبها في الأرض ، [و^(٤)] تثبت بها^(٥) ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لدنة^(٧) ملساء على^(٨) الرقيق^(٩) في أمرها عند ذلك ، أن يرسلها من يديه بعض الإرسال ، ثم ينشطها^(٩) كالخطف والمخنس ، وربما انقطع فنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنان الأفاعي فإنها تثبت .

-
- (١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف .
 وفي ط ، هـ : « بكتي » ، وهو خطأ .
 (٢) في الأصل : « يدي » ، ووجه ما أثبت .
 (٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه في س .
 (٤) الزيادة من س ، هـ .
 (٥) س : « تثبت فيها » .
 (٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .
 (٧) علىكة ، كفرحة : من قولهم طعام مالِك وعاك ، ككتف : متين المضغ . ط ، هـ : « من أنها » ، وإذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضي انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علىكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .
 (٨) س : « ففتحنا إلى الرفق » ، وهي عبارة لاتسار باقي الكلام .
 (٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب ^(١) ما فيها من هذا الباب ، أن نابتها يُقَطَّع بالكاز ^(٢) ،
فينبت حتى يتم نباته في أقلّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخطّاف في هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنّ الخطّاف ^(٣) إذا قُلعتْ
إحدى عينيه رجعت . وعينُ البردّونِ يركبها البَيَاضُ ، فيذهب في أيّامٍ
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتالُ له بأن يُدخلَ في فيها مُمَخَصَّ أَرْج ^(٤) ، ويطبق
لحيّتها ^(٥) الأعلى على الأسفل ، فلا تقتل بعَضَتها أيّاماً صالحة .
والمغناطيس الجاذب ^(٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم ^(٧) ،
لم يجذب الحديد .

-
- (١) س : « أعاجيب » .
(٢) الكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالسكار » صوابه في س ،
ه ومعجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .
(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، ه . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .
(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .
(٥) اللحي ، بالفتح : العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، ه : « لحيّتها »
بالثنية ، صوابه الإفراد كما في س .
(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر
التون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .
(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك الثبت المعروف . س : « عليها » وهي على الصواب
في ط ، ه . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدور عينها في رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها^(١) تحطّم في جوفها ، فترى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تُذبح حتى يُفَرى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك أياماً لا تموت . وأمرت^(٢) الحاوى فقبض على خرزة^(٣) عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً^(٤) . فما فتح بينها بقدر سمّ الإبرة حتى بردت ميّته^(٥) . وزعم أنه^(٦) قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيه بذلك ، ثم إنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطرف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج ببيضها . ط : « طرقت ببيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلا رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَمْسُوحِ الْبَدَنِ ^(١) ، لَيْسَ بِذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلٍ ^(٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ ^(٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب ^(٤) قال : باعني حَوَاضٌ ثَلَاثِينَ أَعْفَى بَدِينَارِينَ ،
وأهدى إليَّ خَسَاءً اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ ^(٥) ، فِي تِلْكَ الصَّحَارَى عَلَى
شَاطِئِ دَجْلَةٍ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يِعَالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانَ الصَّيْدَلَانِيَّ . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِيُّ
بَعِينُهُ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ؛ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ ^(٦) ، وَحَرَكْتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ ^(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالخاء المعجمة ، وقد فسر به بما

ساقى . وفي الأصل : « مسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسك » .

(٤) س : « أحد بني غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده

اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهتم بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً^(١) لم يُفْلِحْ بعدها أبداً . ولكني
سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه
[إلى (٢)] الجونة^(٣) ، فيَغْفِلُ^(٤) الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من
الطَّرَفِ^(٥) ، ثمَّ يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعابٌ أبيض ، فيقول :
هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جَوْلَةً . وقطرت من ذلك اللعاب
قطرةً على طَرَفِ قيصِرِ الصيدلاني . قال : فَتَفَشَّى^(٦) ذلك القاطرُ حَتَّى
صار في قدر الدرهم العظيم . ثمَّ إِنَّ الحوَّاء امتَحَنَ ذلك الموضعَ قهافت

(١) النقر ، بالقاف : أصله للطير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد
في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهشيارى (في كتاب الوزراء
والكتاب) بشأن حية مر بهارجل فقالت له : أدخلني في كلك حتى أدفأتم أخرج .
فأدخلها فلما دفنت قال لها : اخرجي ! فقالت : إني ما دخلت في هذا المدخل قط
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل
أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأفاقي :
نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاي معجبة ، كما سيأتي في ص ٢٥٣ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سلية (تصغير سلة) مغطاة أداما (أى جلدا مدبوغا) تكون
مع الطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالحاء ، صوابه في س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيغفل » . يقال
تغفله واستغفله : تحييت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين .
س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تفشى الخير : إذا كتب على كاغد
رقيق فتشى فيه » . ط ، س : « فتشى » بالعين بدل الفاء ، ووجهه
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحَةً ^(١) [تجول] في الطست ويكدم ^(٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثه بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من ^(٣) قيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت ^(٤) حتى مررت معي إلى الصيدلاني ، فأريتته موضعه .
وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في الدم . إلا أن أحمد ابن المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضرب الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أي الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسيح الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والنور ، والسنانير والأفاعى ، فبينما نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة ^(٥) ، فقال له : حدثهم بالذي حدثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أفاع ^(٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قبلهما .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر اللراء من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معمولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كُنْ عِنْدِي ، لِأُرْمِيَ بِهَا ، وَأَغْفَلْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ رَأْسًا وَاحِدًا ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي
تَجَاهَ السَّرِيرِ فِي الظُّلْمَةِ فَرَأَيْتُ ضِيَاءً إِلَّا أَنَّهُ ضَيْئِلٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ، فَقُلْتُ :
عَيْنُ غُولٍ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ السَّعَالَى ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْمَعَانِي ،
فَقُمْتُ فَقَدَحْتُ نَارًا ، وَأَخَذْتُ الْمَصْبَاحَ مَعِيَ ، وَمَضَيْتُ نَحْوَ السَّرِيرِ فَلَمْ أَجِدْ
تَحْتَهُ إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى (١) ، فَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ وَنَمْتُ (٢) وَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَإِذَا
ذَلِكَ الضُّوْءُ عَلَى حَالِهِ ، فَهَضُمْتُ فَصَنَعْتُ كَصَنِيعِ الْأَوَّلِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ
مِرَارًا . قَالَ : فَقُلْتُ آخِرَ مَرَّةٍ : مَا أَرَى (٣) شَيْئًا إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ، فَلَوْ نَجَّيْتُهُ !
فَنَجَّيْتُهُ وَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنَامِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَرِ الضُّوْءَ ،
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عَيْنِ الْأَفْعَى ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا الْأَمْرُ حَقٌّ ، وَإِذَا هُوَ
مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(قُوَّةُ بَدَنِ الْحَيَّةِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ)

قَالَ : وَرَبَّمَا قَبْضَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ الْأَسْرِ وَالْقُوَّةِ الْقَبِضَةَ عَلَى قِفَا الْحَيَّةِ
فَتَلْتَفْتُ عَلَيْهِ فَتَصَرَّعُهُ . وَفِي صُغُودِهَا وَفِي سَعِيهَا خَلْفَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ
الْخَضِرِ ، أَوْ عِنْدَ هَرَبِهَا حَتَّى تَفُوتَ وَتَسْبِقَ ، وَلَيْسَتْ بِذَاتِ قَوَائِمٍ ، وَإِنَّمَا

(١) الْأَفْعَى مُؤَنَّثَةٌ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ اسْمًا وَوَصَفًا . فَنَ جَعَلُهَا وَصْفًا لَمْ يَصْرَفْ كَمَا
لَا يَصْرَفُ أَحْمَرٌ ، وَمَنْ جَعَلُهَا اسْمًا صَرَفَ ، كَمَا صَرَفَ أَرْنَبًا وَأَفْكَلًا . الْمُخَصَّصُ
(١٦ : ١٠٦) . هَذَا قَوْلُ الْفَارَسِيِّ . وَقَالَ غَيْرُهُ : « الْأَفْعَى تَقَعُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ » .
الْمُخَصَّصُ (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « وَنَمْنَا » ، وَنَامَ هُنَا بِمَعْنَى رَقَدَ .

(٣) ط ، هـ : « لَا أَرَى » .

تنسابُ عَلَى بطنها . وفى تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفى حَرَكَةِ الكلِّ^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربما كان فى البَضْعَةِ أو فى الشئِ الذى ابتلعته عَظْمٌ ، فتأتى جِذَمَ شَجَرَةٍ ، أو حَجَرًا شاخصا^(٢) فتنتوى عليه انطواءً شديدا فيتحطم^(٣) ذلك العَظْمُ حَتَّى يَصِيرَ رُفَاتًا .

ثمَّ يَقْطَعُ ذَنْبُهَا فَيَنْبِت . ثمَّ تعيشُ فى الماء ، إن صارت فى الماء ، بعد أن كانتَ برِّيَّةً ، وتعيشُ فى البرِّ بعد أن طال مُكْنُها فى الماء وصارت مائيَّةً .

قال : وإِنَّمَا أَتَتْهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ ، واشتدَّتْ فِقْرُ ظَهْرِهَا هَذِهِ الشَّدَّةُ ؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أَنَّ لها من الأضلاع عددَ أَيَّامِ الشَّهْرِ . وهى مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أَنَّ الْحَيَّةَ لَا تَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهَا ، وَإِنَّمَا تَمُوتُ بِعَرَضٍ يَعْزِضُهَا . ومع ذلك فإنه ليس فى الحيوانِ شئٌ هُوَ أَصْبَرُ عَلَى جَوْعٍ مِنْ حَيَّةٍ ، لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ شَابَّةً فَدَخَلَتْ فى حَائِطٍ صَخْرٍ ، فَتَنْبَعُّوا مَوْضِعَ مَدْخَلِهَا بَوَيْدٍ أَوْ بِحَجَرٍ^(٤) ، ثُمَّ هَدَمُوا هَذَا الْحَائِطَ ، وَجَدُوهَا هُنَاكَ مَنْطُويَةً

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه فى س . والواد
الذى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرفعا . س : « حجر شاخص » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهي حَيَّةٌ . فالشَّابَةُ تُذَكِّرُ بِالصَّبْرِ عند هذه العَلَّةِ (١) . فَإِنْ هَرَمَتْ صَغُرَتْ
فِي بدنِهَا ، وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ ، ولم تَشْتَهِ الطَّعْمَ . وقد قَالَ الشَّاعِرُ : - وهوَ
جَاهِلِيٌّ (٢) - :

فَابْعَثْ لَهُ مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ (٣) لَمْسِمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمٌ
قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِدَمٍ فِكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمٌ (٤)
وهذا (٥) القولُ لهذا المعْنَى . وفي هذا الوجه يَقُولُ الشَّاعِرُ (٦) :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنْ (٧) الْكِبَرِ صِلَّ صَفًّا مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصَرِ (٨)

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفي ط ، س :
« تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله في ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتي في (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها
فيما سيأتي .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالهملة ،
صوابه في س وفي ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابه محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتي في ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما في ديوان المعاني

(٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحامسة ابن الشجري

٢٧٣ - ٢٧٤ . وفي مجموعة المعاني ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة » ونسبت

إلى خلف الأحمر .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب في الخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب الخصص

أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلب الضخم لا ينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه في س ، هـ .

يقول : قد قصر حتى ما يمكن انطواؤه . في نهاية الأرب : « لا تنطوي » ، وفي

ديوان المعاني : « لا ينطوي » ، وفي حامسة ابن الشجري : « ما ينطوي » ،

وهذه مصحفة .

طويلة الإطراق من غير خَفَر^(١) كَأَمَّا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْر^(٢)

جَاءَ بِهَا الطوفان أَيَّامَ زَخَر^(٣)

(صَبَرُهَا عَلَى فَتَدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت مَوْصُوفَةً بِالشَّرِّ والنَّهَمِ ، وسَرَعَةِ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبْرِ في أَيَّامِ الشَّتَاءِ ما ليس للزَّهِيدِ^(٤) . ثُمَّ هِيَ بَعْدَ

[مِمَّا^(٥)] يصير بها الحالُ إِلَى أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنِ الطَّعْمِ^(٦) .

(النَّسْ وَالشَّعَابِينَ)

ثُمَّ قَدْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَمَصْرَ دَوِيَّةً يُقَالُ لَهَا النَّسْ^(٧) يَتَّخِذُهَا النَّاطُورُ^(٨)

إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنَ الشَّعَابِينَ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ تَنْقَبِضُ وَتَنْضَمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إِرْخَاءُ الْعَيْنَيْنِ وَالنَّظَرَ بِنِهَا إِلَى الْأَرْضِ . ط ، ه : « الْأَطْرَافُ » بِالْفَاءِ . وَمِثْلُهُ فِي دِيْوَانِ الْمُعَانِي ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ . وَهُوَ تَصْغِيرُ لَوَاجِهُ لِه ، وَالصَّوَابُ الْمَشْبُتُ مِنْ س وَحَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ . وَالْخَفَرُ : شِدَّةُ الْحَيَاءِ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرَفَةٌ فِي الْأَصْلِ ، فَهِيَ فِي ط : « تَفَرُّ » وَفِي س ، ه : « نَفَرُ » وَفِي أَصْلِ نَهَايَةِ الْأَرْبِ « حَفَرُ » ، وَصَوَابُهَا فِي دِيْوَانِ الْمُعَانِي وَحَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ . وَالرَّوَايَةُ فِي ص ٢٨٦ : « حَسَرُ » . وَقَدْ أَنْتَ « طَوِيلَةُ » لِأَنَّ الصَّلَّ بِمَعْنَى الْحَيَةِ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ .

(٢) كَذَا فِي ط ، ه . وَرَوَايَةُ س : « كَطَرَقَ قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ الْفِكْرُ » .

(٣) زَخَرُ ، بِالزَّايِ الْمَمْجُومَةِ : كَثُرَ مَاؤُهُ وَعَظُمَتْ أَمْوَاجُهُ . ه : « ذَخَرُ » مَحْرَفٌ .

(٤) فِي التَّهْدِيدِ : « رَجُلٌ زَهِيدٌ وَامْرَأَةٌ زَهِيدَةٌ ، وَهِيَ الْقَلِيلَةُ الطَّعْمِ » . وَالطَّعْمُ ، بِالضَّمِّ : الطَّعَامُ .

(٥) مِنْ س ، ه .

(٦) ط : « الطَّمُ » صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٧) النَّسْ ، بِالْكَسْرِ : حَيَوَانٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ قَصِيرُ الْقَوَائِمِ طَوِيلُ الْجَسْمِ وَالذَّنْبِ ، وَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا فِي مِصْرَ ، يَرَاهُ الْفَلَاحُونَ فِي بَعْضِ الْمَزَارِعِ ، وَيَسْتَأْنِسُهُ بِمَعْضِ التَّجَارِ فِي حَوَائِثِهِمْ . وَالْعَامَّةُ يَضْرِبُونَ بِعَيْنِهِ الْمَثَلَ ، فَيَقُولُونَ : « عَيْنُهُ كَعَيْنِ النَّسْ » ، وَفُلَانٌ عَمَسَ ، يَعْنُونَ بِالْأَوَّلِ أَنَّهُ حَدِيدُ الْبَصَرِ سَرِيعُهُ ، وَبِالْثَّانِي أَنَّهُ الْمُمَيَّ حَازِقٌ لَا تَفُوتُهُ الْفُرْصَةُ .

(٨) النَّاطُورُ : حَافِظُ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ ، قِيلَ إِنَّهُ دَخِيلٌ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ النَّاطُورُ =

وَتَتَضَاعَلُ^(١) وَتَسْتَدَقُّ ، حَتَّى كَانَهَا قَدِيدَةً^(٢) أَوْ قِطْعَةً جَبَلٍ ، فَإِذَا عَضَّهَا
الشُّعْبَانِ وَانطوى عليها زَفَرَتْ ، وَأَخَذَتْ بِنَفْسِهَا وَزَحَرَتْ^(٣) جَوْفُهَا فَانْتَفَخَ .
فَتَفْعَلَ ذَلِكَ وَقَدْ انطوى عليها ، فَتَقْطَعُهُ قِطْعًا مِنْ شِدَّةِ الزَّخَرَةِ^(٤) .
وهذا من أعجب الأحاديث .

(القوَاتِلُ مِنَ الْحَيَاتِ)

وَالشُّعْبَانِ إِحْدَى الْقَوَاتِلِ . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَجْناسٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا
رَقِيَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ ، كَالشُّعْبَانِ ، وَالْأَفْعَى ، وَالْهَنْدِيَّةُ^(٥) . وَيَقَالُ : إِنَّ مَا سِوَاهَا
فَإِنَّمَا يَقْتُلُ مَعَ مَا يُمِدُّهَا مِنَ الْفَزَعِ ؛ فَقَدْ يَفْعَلُ الْفَزَعُ وَحْدَهُ ؛ فَكَيْفَ إِذَا
قَارَنَ سُمِّهَا^(٦) ؟ [وَسُمِّهَا]^(٧) إِنَّ لَمْ يَقْتُلْ أَمْرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .
قلت : ذلك معناها التفصيل للاشتقاق ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد
أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاعل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة
في ط ، ه برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقَد : سيور
تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأتقاب والمحامل ، كما فى اللسان .
ط ، ه : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان
من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخرت » ، وكتبت النقطة العليا
بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيهه : « زجرت » بالجم .

(٤) ه : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الديرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، ه : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع في المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال ^(١) تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها
 فعضَّت رأسه ، فانتبه محمراً الوجهُ ، فحكَّ رأسه ، وتلفَّت ^(٢) ، فلم يرَ شيئاً ،
 فوضع رأسه ينامُ ، وأقام مدَّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له ^(٣) بَعْضُ مَنْ
 كان رأى تدليها عليه ثمَّ تقلصها عنه وهروبها منه ^(٤) : هل علمتَ مِنْ أَىِّ
 شىءٍ كان انتباهك تحتَ الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،
 فإنَّ الحيَّةَ الفلانيَّةَ نزلت عليك حتَّى عضَّتْ رأسك ، فلما جلستَ [فزعا]
 تقلصتْ عنك وتراجعت . ففزع فزعةً وصرَّخَ صرخةً كانتَ فيها نَفْسُهُ .
 وكأنَّهُمْ توهَّموا أنَّه لما فزع واضطربَ ، وقد كان ذلك السُّمُّ مغموراً
 ممنوعاً فزال ما نِعه ، وأوغله ذلك الفزع ، حينَ ^(٥) تفتَّحت منافسُهُ ، إلى
 موضع الصِّمِّمِ والدِّماغِ وعُمقِ البدنِ ، فأنحلَّ موضعُ العقْدِ الذى انعقدتْ
 عليه أجزاؤه وأخلَّطه .

وأنشد الأصمعيُّ :

نَكِيَّةٌ نَهَشَهُ بِمَنْبَذٍ ^(٦)

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهى نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما فى س والميرى .

(٣) بدل هذه العبارة فى س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفى ط ، هـ : « من كافى رأى حاله » الخ .

(٥) فى الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وَأُنْشِدَ لِأَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ :

فَأَتَانِي تَفْحِيمٌ كَعَبٌ لِي الْمَذَى طَقَّ إِنَّ النَّكِيَّةَ الْإِفْحَامَ^(١)

(أثر الفزع في فعل السم)

قال : فالفزع إما أن يكون يُوصِلُ السَّمَّ إلى المَقَاتِلِ ، وإمَّا أن يكون معيّنًا له ، كتعاون الرَّجُلَيْنِ على نزع وتِد . فهم^(٢) لا يَجْزَمُونَ على أَنَّ الحَيَّةَ من القَوَائِلِ البَتَّةُ^(٣) ، إِلَّا أَنْ تَقْتَلَ إِذَا عَضَّتْ النَّائِمَ والمَغْشَى عليه ، والطفَلَ الغريرَ ، والمَجْنُونِ الذي لَا يَعْقِلُ ، وَحَتَّى تَجَرَّبَ عَلَيْهِ الْأَدْوِيَّةُ .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنْتُ يوماً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُ سَلْمُويَه^(٤) وابن ماسويه ، وَبَحْثِيشُوعَ بْنَ جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : هَلْ يَنْفَعُ التَّرْيَاقُ مِنْ نَهْشَةِ

(١) التّفحيمُ : أن يجمله يقحم أى يدخل في الأمر فجأة بلا روية . في الأصل : « تفخيم » صوابه في الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دواد شيء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفي الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيسة : الخطة الصعبة ، ط ، هـ : « النكيسة » صوابه في س والشعراء . والإفحام بمعنى التّفحيم ، ط ، هـ : « الإفحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه في س ، هـ .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت . س :

« لا يجزمون أن الحية » الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) في الأصل : « وكان أخذ داود عنه سلمويه » ، والكلمة الثانية والبالغة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَصَّتِ الأَفْعَى فَأُدْرِكَتْ قبل أن تَنْقَلِبَ ^(١) نفع الترياق ، وإن لم تُدْرَكْ لم يَنْفَعْ ؛ لأنهم إن قَلَّوْا مِنَ التَّرياقِ قَتَلَهُ السُّمُّ ، وإن كَثُرُوا مِنْهُ قَتَلَهُ الْفَاضِلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فَإِنَّ ابْنَ الْعَجُوزِ ^(٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا ^(٣) ليست تنقلب لِجِ السُّمِّ وإفراغهِ ، ولكنَّ الأَفْعَى في نابِهَا عَصَلٌ ^(٤) ، وإذا عَصَّتِ استفرغت إِدخالَ النَّابِ كُلَّهُ ، وهو أَحْجَنُ أُعْصَلٌ ^(٥) ، فيه مشابهة من الشَّصِّ ^(٦) ، فإذا انقلبتْ كان أسهلَ لِنَزْعِهِ وَسَلِّهِ . فَأَمَّا لَصَبُّ السُّمِّ وإفراغهِ فلا . قَالَ : وَاللَّهِ لَعَلَّهُ ما قلت ! [قلتُ] : مَا أَسْرَعَ ما شككتَ ! !

ثمَّ قلتُ له : فكأنما ^(٧) وضعوا الترياق واجتلبُّوا الأَفْعَى وَضَنُوا ^(٨) وعزُّمُوا على أنه لا يَنْفَعُ إِلَّا بِدْرِكِ الأَفْعَى قبل أن تَنْقَلِبَ ! وكيف صار التَّرياقُ بعد الانقلاب لا يكون إِلَّا في إِحْدَى منزلتين : إمَّا أن يقتل بكثرتِهِ ، وإمَّا أَلَّا يَنْفَعَ بِقَلَّتِهِ ! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعُهُ إِلَّا [في ^(٩)] المنزلةِ الوسطى التي لا تكون فاضلةً ولا ناقصةً ! ولكني أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جَيِّدًا قَوِيًّا ، وَعُوجِلَ فسُقِيَ الْمُقَدَّارَ الْأَوْسَطَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الصَّمِيمَ ، وَيَغُوصَ فِي الْعُمَقِ ^(١٠) . وعلى هذا وَضِعَ ، وهم كانوا أَحْزَمَ

(١) س : « تنقلب » .

(٢) في ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وهو أحد الحوائين .

(٣) س : « بأن الأفعى » .

(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، هـ : « عضل » مصحف .

(٥) س : « أعصل » ، بالصاد المهملة كما في هـ ، ط .

(٦) هذه العبارة ليست في هـ ، وفي ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فإِذَا » .

(٨) كذا .

(٩) ليست بالأصل .

(١٠) أى عمق البدن ، كما مر في ١٢٢ س ١١ . وفي الأصل : « العميق » .

وَأُخَذَ مَنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئًا ، وَمَقْدَارُهُ مِنَ النَّفْعِ لَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .

ويقول بعضُ الحَذَاقِ : إِنَّ سَقَى التَّرْيَاقِ بَعْدَ النِّهَشِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ مَوْتُ الْمَنُهَوِّشِ .

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : وَمَا عَلَّمَكْ ؟ وَبَأَى سَبَبِ أَيْقَنْتَ ^(١) أَنَّهَا تَمُجُّ مِنْ جَوْفِ نَابِهَا شَيْئًا ؟ ! وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا مَخَالِطَةُ جَوْهَرٍ ذَلِكَ النَّابِ لِدَمِ الْإِنْسَانِ ! أَوَلَسْنَا قَدْ نَجِدُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ يَعْصُ صَاحِبَهُ فَيَقْتُلُهُ ، وَيَكُونُ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ ؟ ! وَقَدْ تَقَرَّرُونَ أَنَّ الْهِنْدِيَّةَ وَالثَّعْبَانَ يَقْتُلَانِ ، إِمَّا بِمَخَالِطَةِ ^(٢) الرِّيقِ وَالدَّمِ ، وَإِمَّا بِمَخَالِطَةِ اللِّسَنِ وَالدَّمِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْعُوا أَنْ أَسْنَانَهُمَا مَجْوَّةٌ ^(٣) . وَقَدْ أَجْمَعَ جَمِيعُ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ أَنَّ الْحَيَّةَ تُضْرَبُ بِقَصَبَةٍ ^(٤) فَتَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَصَا وَقَدْ يَضْرَبُ الرَّجُلُ عَلَى جَسَدِهِ بِقَضْبَانِ اللَّوْزِ وَقَضْبَانِ الرُّمَّانِ ، وَقَضْبَانِ اللَّوْزِ أَعْلَكَ ^(٥) وَأَلْدَنَ ، وَلَكِنَّهَا أَسْلَمُ ^(٦) ، وَقَضْبَانِ الرُّمَّانِ أَخْفُ وَأَسْخَفُ وَلَكِنَّهَا أَعْطَبُ .

وَقَدْ يَطَأُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظْمٍ حَيَّةٍ أَوْ إِبْرَةٍ عَقْرَبٍ ، وَهُمَا مَيِّتَتَانِ ، فَيَلْقَى الْجَهْدَ . وَقَدْ يُخْرِجُ السُّكَّيْنُ مِنَ الْكَبِيرِ وَهُوَ مُحْمًى ، فَيُغْمَسُ فِي اللَّبَنِ

(١) كَذَا فِي س . وَفِي ط ، هـ : « عَلِمْتُ » .

(٢) ط ، هـ : « لِمَخَالِطَةِ » .

(٣) س : « جَوْفٌ » : جَمْعُ جَوْفَاءِ .

(٤) س : « بِعَصِيَّةٍ » : تَصْغِيرُ عَصَا ، صَوَابُهُ فِي ط ، هـ .

(٥) أَعْلَكَ بِمَعْنَى أَشَدَّ وَأَمْتَنَ . وَيُقَالُ : طَعَامُ عَالِكَ وَعَلِكْ — كَكَتَفَ : مَتْنِ الْمَمْضَغَةِ .

وَأَلْدَنَ . مِنَ اللَّدْنَةِ ، وَهِيَ اللَّيْنُ . وَاللِّدْنُ : اللَّيْنُ .

(٦) ط ، س : « اسْمٌ » صَوَابُهُمَا فِي هـ .

فتى خالط الدَّم قامَ مقامَ السمِّ ، من غير أن يكون مَجَّ في الدَّم رطوبةٌ غليظةٌ أو رقيقةٌ .

وبعض الحجارة يُكوى بها - وهو رِخْوٌ - الأوزامُ حتى يفرَّقها ويُخَمِّصها^(١) من غير أن يكونَ نفذَ إليها شيءٌ مِنْهُ ، وليس إلا الملاقاة . قلت : ^(٢) ولعلَّ قوَى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النَّاسِ . وقد رَوَوْا أنه قيل لجالينوس : إنَّ هاهنا رجلاً يرقى العقاربَ فتموتُ ، أو تنحلُّ فلا تعمل ، فرآه يرقبها ويتفَلَّ عليها ، فدعا به بحضرةِ جماعةٍ وهو على الرِّيقِ ، ودعا بقدائه فتعدَّى معه ، ثمَّ دَعَى له بالعقاربِ فتفَلَّ عليها ، فلم يَجِدْ لعبه يصنعُ شيئاً إلا أن يكونَ ريقاً . وهو حَدِيثٌ يدورُ بينَ أهلِ الطبِّ ، وأنت طيب . فلم أَرَهُ في يومه ذلك قال شيئاً إلاَّ من طريق الحَزَرِ والحَدَسِ ، والبلاغات .

(السُّمُومُ)

وسمومُ الحَيَّاتِ ذواتِ الأنيابِ ، والعقاربِ ذواتِ الإبرِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ في الدَّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومُ ذواتِ الشعرِ والقُرُونِ والجُحَمِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ في العصبِ ، ومنها ما يعمل في الدم .

(١) ط : « حتى يفرَّقها » س : « حتى يفرِّقها » صوابه في هـ . ويخَمِّصها : يجمِّلها تنحصر أى تنقبض وتتضائل وتسكن . هـ : « يَخْمِصُها » بالخاء المعجمة ، وهى صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمّا برماي^(١) وإمّا بباري^(٢) وهما بلاد حياتٍ وأفاعٍ^(٣) ، ونحن في عُرْسٍ ، إذ أدخلوا الحِدرَ العروسَ^(٤) فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغى وتلّوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفضها وحجّمتُ على ذراعه - وقد يقال ذلك إذا كانت العضّة في صورةٍ شرطٍ الحجام - فصَرَخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوها ، وسقّوه في تلك اللَّيلةِ لبنَ أربعينَ عزّاً ، كُلّما استقرّ في جِفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبنِ قاءَ فيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَمْثالِ طَلْعِ^(٧) الفُحّالِ الأبيضِ^(٨) ، فيه طرائق من دَسَمٍ تعلوه خضرة ، حتى استوفى ذلك اللَّبنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم نفسَهُ معه ! قال : فغَبَرَا أَيّاماً بأسولٍ حالٍ ثمّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرعة استحالة اللَّبنِ ومُجموده .

(١) هـ : « برماي » .

(٢) س : « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاعي » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في السكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفحّال ، كرمّان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحّال .

(١) اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّةُ إذا هَرِمَتِ نَسَمَتِ النَّسِيمَ فَاکْتَفَتْ بِهِ ^(١) ،
وكذلك الضُّبابُ إذا هَرِمَتِ .

قال : ولا يكون ذلك للمائيَّة من حيَّاتِ الغياض ^(٢) وشُطوطِ
الأنهار ، ومناقع ^(٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّاتُ المائيَّةُ ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليَّةً ، فَاکْتَسَحَتْهَا
السُّيُولُ واحتمَلَتْهَا في كثيرٍ مِنْ أصنافِ الحَشَرَاتِ والدَّوَابِّ والسَّباعِ ،
فتوالدت تلك الحيَّاتُ وتلاقَحَتْ هناك . وإمَّا أن تكون كانت أمهاتُها
وتأبأوها في حيَّاتِ الماء . وكيف دارت الأمور فإنَّ الحيَّاتِ في أصلِ الطَّبْعِ
مائيَّة . وهى تعيشُ في النَّدى ، وفي الماء ، وفي البرِّ وفي البحر ، وفي الصَّخَرِ
والرَّمْلِ . ومن طباعها أن ترقُّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ،
والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض :

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر فى مغيض ماء . ه : « الغيات »
محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« مناقع » ، صوابه فى س ، ه .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شئ في الماء تما يعايش السمك ، مما أشبه الحيات
كالمارماهى^(١) والأنكليس^(٢) فإنها^(٣) كلها على ضربين : فأحدهما من
أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل
سمك وحيات تلاقحت^(٤) ؛ إذ^(٥) كان [طِبَاعُ^(٦)] السمك قريباً من ٤٥
طباع تلك الحيات . والحياتُ في الأصل مائيّة، وكلّها كانت حيّات .

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي
وضبطت راؤه بالكسرة في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهى »
صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين .
وقد وجدت الدميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجحرى)
فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا
بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني معرب كما في معجم المعلوم ١١ .
وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الدميرى ، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما ، ويقال
فيه أيضاً « أنقليس » بالقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(قراءة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْنَى^(٣) البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل^(٤) هو نخل المقل^(٥) ، ولكنّه انقلب لطباع البلدة . وأشبه ذلك كثير .

ويزعمون أن الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها .

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في المخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلتقط أبدا حتى لا يبق عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « نارگیل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « النارجيلي » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) المقل ، بالضم : حل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم^(١) مما لا يجتزى بالنسيم^(٢) ، فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ؛ لبرد جوفه من اللهب^(٣) الذى يعتري السباع ؛ ولأن ذلك يمدّ قوّته ، ويقطع عنه برودته^(٤) ولطافته الرقيق . فإن كان ذا سُر^(٥) [إذا عدا^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعلَ الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر ؛ لأنّ الأسد شديد النهم ، رغبٌ حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر^(٧) منزلاً ، وأقلّ خصباً ، وأكثر كدّاً^(٨) وإخفاقاً ، فلا بدّ له من شيء يلقّيه في جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه في ه .

(٢) في الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهب » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السعير ، بالضم : الجوع والحر . وفي الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب في ط ، ه ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفي س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا في الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة في العمل ، والإلحاح في محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجامعين)

وَالنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعِثَامُ . فَإِنْ اسْتَقْلَوْا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ ^(١) .

(شعر في الذئب)

وَأُنْشَدَ ^(٢) :

كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءَهُ ^(٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ ^(٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمِ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ ^(٥) :

يَسْتَعْبِرُ ^(٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ ^(٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشد وطأتك على مضر . . . » الخ - قال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحَب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد بينى العكلى ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستعبر » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (نحر ، قرع) « يستمخر » وقال : « استمخرها : قابلهما بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقرع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديد : حددها .

(شَمَّ الظَّليم)

والظَّليم يكون على يبيضه فيشَّمُّ رِيحَ القانص من أَكْثَر من غَلَوَةٍ ،
 ويبعدُ عَنْ رِثَالِهِ ^(١) فيشَّمُّ رِيحَهَا من مكان بعيد .
 وأنشدني يحيى بن نَجِيم ^(٢) بن زَمْعَة قال :
 أَشَمُّ من هَيَاقٍ وأَهْدَى من جَمَلٍ ^(٣)
 وأنشدني عمرو بن كِرْكِرَة ^(٤) :
 مَا زَالَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الهَيَاقِ
 قال وَإِنَّمَا جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الحَمَر ^(٥) أخبث .
 ويقولون : شَيْطَانُ الحَمَاطَةِ ^(٦) . يريدون الحَيَّةَ .

(بعض ضروب الحَيَّات)

وكلُّ حَيَّةٍ خفيفةِ الجسمِ فهي شَيْطَانٌ ^(٧) . والثَّقَالُ لا تنشط من
 أرضٍ إلى أرضٍ ، وتثقلُ عَمَّا تَبْلُغُهُ المستطيلاتُ الخِفَافُ . وقال طَرَفَة :
 تَلَاعِبُ مَشْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بَذَى خِرُوعٍ قَفَرٍ ^(٨)

-
- (١) الرِّثَالُ : جمع رَأَل ، وهو فرخ النعام .
 (٢) في الأصل : « الحِم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نعيم
 في (٢ : ٣٥١) .
 (٣) الهَيَاقِ ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .
 (٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه في س ، ه .
 (٥) الحَمَر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .
 (٦) الحَمَاطَة ، بالفتح : واحدة الحَمَاط ، وهو شجر التين الجبلي ، والحَيَّات تألفه .
 (٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطاناً » .
 (٨) ط : « خضرمي » ، صوابه في س ، ه . تعمج : تلو . ط ، ه : « تقمح »
 صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيماد في (٦ : ١٩٢) .

الْكِرْمَانِي عَنْ أَنْس - وَلَا أَدْرِي مَنْ أَنْسُ هَذَا - فِي صِفَةِ نَاقَةٍ :

شَنَاجِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا

حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّأْوِ مِنْ أَسْطَعٍ حَشْرِ^(١)

وَالْحَبَابُ : الْحَيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وَكَمَا يَقُولُونَ : ذُئِبُ الْحَمْرِ ، يَقُولُونَ : أَرْنَبُ الْخَلَّةِ^(٢) ، وَتَيْسُ الرَّبْلِ^(٣)

٤٦ وَضَبُ السَّحَا^(٤) . وَالسَّحَا^(٤) بَقْلَةٌ تَحْسُنُ حَالَهُ^(٥) مَنْ أَكَلَهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : « مَا هُوَ إِلَّا قُنْفُذٌ بُرْفَةٌ^(٦) » لِأَنَّهُ يَكُونُ أَخْبَثَ لَهُ :

وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى قَدَرِ طِبَائِعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغْذِيَةِ الْعَامِلَةِ فِي طِبَائِعِ الْحَيَوَانِ .

(١) الشناحية : الطويلة الجسمية . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه في س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلّة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلّة » بالخاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتييس هنا : الذكر من الطباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في (٦ : ١٢٣) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كتييس الربل ينفذ رأسه أذاة به من صائلك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، غسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ دَخَلَ أَرْضَ تَبَّتْ^(١) لَمْ يَزَلْ ضَاحِكًا
مَسْرُورًا ، مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ^(٢) حَتَّى يُخْرِجَ مِنْهَا .

وَمَنْ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ حَوْلًا ثُمَّ تَفَقَّدَ قُوَّتَهُ وَجَدَ فِيهَا فَضْلًا . وَمَنْ أَقَامَ
بِالْأَهْوَازِ حَوْلًا فَتَفَقَّدَ عَقْلَهُ^(٣) دُوَّ فِرَاسَةٍ وَجَدَ النُّقْصَانَ فِيهِ بَيِّنًا . كَمَا يُقَالُ
فِي حُمَّى خَيْبَرِ^(٤) ، وَطِحَالِ الْبَحْرَيْنِ^(٥) ، وَدِمَاءِ بَيْلِ الْجَزِيرَةِ^(٦) ، [وَجَرَبِ
الزَّنَجِ^(٧)] . وَقَالَ الشَّمَاخُ^(٨) .

- (١) تَبَّتْ ، بَضْمُ التَّاءِ وَتَشْدِيدُ الْبَاءِ الْمَفْتُوحَةِ : ذَلِكَ الْإِقْلِيمُ الصَّيْلِيُّ .
- (٢) الْعَجَبُ : مَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ . وَتَجَدُّ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَتَمْسَارِ الْقُلُوبِ
٣١٠ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ ١ : ٢١٩ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّائِغِ ٢ : ٢٦٤ . قَالَ يَاقُوتُ
فِي نَعْتِ أَهْلِهَا : « وَالتَّبَسُّمُ فِيهِمْ عَامٌ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظْهَرُ فِي وَجْهِهِمْ » ! .
- (٣) ط ، هـ : « قُوَّتُهُ » ، صَوَابُهُ فِي سِ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّائِغِ .
قَالَ يَاقُوتُ : « وَمَنْ أَقَامَ بِهَا سِتَّةَ نَقْصِ عَقْلِهِ » .
- (٤) خَيْبَرُ ، هِيَ الْوَلَايَةُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا الْغَزْوَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَكَانَتْ ذَاتَ سَبْعَةِ حَصُونٍ
وَلِذَلِكَ تُسَمَّى « خَيْبَرُ » أَيْضًا ، كَمَا وَرَدَ فِي شَعْرِ لَابِنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ . وَمَعْنَى
« خَيْبَرُ » الْحَصْنُ بِاللُّغَةِ الْعَبْرِيَّةِ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا « خَيْبَرِي »
كَمَا وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ : « بِهِ الْوَرَى . وَحَى خَيْبَرِي » . أَمْثَالُ الْمِيدَانِيِّ (١ : ٩٥)
وَفِي الْعَقْدِ (٤ : ٣٠١) مَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ يَهُودَ خَيْبَرٍ كَانُوا يَتَّبِعُونَ نِظَامًا صَحِيحًا كَفَلَ
لَهُمْ قِلَّةَ التَّمَرُّضِ لِحَمَاهَا : « سَتَلَ يَهُودُ خَيْبَرَ : بِمِ صَحْحَتِهِمْ عَلَى وَبَاءِ خَيْبَرَ ؟ » قَالُوا :
بِأَكْلِ الثُّومِ ، وَشَرَبِ الْخَمْرِ ، وَسُكُونِ الْيَفْعَاعِ ، وَتَجَنُّبِ بَطُونِ الْأُودِيَّةِ ، وَالْخُرُوجِ
مِنْ خَيْبَرَ عِنْدَ طُلُوعِ النُّجُومِ وَعِنْدَ سَقُوطِهِ .
- (٥) قَالُوا : مِنْ سَكَنِ بِالْبَحْرَيْنِ عَظَمَ طَحَالُهُ ، وَقَالَ شَاعِرُهُمْ :
وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالُهُ وَيَغْبُطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ
- (٦) هَذِهِ الْجَزِيرَةُ هِيَ الْمُسَبَّاهُ « جَزِيرَةُ أَفُورِ » ، وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ دَجْلَةِ وَالْفَرَاتِ مُجَاوِرَةُ الشَّامِ
تَشْتَمِلُ عَلَى دِيَارِ بَسْكَرٍ وَدِيَارِ مَضَرَ ، وَمِنْ أَمْهَاتِ مَذَنِبِهَا حِرَانُ وَالرَّهَاءُ وَالرَّقَّةُ وَرَأْسُ عَيْنَ
وَنَصِيبَيْنِ وَسَنْجَارٍ وَالْخَابُورِ ، وَمَارْدِينِ وَأَمْدٍ وَمِيْفَارَقِينَ وَالْمَوْصِلَ . انْظُرْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ .
- (٧) هَذِهِ الزَّيَادَةُ مِنْ هـ . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٥ : « طَرِبَ الزَّنَجُ » حَيْثُ تَحْدُثُ
فِي ذَلِكَ حَدِيثًا طَوِيلًا . وَكُلٌّ مِنْهُمَا خَاصَّةٌ مِنْ خَوَاصِّ الزَّنَجِ . وَسَيَأْتِي فِي ١٣٩
فِي الْبِكَلَامِ عَلَى بِلَادِ الزَّنَجِ : « أَلَا يَزَالُ جَرِبًا مَا أَقَامَ بِهَا » .
- (٨) س : « شَمَاخُ » .

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رِيَّةَ الْقُلُوعِ (١)
وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتُهُ (٢) خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وَرْدُهَا وَقَلَاهَا (٣)
وقال آخر :

كَأَنَّ حَمَى خَيْبَرَ تَمْلُهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جحفة (٥) ، وفي مهيعة (٦) ، وفي أصول النخل
حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السلولي في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : هين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطاة »
صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته
زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريته » ، صوابه في المعجم
والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم قتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابها
ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيبرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلاها » :
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاها » . والملال ، بالضم :
حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه في الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحمل
أصحابه فقال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أو أشد ، وصاحبها ،
وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أَتِيحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرِ لَحْمُهُ مُتَكَوِسٌ^(١)
تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي يَحْكُ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِسٌ^(٢)
فَحَدَّثَنِي أَبُو زُفَرَ الضَّرَّارِيُّ^(٣) قَالَ : مَاتَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ تَسْعِينَ
سَنَةً بِالْأَمَامِيلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَّا احْتَمَلَهَا
مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي طَوَاعِينَ الشَّامِ . قَالَ أَحَدُ بَنِي الْمَغِيرَةِ^(٤) ، فِيمَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ بِطَوَاعِينَ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَعْنِ الرِّمَاحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي :
مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيَعْرِسُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبٌ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانَهُمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
وَمَنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا عَجِبَ الْعَاجِبُ^(٧)
طَعْنٌ وَطَاعُونَ مِنْ أَيْيَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

(١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل :
« سوطه » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى
بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القصيرى » س :
« القصير » صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » .
متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متفاوس » س . « متكافوس »
تصحىحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية
المعجم : « أبد إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط :
« كأنما » صوابه في س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارى » صوابه في س ، هـ . وبدله في ثمار القلوب ٤٣٨ : « أبو زرة » فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بنى ريطه . لم يقصص لهم شارب : أى لإنهم في
مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفي س :
« عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ،
وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ بنَ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ، عَلَى
عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ،
وَعَرَفَ سِنَّتَهُ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ^(١) ، فَالْحَقْ
بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ ^(٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ
أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ^(٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ ^(٤) . فَلَمَّا
أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .
قَالَ : اذْكُرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضَعُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَتَذَكَّرُ
حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنْ السَّاعَةِ ! يَرِيدُ أَنْ
الْقُلُوبُ أَرْقُ مَا تَكُونُ إِذَا تَلَاَقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بُعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ ^(٥) .

(١) فِي تِمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ
فِي (٣ : ٤٧٢) .

(٢) تِمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنْ حَوَائِجُكَ سَتَتَّبِعُكَ » ، وَفِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٧٢) :
« فَإِنْ حَوَائِجُهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَتَلَا يَظُنُّ بِهِ الْعُدَاءُ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ سِوَا وَجْهِهِ .

(٥) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

وانعاماً تنشد :

سَنُ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر ذُكَيْنُ الرَّاجِزُ ، إلى أَبِي الْعَبَّاسِ^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،
وهو غُلَيْمٌ مَصْفَرٌّ مَطْحُولٌ^(٣) ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ^(٤) ويرتجز . فقال : من
هذا الْعُمَانِيُّ^(٥) ؟ فلزمته هذه النَّسَبَةُ .

(جرب الزنج)

وَحَدَّثَنِي يَوْسُفُ الزَّيْنَجِيُّ أَنَّهُ لَا بَدَأَ لِكُلِّ مَنْ قَدِمَ مِنْ شِيقِ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ
الزَّيْنَجِ إِلَّا يَزَالُ جَرِباً ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَبِيذِهَا ، أَوْ شَرَابِ
النَّارَجِيلِ ، طَمَسَ الْخِمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتُوهِ إِلَّا
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « الذئب مغبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد تقدمت ترجمته في (٢ : ١٦٦) : وفي الأغاني (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيستان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيستان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العُمَانِيُّ نسبة إلى عمان ، يضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولي
بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً » . وما يجدر ذكره أن
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة ، أي هو بصري ، كما في الأغاني . وقد عقد
ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبّرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصّوم بالمصيصة^(١) في
أيّام الصّيف ، هاج به المرار . وأنّ كثيراً منهم قد جُنّوا عن^(٢)
ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمّا قصبة^(٣) الأهواز ، فإنّها قلبت كلّ من نزّلها من بنى هاشم إلى
كثيرٍ من طباعهم وشمائلهم^(٤) ، ولا بدّ للهاشميّ ، قبيح الوجه كان أو حسناً ،
أو^(٥) دميماً كان أو بارعاً رائعا ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائعٌ يبيّن بها
من جميع قريشٍ وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدّله^(٦) ،
ولقد تحيّفته^(٧) وأدخلت الضّيم عليه ، ويئنت أثرها فيه ؛ فما ظنك بصنيعها
في سائر الأجناس^(٨) ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لأتراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول
أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، ه : « من » .

(٣) ط ، ه : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها .
قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، ه .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين
أثرها فيه » . الخ .

والضَّياع الفاشية ، يخبُّون من البنينَ والبناتِ ما يحبُّهُ أوساطُ أهلِ الأمصارِ على الثَّروة واليسار ، وإن طال ذلك . والمال منبَهَةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المُوَيْلُ^(١) اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّينَ^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شىءٍ منه نصيبٌ وإن خَسَ^(٤) . ولم أَرِ بها وَجَنَةً حراءَ لصبىٍّ ولا صبيَّةً ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتالةٌ للغُرباء .

وعلى أنَّ حُمَّاهَا خاصَّةً ليست للغريبِ بأَسْرَعَ منها إلى القريب . ٤٨
ووباؤها^(٥) ، وحُمَّاهَا ، فى وقت انكشافِ الوَبَاءِ ونُزوعِ الحمَّى عن جميعِ البُلدانِ . وكلُّ محمومٍ فى الأرضِ فإنَّ حُمَّاه لا تنزعُ عنه ، ولا تفارقه ، وفى بدنه منها بقيَّةٌ ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءةَ ؛ إلى أن يعود إلى الخلطِ ، وأنَّ يجمعَ فى جوفه الفسادَ^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدِّبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد التحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ولا يرضى للسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذاك » ، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده الممتازين من المؤدِّين .

(٤) خَس : قل . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم « أودق أوجل » ، ويقاوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع فى بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاود من نَزَعَتْ عنه من غير حَدَث ، كما تعاود أصحابَ الحَدَث ؛
لأنهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل النَّهَمِ^(١) ، ومن قِبَلِ الخَلْطِ والإكْثَارِ ،
وإنَّمَا يُؤْتَوْنَ من عَيْنِ البلدة .

وكذلك جَمَعَتْ سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ في جبلِها الطَّاعِنِ في منازلها ،
المِطْلُ عليها ؛ والجَرَاراتِ^(٢) في بيوتِها ومقابرِها ومنابرِها . ولو كان في
العالمَ شَيْءٌ هو شرُّ من الأفعى والجرارة ، لما قَصَّرَتْ قَصْبَةُ الأهوازِ عن
توليده وتلقيحه . وبَلَيْتُها^(٣) أنها من ورائها سِبَاخٌ^(٤) ومناقِعُ مياهٍ غليظةٍ
وفيها أنهارٌ تَشْقُها مَسَائِلُ كُنْفِهِمْ^(٥) ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّأِهِمْ^(٦)
فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَطَالَ مُقَامُهَا ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرارَات : ضرب من العقارب .

(٣) كَذَا على الصواب في س . وفي ط : « تليينه » وفي هـ : « تليينها » .
وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سِبَاخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهي الأرض تعلوها ملحوة ولا تسكاد
تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفتان عما
أثبت من س .

(٥) كَذَا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها
مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها
وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء
مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب »
وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف :
« مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :
« وجعلنا لكم فيها معاش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة
فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جملة بعضهم لحنا . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كَذَا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . في ثمار القلوب
« ميضأتهم » .

بالصَّخْرِيَّةِ الَّتِي فِيهِه (١) تِلْكَ الْجَرَّارَاتِ . فَإِذَا امْتَلَأَتْ يُبْسًا وَحَرَارَةً ،
وَعَادَتْ جَمْرَةً وَاحِدَةً ، قَذَفَتْ مَا قَبِلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ تُحَدِّثُ [تِلْكَ] السَّبَّاحُ (٢) وَتِلْكَ الْأَنْهَارُ (٣) بُخَارًا فَاسِدًا ، فَإِذَا
التَّقَى عَلَيْهِمْ مَا تُحَدِّثُ السَّبَّاحُ وَمَا قَذَفَهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ ، فَسَدَ الْهَوَاءُ . وَبِفَسَادِ
الْهَوَاءِ يَفْسُدُ (٤) كُلُّ شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْهَوَاءُ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ مَشِيخَةٍ (٥) مِنْ
أَهْلِ الْأَهْوَازِ ، عَنْ الْقَوَابِلِ ، أَنَّهُمْ رَبَّمَا قَبِلْنَ (٦) الطِّفْلَ الْمَوْلُودَ ، فَيَجِدُونَهُ
فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَحْمُومًا . يَعْرِفْنَ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثْنَ بِهِ .

(عِيُونُ الْحَيَاتِ وَالْخَطَاطِيفِ)

[قَالَ (٧)] : وَيَعْرِضُ لِفَرَاحِ الْحَيَّاتِ مِثْلُ الَّذِي يَعْرِضُ لِفَرَاحِ
الْخَطَاطِيفِ ؛ فَإِنَّ نَازِعًا لَوْ نَزَعَ عِيُونَ فَرَاحِ الْخَطَاطِيفِ ، وَفَرَاحِ الْحَيَّاتِ ،
لَعَادَتْ بِصِيرَةٍ (٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كمرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخ » وهي صحيحة أيضا ، وضبطها كعنية وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أَنَّ السُّلْحَفَةَ والرَّقَّ ، والضَّفْدَع ، تَمَّا لَا بَدَّ لَهُ مِنَ التَّنَفُّسِ ،
وَلَا بَدَّ لَهَا مِنْ مَفَارِقَةِ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا تَبْيِضُ زَتَكْتَسِبُ الطَّعْمَ وَهِيَ خَارِجَةٌ^(٢)
مِنَ الْمَاءِ ؛ وَذَلِكَ لِلنَّسَبِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الضَّبِّ^(٣) ، وَإِنْ كَانَ هَذَا
بَرِّيًّا وَهَذَا بَحْرِيًّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمون أَنَّ مَا^(٤) كَانَ فِي الْبَرِّ مِنَ الضَّبِّ وَالْوَرَلِ وَالْحِرْبَاءِ ،
وَالْحُلَسَاءِ^(٥) ، وَشَحْمَةُ الْأَرْضِ ، وَالْوَزَغِ وَالْعِظَاءِ^(٦) مِثْلُ الَّذِي فِي الْبَحْرِ
مِنَ السُّلْحَفَةِ وَالرَّقِّ ، وَالتَّمْسَاحِ ، وَالضَّفْدَعِ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَجْنَاسَ الْبَرِّيَّةَ
وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي أُمُورِهَا ، فَلَيْسَ بِهَا قَدْ تَشَابَهَ فِي أُمُورٍ ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَجْنَاسَ
الْبَحْرِيَّةَ مِنْ تِلْكَ ، كَسَكَلِبِ الْمَاءِ مِنْ كَلْبِ الْأَرْضِ .

(١) نسي الجاحظ أن يذكر صاحب الزهم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون
الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما في س ، ه .

(٣) س : « وذلك للنسب » الخ . ط ، ه : « التي » صوابها في س .

(٤) ط : « أما » صوابه في س ، ه .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الحلكى » ،
وهي صحيحة في ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة .
ولكن لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاء ، وهي دويبة كسام أبرص . س : « والعطاء »
ه : « والقطا » صوابه في ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامَّ أبرص^(١) من العَظاءِ ،
والتَّمساح ، تسكنُ في أعشمتها^(٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البرد^(٣) ، لا تطعم
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحَيَّاتِ تسكنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكنُ ٤٩
في صُدوعِ الصَّخَرِ .

وليسَ لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعمائةَ سنةٍ . والوجهُ الآخرُ : أنَّ الفيلةَ مائِيَّةٌ [وهذه الأجناسِ مائِيَّةٌ^(٤)]
وإن كان بعضها لا يسكنُ الماءَ .

(داهية الغُبرِ)

قال : وَسَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ^(٥) يَقُولُ : « داهية الغُبرِ »^(٦) . قال : وقيل

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، هـ . ط ، هـ :
« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في هـ لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من هـ .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في
(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغُبر بالتحريك وبغين معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستقع ، كما يفهم من
التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغُبر عين ناء
بعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغُبر آخر محال سلمي بجانب جبل طيى » ،
وبه نخل ، ومياهه تجري أبداً » . ط : « القُبر » صوابه في س ، هـ .

ذلك لأنها رَجِمَا سَكَنْتَ بِقُرْبِ مَاءٍ ، إِمَّا غَدِيرٍ وَإِمَّا عَيْنٍ ، فَتَحْمِي (١)
ذلك الموضع . وربما غبر ذلك الماء في المنقَع حيناً وقد حَمَتْهُ .
وقال الكَذَّابُ الحِرْمَازِيُّ (٢) :

يا ابنَ المعلَى نَزَلْتَ إِحْدَى الكَبَرِ (٣) دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وَصَمَاءُ الغَبَرِ (٤)
قال : وسأل (٥) الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بني عبد الله
ابنِ غطفان ، قال : [أفعى (٦)] إِنَّ أَيْقَظَهَا لَسَعَتَكَ ، وإن تَرَكْتَهَا
لَمْ تَضِرْكَ .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بنِ صخر (٧) قال : نُهِشَ رجلٌ من أهل البادية كثيرُ
المال ، فأشنى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أَرْقِيهِ ، فما تُعْطُونِي (٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : : « فتحس » وفي هـ : « فتنحى »
محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غبر) وكذا
في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أي يامنذر . وفي اللسان أنه
يملح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني :
« تعطوني » وهو جائز . وفي المغني : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام
والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهما^(١) ، فَرَقَاهُ وَسَقَاهُ أَشْيَاءَ بِيَعُضِ الْأَخْلَاطِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : الرَّاقِي وَالْمَدَاوِي : حَتَّى ! قَالَ الْمَلْدُوغُ : وَمَا حَقُّهُ ، قَالُوا : ثَلَاثُونَ دَرَاهِمًا . قَالَ أَعْطِيهِ مِنْ مَالِي ثَلَاثِينَ دَرَاهِمًا فِي نَفَثَاتٍ نَفَثَهَا ، وَحَمَضٍ سَقَاهُ^(٣) ! لَا تُعْطُوهُ شَيْئًا !

(حَدِيثُ سُكْرِ الشُّطْرَنْجِي)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ سُكْرِ الشُّطْرَنْجِيِّ ، وَكَانَ أَحَقَّ الْقَاصِّينَ^(٣) ، وَأَحَذَقَهُمْ بَلْعَبِ الشُّطْرَنْجِ ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ خَرَقٍ كَانَ فِي خَرْمَةِ أَنْفِهِ^(٤) فَقُلْتُ لَهُ : مَا كَانَ هَذَا الْخَرَقُ ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى جَبَلٍ^(٥) يَتَكَسَّبُ بِالشُّطْرَنْجِ ، فَقَدِمَ الْبَلَدَ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا دَرَاهِمٌ وَاحِدٌ ، وَلَيْسَ يَدْرِي أَيَنْجَحَ أَمْ يُخْفِقُ ، وَيَجِدُ صَاحِبَهُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ أَمْ لَا يَجِدُهُ^(٦) ؟ فَوَرَدَ عَلَى حَوٍّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَوْثٌ عِظَامٌ^(٧) فِيهَا حَيَاتٌ جَلِيلَةٌ .

وَالْحَيَّةُ إِذَا عَضَّتْ لَمْ تَكُنْ غَايَتُهَا النَّهْشُ أَوِ الْعَضُّ^(٨) ، وَأَنْ تَرْضَى بِالنَّهْشِ ،

-
- (١) ط : « فَرَقَاهُ عَنْ ثَلَاثِينَ دَرَاهِمًا » ، تَصْحِيحُهُ . ن . س ، ه .
 (٢) الْحَمَضُ ، بِالْفَتْحِ ، أَصْلُهُ كُلُّ نَبْتٍ مَالِحٍ أَوْ حَامِضٍ ، وَجَعَلَهُ هُنَا لِلدَّوَاءِ الَّذِي فِيهِ حَمُوضَةٌ . ه : « وَحَرَسَ سَقَى » وَالْكَلِمَةُ الْأُولَى فِي هِ مَحْرُفَةٌ .
 (٣) جَمْعُ قَاصٍ لِلْقَصَصِ . س ، ه : « الْعَالِمِينَ » .
 (٤) الْخَرْمَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ : مَوْضِعُ الْخَرَمِ مِنَ الْأَنْفِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْخَزَامَةُ » ، وَهِيَ كَسَكْتَابَةٍ : الْبَرَّةُ تَجْعَلُ فِي الْأَنْفِ . وَلَا وَجْهَ لَهَا .
 (٥) جَبَلٌ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمَضْمُونَةُ : بَلِيدَةٌ بِشَاطِئِ دَجَلَةٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْجَبَلُ » وَلَا تَصَحُّ ؛ فَإِنَّ الْجَبَلَ اسْمُ لِبْلَادٍ كَثِيرَةٍ تَمْتَدُّ مَا بَيْنَ أَذْرَبِيْجَانَ وَعِرَاقَ الْعَرَبِ وَخَوْزِسْتَانَ وَفَارَسَ وَبِلَادِ الدَّيْلَمِ . الْقَامُوسُ وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .
 (٦) ط : « وَيَجِدُو صَاحِبَهُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ أَيْجِدُهُ أَمْ لَا » ، س : « وَيَجِدُهُ أَجِبُهُ » الْخِ صَوَاهِمَا فِي هِ .
 (٧) جَوْنٌ ، بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الْوَاوِ : جَمْعُ جَوْنَةٍ ، بِالضَّمِّ . وَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي ١١٥ .
 (٨) ط : « وَالْعَضُّ » .

ولكنّها لا تعضُّ إلاّ للأكل والابتلاع . وربّما كانت الحيّات عظاماً جدّاً ولا سمومَ لها ، ولا تنقر^(١) بالعضّ ؛ كحيات الجولان^(٢) .

وفي البداية حيّة يقال لها الحفّاث^(٣) والحفّاث من الحيّات تأكل الفأر وأشباهه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصّولة ؛ وليس وراء ذلك شيء^(٤) . والجاهل ربّما مات من الفزع منها . وربّما جمعت الحيّة السّمّ وشدّة الجرح ، والعضّ والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّر على الحوّا وقد أخرج من جُونه أعظمَ حيّات في الأرض ، وادّعى نفوذ الرُّقية وجودة الترياق ، فقال له سُكّر^(٦) : خذ منّي هذا الدرهم وارقني رُقيةً لا تضرني معها حيّة أبداً ! قال : فأبى أن يفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيّةً ، حتّى ترقيني بعد أن تعضني ؛ فإن أفقت علمت أن رُقيتك صحيحة . قال : فأبى أن يفعل ، فاخترت أيتها شئت . فأشار إلى واحدة ممّا تعضُّ للأكل دون السّمّ ، فقال : دع هذه ؛ فإن هذه إن قبضت على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك^(٧) ! قال : فأبى لا أريد غيرها . وظنّ أنّه إنّما زواها عنه لفصيلةٍ فيها . قال : أمّا إذ أبيت إلاّ هذه فاخترت موضعاً من جسّدك حتّى أرسلها عليه . فاخترت أنفه ، فناشده وخوّفه ، فأبى إلاّ ذلك

(١) تنقر : تجرح . وفي ط : « تنقر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّاث ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّاث » س ،

ه : « الحفّاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ دِرْهَمَهُ . فَأَخَذَهَا الْحَوَاءُ وَطَوَّاهَا عَلَى يَدِهِ ؛ كَيْ لَا يَدْعَهَا تَنْكُرُ^(١) .
فَتَقَطَعَ أَنْفَهُ مِنْ أَصْلِهِ . ثُمَّ أَرَسَاهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أُنْشِبَتْ أَحَدَ نَابَيْيْهَا فِي شِقِّ
أَنْفِهِ صَرَخَ عَلَيْهِ صَرْخَةً جَمَعَتْ عَلَيْهِ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلَدَةِ ، ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ،
فَأَخَذَ الْحَوَاءُ فَوَضَعَ فِي السَّجْنِ ، وَقَتَلُوا تِلْكَ الْحَيَّاتِ ، وَتَرَكُوهُ حَتَّى أَفَاقَ
كَأَنَّهُ أَجْنُ الْخَلْقِ ، فَتَطَوَّعُوا بِحَمْلِهِ فَحَمَلُوهُ مَعَ الْمَكَارِي^(٢) ، وَرَدُّوهُ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، وَبَقِيَ أَثَرُنَا بِهَا فِي أَنْفِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(مَا يَغْتَصِبُ بَيْتَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَّاتِ)

قال : وَأَشْيَاءُ مِنَ الْحَشَرَاتِ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِبَيْضِهَا وَلَا أَوْلَادَهَا^(٣)
بَيْتًا ، بَلْ تَظْلِمُ كُلَّ ذِي جُحْرٍ جُحْرَهُ ، فَتَخْرِجُهُ مِنْهُ ، أَوْ تَأْكُلُهُ إِنَّ^(٤)
ثَبَّتَ لَهَا .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْمُسَيءِ : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لِأَنَّ الْحَيَّةَ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا
بَيْتًا . وَكُلُّ بَيْتٍ قَصَدَتْ نَحْوَهُ هَرَبَ أَهْلِهِ مِنْهُ ، وَأَخْلَوَهُ لَهَا .

(عِدَاوَةُ الْوَرَلِ لِلْحَيَّاتِ)

وَالْوَرَلُ يَقْوَى^(٥) عَلَى الْحَيَّاتِ وَيَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا . وَكُلُّ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا

(١) تَنْكُرُ ، آخِرُهُ زَايٌ ، كَأَنَّهُ فِي س . وَفِي ط ، هـ : « تَنْكُرُ » مُحَرَّفَةٌ . وَانْظُرْ ٢ : ١٣٨ .

(٢) الْمَكَارِي : مَنْ يَكْرِي النَّاسَ دَابَّتَهُ . وَالْمَكَارِي : الْأَجْرَةُ . س : « مَكَارِي »
صَوَابُهُ : « مَكَارٍ » بِحَذْفِ الْيَاءِ .

(٣) س : « وَلِبَيْضِهَا وَأَوْلَادَهَا » .

(٤) ط : « إِذْ » .

(٥) ط : « يَقُولُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهي تَلْقَى مِثْلَ ذلك من الِوَرَل . والِوَرَلُ أَلْطَفُ جِرْمًا من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ وَرَلٍ » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورل والضَّبّ)

وبرائن الِوَرَل أقوى من برائن الضَّبِّ . والضَّبَابُ تحفر جِحْرَهَا في الكُدَى ^(٢) . والِوَرَل لا يحفرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضَّبَّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على برائنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفر بيتها] أن ^(٥) أَسْنَانَهَا أَكَلَتْ من أَسْنَانِ الْفَأْرِ [ومن التي تحفر بالأفواه والأيدى ؛ كالنمل والذَّرُّ وما أشبه ذلك] . والحَيَّةُ ^(٦) لا ترى أن تعاني ذلك ، وَحَفَرُ غَيْرِهَا ومعاناته يكفها .

(١) استرعاه : جعله راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كمنبة : جمع جحر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا . والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة . وكتبت في الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » ، صوابه في س .

(٦) ط ، هـ : « فهي » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثل بظلم الحية ، يقول مضر بن لقيط ^(١) :
لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ ^(٢)
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِآخِرِ يَقْبَسُ ^(٣)
فَمَا لَكُمْ طُلَسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ
ذُئَابُ الغَضَى وَالذُّئَبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ ^(٤)
وجعله أطلس ؛ لأنه حين تشتد ظلمة الليل فهو أخفى له ، ويكون
حينئذٍ أخبث له وأضرى .

وقال حَرِيزُ بن نَشْبَةِ العَدَوِيِّ ^(٥) ، لبني جعفر بن كلاب ، وضربَ جَوْرٍ ٥١
الحية والذئب في الحكم مثلاً ، فقال :

(١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر في حماسه ٣٨٠
إلى عامر بن لقيط الأسدي . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب
(١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدي » .

(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئب والحيات
وبها يضربون المثل في الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقس ، هو ابن طريف ،
أبو حنيفة من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذي يجمع الحطب . في البيان : « أنى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذي في لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسي »
صوابه في س ، هـ والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا
في حماسه .

(٥) هو حريز ، بجاء مهلهلة وزاي ، ابن عيدة ، أحد بني زيد بن نَشْبَةِ بن عدي بن أسامة
ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما في المؤلف ٧٢ . وفي الأصمسي : « جرير »
مصنف . ونَشْبَةُ ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س :
« نسة » محرفة .

كَانَنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مَدَحَى أَسْقِيهِمْ طَرَقَ مَاءٌ غَيْرَ مَشْرُوبٍ ^(١)
 وَلَوْ أُخَاصِمُ أَفْعَى نَابَهَا لَثِقْتُ أَوْ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ ^(٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِبِلًا ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ ^(٣)
 وَلَوْ أُخَاصِمُ ذَنْبًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَعُكُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّيْبِ ^(٤)

(فم الأفعى)

قال : والحية واسعة الشَّحْوِ والفم ، لها خطم ^(٥) ، ولذلك ينفذ نابها .
 وكذلك كلُّ [ذى ^(٦)] فمٍ واسع الشَّحْوِ ؛ كفم الأسد . فإذا اجتمع له سعة
 الشَّحْوِ وطول اللِّحِينَ ، وكان ذا خطمٍ وخُروطومٍ فهو أشدُّ له كالخنزير ،
 والذئب والكلب . ولو كان لرأس الحية عظمٌ كان أشدَّ لعصتها ^(٧) ،
 ولكنَّه جلدٌ قد أطبقَ ^(٨) على عظمين رقيقين مستطيلين بفكِّها الأعلى
 والأسفل . ولذلك ^(٩) إذا أهوى الرَّجُلُ بحجرٍ أو عصاً ، رأيتها تلوى رأسها

(١) ماء طروق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقت . غير مشروب : غير صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينظف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، ه : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هى بالنون فى س . وفى ط ، ه : « باب » ، ولهذا وجه .

(٤) الأكلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ه . « له خطم » صوابه فى س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . ه ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر

ما سبق قريباً .

(٨) كذا فى س ، ه . وفى ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه : « وكذلك » .

وتحتال في ذلك ، وتمنعه بكل حيلة ؛ لأنها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثرَ ما يكون في أعناقها تخصيرٌ^(١) ولصدورها أغبابٌ^(٢) ، وذلك في الأفاعي أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقُّ إنمّا هو شيءٌ كهية الخريطة ، وكهية فم الجراب ، مُنْضَمُّ الأثناء^(٣) ، مُثْنَى^(٤) الغضون . فإذا شئتَ أن تفتح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هاني : كان فتح فم الجراب يحتاجُ إلى ثلاثة أيدي^(٥) ، ولولا أن الحالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا^(٦) بيد إنسان .

وهذا ممّا يعدُّ في مجون ابن هاني .

وكذلك حُلوق الحياتِ وأعناقها وصدورها ، قد تراها فتراها في العين دقيقة ، ولا سيما إذا أفرطت في الطول .

(شراة الحية والأسد)

وهي تبتلع فراخ الحمام . والحية أنهم وأشره من الأسد . والأسد يبلع البضعة العظيمة من غير مضغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضل الشره . وكذلك الحية . وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج .

(١) تخصير : أى دقة في وسطها .

(٢) جمع غيب ، وهو اللحم المتدل تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التفضات . ط : « ضم » ، صوابه في س ، هـ . وفي ط :

« الأثناء » وفي س ، هـ : « الأثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « مثني » .

(٥) س ، هـ : « أيدي » صوابه في ط

(٦) ط : « يستعين » صوابه في س ، هـ .

(تَنْيْنُ أَنْطَاكِيَّةَ)

[و] مِمَّا عَظَّمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرُويهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةَ ^(١) ؛ وَذَلِكَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الثَّلَاثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِيَّةَ أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ
هَذَا الثَّلَاثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى ^(٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَنْيْنَنَا ^(٣) تَرْفَعُ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لِرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ،
حَذَفَتْ ^(٤) مِنَ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ^(٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْمَنْظَرِ .

(١) أَنْطَاكِيَّةَ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَلَيْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ :

عَلُونُ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادَ الْحَوَاشِي لَوْنَهَا لَوْنٌ عَنِينٌ

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

عَلُونُ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجَرَّةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لِلنِّسْبَةِ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَعْجَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ .

(٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاضَةُ وَالْحِدَاثَةُ . هـ ، س : « أَطْرَى »

صَوَابُهُ فِي س . وَالْكَلَامُ بَعْدَ هَذِهِ السَّكَلَةِ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقِطٌ

مِنْ س .

(٣) التَّنِينُ ، كَسَجِيلٍ : حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « تَسْمِينَتُنَا » صَوَابُهُ فِي هـ .

(٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التنين)

ولم يزل أهل البقاع^(١) يتدافعون أمر التنين . ومن العجب أنك تكون في مجلس وفيه عشرون رجلاً ، فيجرى ذكر التنين فينكره بعضهم . وأصحاب التثبت^(٢) يدعون العيان . والموضع قريب ، ومن يعاينه كثير . وهذا اختلاف شديد .

(قول الأعراب في الأصل)

والأعراب تقول في الأصل^(٣) قولاً عجيباً : زعم أن الحية التي يقال لها الأصل لا تمر بشيء إلا احترق . مع تهاويل كثيرة ، وأحاديث شنيعة .

(الأجدهاني)

وزعم الفرّس أن الأجدهاني^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة رءوس ، وربما لقيت ناساً فتبتلع من كل جهة فم ورأس إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحصن ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبت » ، ووجه ما في س .

(٣) الأصل : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . واللغويون يختلفون في تحليلها ، أي نعتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهرت حيةٌ لها رأسان . فسألتُ^(١) أعرابياً عن ذلك فزعمَ أنَّ ذلك حقٌّ . فقلتُ له : فمن أيِّ جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيِّهما تأكلُ وتعضُّ ؟ فقال : فأما السَّعى فلا تسعى ، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالقلب ، كما يتقلب الصبيان على الرَّمْل . وأما الأكل فإنها تتعشى بضمٍّ وتتغذى بضمٍّ . وأما العضُّ فإنها تعضُّ برأسها معاً !! فإذا به أكذبُ البريَّة .

وهذه الأحاديث كلها ، مما يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فرانق الأسد)

ومثلُ شأنِ التَّنينِ مثلُ أمرِ فرانقِ الأسد^(٣) ؛ فإنَّ ذكره يجرى في المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيته وسَمِعْتُهُ !

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه في س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى

« لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب

من « پَرَوَانَك » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب

من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المحدثين : إنَّ من أعظم ما خلق الله الحية والسّرطان والسّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحية أطولُ عمراً من النّسر ، وإن الناس لم يجدوا حيةً قطُّ ماتت حتفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها ^(١) .
وذلك لأمر : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِن مسخ ، وإن إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [نُحَّان ^(٢)] ، وأنَّ طولَ كُلِّ نَحَّ تسعة عشر ذراعاً ^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وقد أثبتنا اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسى معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما فى س ، هـ . وفى س : « كليهما » بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيات الجرذ والزعر ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذوات شعر ، ومنها ذوات قرون . [وأرسطو ينكر ذلك ^(٢)]
ولمّا يتخلق لها في كلّ عام قشرٌ وغلاف ، فأما ^(٣) مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلود فإنّ الأرمينيّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقشّر من جلده
رينسلخ في كلّ شهرٍ مرّةً . قال : فجمع ذلك فوجد فيه ملء جراب
أو قال : أكثر .

(علة الفزع من الحية)

وأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظم
من أخطارها ، وهول من أمرها ، ونبّه على ما فيها من الآية العجيبة
والبرهان النسيّر ، والحجّة الظاهرة ، [فإنا ^(٤)] في قلب العصا حيّة ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الديرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض لها في ط ، ه .

(٣) بعده هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهوّل به القومُ وسَحَرُوا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، وجاعوا به من الإفك
قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ^(١)] فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ
بَهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿ ،
إلى قوله : ﴿ فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ ^(٢) ﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حوّل العصا ثُعْبَانًا لأنهم جاءوا بحبال وعصى
فحوّلوها في أعين الناس كلها ^(٣) حيّات ، فلذلك قلب الله العصا حية ^(٤)
على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ جَعَلُوا حِبَالَهُمْ
وعصِيَّهُمْ ذِئَابًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ونَمُورًا ، لجعل الله عصا موسى ذئبًا أو نميرًا ،
فلم يكن ذلك لخاصّةٍ في بدن الحية .

قلنا : الدليل على باطل ما قلتم ، قولُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ
يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَآرِبٌ أُخْرَىٰ . قَالَ أَفَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿
وقال الله عزّ وجلّ ^(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ^(٦) ﴾

(١) هذه التكملة ليست في س : ه . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها في ط
كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحققتها ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧
من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي
الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، ه : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن العصا حية » وهو تحريف ما في ط ، ه .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ه .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِنَجْمٍ أَوْ آتِيكُمْ
بشهاب قيس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ^(١) ﴾ ﴿ فَقَلْبُ ^(٢) الْعَصَا جَانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عصى ^(٣) . وقال الله : ﴿ قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِمْلًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ . قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بَشْيٌ مُبِينٌ . قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿ فَقَلْبُ ^(٤) الْعَصَا حَيَّةٌ كَانَ فِي حَالَاتٍ شَتَّى ^(٥) . فكان هذا مما زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يميتة الله لديغا . وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديغا ^(٦) وأن تكون ميمته بأكل هذا العدو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من أشدّهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ » ، كأنه كان في المعلوم ^(٧) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا يهتياً أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط . وهما مثبتتان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلب » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهي بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفي س ، هـ : « المعلوم » وهي ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلا في أَشْرَار^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذى اتَّفَقَ من قتل أبيِّ بن خلفٍ بيده^(٢) ، والنَّضر بن الحارث^(٣) ، وعقبة بن أبي مُعيط^(٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(٥) - صبراً^(٦) .

(١) أَشْرَار : جمع شرير ، كشرير ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيهما في مادة (شرر) ورأيتهما في شعر صخر أخى الخنساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) :
* والله لا أمتحها شرارها *

(٢) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول في الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه في عنقه طعنة تداداً منها عن فرسه مراراً - أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلفة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافرأ فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحتري ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ : ٤٠١) والبحتري في حماسه ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمنت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحتري والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبي معيط - بهيئة التصغير - كان من أسر يوم بدر من المشركين ، قتل في أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبي الأفلح الأنصارى . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قلدح ليس منها ! » يهرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجدها فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبي المغيرة » ، صوابه في س ، هـ كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . وما ينبغى =

وحدثت^(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صفي بن أبي أيوب ، أنه سمع أبا بصير الأنصاري^(٢) يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهمدم^(٣) وأعوذ بك من التردى^(٤) ، وأعوذ بك من الغم والغرق^(٥) ، وأعوذ بك من الحرق والهرم^(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت^(٧) وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً ، وأعوذ بك من أن أموتَ لديقاً » .

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأسد^(٨) [الأسود] ، وأعوذ بك من الهمدم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب الثمانية ص ٤٦ : بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
- (٢) أبو بصير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .
- (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن يهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .

- (٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .
- (٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النساء والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
- (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهمدم » صوابه في هـ .

- (٧) تحبّطه الشيطان : صرعه ولعب به .

- (٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صَفِيرًا ، والرجل يَصْفِرُ بالظير للتنفير ، وباللدوابَّ وبيعض الظير للتعليم . وتتخذ الصَّفَّارَةُ [يَصْفِرُ بِهَا ^(١)] للحمام وللظير فى المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :
وَإِذَا جَشَا لِلزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ تَأَوُّهًا وَصَفِيرًا
(لسان الحية)

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندى غلط ، وأظنُّ أنه لما رأى افتراق طرف اللسان ^(٢) قضى بأن له لسانين .

(عجبية الضب)

ويقال : إن ^(٣) للضَّبِّ أَيْرَيْنَ ، ويسمى أير الضَّبِّ نَزْكَاً ^(٤) .
قال الشاعر ^(٥) :

= والنسائي والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فىك ، وشر ما خلق فىك ، وشر ما يدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » .
الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخب ؛ لأنه يسلمخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « ترك » ه : « ترك » س : « نرك »

صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحرمان ذى النخصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبَ لَهُ نَزْكَانٍ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(١)
قال أبو خَلْفٍ النَّمْرِيُّ : سئل أبو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ عن أير الضَّبِّ ،
فزعهم أنَّ أير الضَّبِّ كلسان الحَيَّةِ : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعمُ أنَّ الله عاقبَ الحَيَّةَ حين أدخلت إبليس
في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشر خصال :
منها شقُّ اللسان^(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحَيَّةَ إذا ضُرِبَتْ للقتل كيف
تخرج لسانها لِتَرى الضَّارِبَ عقوبةَ الله ، كأنها تسترحم . وصاحب هذا
التفسير لم يقل ذلك إِلَّا للحَيَّةِ كانت عنده تتكلمٌ ، ولولا ذلك لأنكر
آدمُ كلامها ، وإن كان إبليس لا يَحْتال إِلَّا من جهة الحَيَّةِ ، ولا يَحْتال
بشيءٍ غير مموء ولا مشبه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسري . انظر اللسان (مادة نَزَك) حيث تجد أبيات
الشاهد . وقال ابن السيد في الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خاند ولاء بعض البوادي
فلما جاء المهرجان أهدي كل عامل إليه ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه
حمران قفصاً مملوا ضبابا وكتب إليه . وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً
في الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبجل له نَزْكَان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نَزَك ،
سبجل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكتاب
١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .
وفي ط « طركان » و هـ : « نَزْكَان » صوابه في سـ والمراجع . والتاعل :
من يلبس نعلا . سـ : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسياتي في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاةٌ مِنَ الْحَيَّاتِ ^(١) كما يقال أرضٌ مَضْبَّةٌ وَضَبْبَةٌ مِنَ الضَّبَابِ ^(٢) ، وفثرة من الفأر ^(٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ » ^(٤) :
 إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لابنه : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْحَرْشِ فَلَا تَخْرُجَنَّ ! قال : وذلك
 أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَرْشَ تحريك ^(٥) اليدِ عِنْدَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ ليخرج إِذَا
 ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قال : وسمع ابنه صوت الحفر فقال : يَا أَبَاهُ هَذَا الْحَرْشُ ؟ قال :
 يَا بَنِيَّ ، هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ ! فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكلها أكلا ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً الحيات .

(٢) أرضٌ مَضْبَةٌ ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفي ط ، س : « مضببة »
 و ه : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ
 المضعف . ط ، ه : « ضبية » صوابه في س . والضباب ، بالسكس :
 جمع ضب .

(٣) في الأصل : « فأثرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى في أماليه (١ : ١٧٠) والميداني

(١ : ١٧٠) والبيدادي في الخزانة (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بولاق) .

(٥) ه : « تحريد » بالذال . والتحرير : التعميج .

وسموم ذوات الأنياب من الحيات ، وذوات الإبر^(١) ، سريعة في الخنازير ، وهى تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً ، فلذلك لا ترضى بقتلها حتى تأكلها . وتأكل الحيات العقبان ، والأياثل ، والأراوى^(٢) ، والأوعال ، والسنانير والشاهمرك^(٣) ، والقنفذ . إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل : قال الراجز :

* قنفذ ليل دائم التجأب^(٤) .
وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعى .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه النمام ، والمداخل ، والدسيس^(٥) ، بالقنفذ ، لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطبيب :

أعضوا الذى يلقي القنفذ بينكم متنصحا وهو السام الأنقع^(٦)
يزجى عقاربهُ ليعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأخدع^(٧)

(١) أى سموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعل .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجأب : تفعال من جاب يحوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يحوب الهلاد

ويكسب المال » . ط : « التجأب » ه : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ، بسيتين بينهما ياء : من قدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدسيس »

صوابه فى س ، ه .

(٦) س ، ه : « أعضى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، ه : « ترخى » صوابهما =

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فَوَادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشَعَّشٌ^(١)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشَبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ^(٢)

وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول (٣)] مجنون بنى عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تقبل^(٥) » الطبايع ما كانت
لَيِّنَةً .

ثم قال عبدة بن الطيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ
والنميمة :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْهُمْ خَلَّانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُغُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَذَعُوا قَنَافِذَ بِالنَّمِيمَةِ تَمَزَعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حاشية البحري ٢٤٠ : « يهلى » . والأخذع : واحد
الأخذعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، ه : « الفروق » صوابه في
ط والحاشية .

(١) شمع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوائل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، ه :
« القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة :
كانه يوجر بها ، أى توضع فى فمه ليشر بها .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كذا فى ط ، ه . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل :
« الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحاشية : « فهم إذا دمس » . وجذعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مما يحفظ .

وقال الأودى^(١) :

كقنفذ القنِّ لا تخفى مدَّارجهُ خبُّ إذا نامَ عنهُ الناسُ لم ينم^(٢)

(عهد آل سبجستان على العرب)

وفى عهد آل سبجستان على العرب حين افتحوها^(٣) : لا تقتلوا قنفذاً

= جذع بين البعيرين : قرنهما في قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعاني (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حذجوا » . وهو من حذج البعير والناقة : شد عليهما الحذج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابي : القنفذ يقال لها : المزراع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكى سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ — ٤٢) . والبيت فى ديوان المعاني (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعاني : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعاني : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سبجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلًا وَلَا تَصِيدُوا^(١) ؛ لَأَنهَا بِلَادُ أَفَاعٍ^(٢) . وَأَكْثَرُ مَا يَجْتَلِبُ أَصْحَابُ
صِنْعَةِ التَّرْيَاقِ وَالْحَوَاعُونِ الْأَفَاعِي مِنْ سِجِسْتَانَ . وَذَلِكَ كَسَبٌ لَهُمْ وَحِرْفَةٌ
وَمَتَجَرٌ . وَلَوْلَا كَثْرَةُ قَنَافِذِهَا لَمَا كَانَ لَهُمْ بِهَا قَرَارٌ .

(أَكْلُ الْقَنْفَذِ لِلْحَيَّةِ)

وَالْقَنْفَذُ لَا يَبَالِي أَىِّ مَوْضِعٍ قَبْضَ مِنَ الْأَفْعَى . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ قَبِضَ
عَلَى رَأْسِهَا أَوْ عَلَى قَفَاهَا فَهِيَ مَأْكُولَةٌ عَلَى أَسْهَلِ الْوُجُوهِ ، وَإِنْ قَبِضَ عَلَى
وَسْطِهَا أَوْ عَلَى ذَنْبِهَا ، جَذِبَ مَا قَبِضَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَدَارَ وَتَجَمَّعَ ، وَمِنْهُ سَائِرُ
بَدَنِهِ ، فَتَقَى فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، لَمْ تَصِلْ إِلَى جِلْدِهِ مَعَ شَوْكِهِ الثَّابِتِ ٥٦
فِيهِ . وَالْأَفْعَى تَهْرُبُ مِنْهُ ، وَطَلْبُهُ لَهَا وَجَرَاءَتُهُ عَلَيْهَا ، عَلَى حَسَبِ هَرَبِهَا مِنْهُ
وَضَعْفِهَا عَنْهُ .

(أُمَثَالُ فِي الْحَيَّةِ وَالْوَرَلِ وَالضَّبِّ)

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « أَضِلُّ مِنْ حَيَّةٍ » ، وَ « أَضِلُّ مِنْ وَرَلٍ » ، وَ « أَضِلُّ
مِنْ ضَبٍّ » - فَأَمَّا الْحَيَّةُ فَإِنَّهَا لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا بَيْتًا ، وَالذَّكْرُ لَا يَقِيمُ فِي الْمَوْضِعِ ،
وَأِنَّمَا يَقِيمُ عَلَى بَيْضِهَا بِقَدَرِ مَا تَخْرُجُ فَرَائِخُهَا وَتَقْوَى عَلَى الْكَسْبِ وَالتَّمَسُّكِ
الطَّعْمِ ، ثُمَّ تَصِيرُ الْأُنْثَى سَيَّارَةً ، فَتَقَى وَجَدَتْ جُحْرًا دَخَلَتْ وَائْتَمَتْ بِأَنَّ

(١) أَى وَلَا تَصِيدُوا شَيْئًا مِنْهَا . ط : « وَلَا وَرَلًا تَصِيدُونَهُ » س : « وَلَا وَرَلًا »
تَصِيدُوهُ . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ ه . وَعِنْدَ يَاقُوتَ : « أَلَا يَقْتُلُ فِي بِلَدِهِمْ
قَنْفَذًا وَلَا يَصْطَادُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَفَاعَى » وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ . قَالَ يَاقُوتُ فِي سِجِسْتَانَ : « فَمَا مِنْ
بَيْتٍ إِلَّا وَفِيهِ قَنْفَذٌ » .

السَّائِكِينَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَقَامَ فِصَارَ طُعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَرَبَ فِصَارَ الْبَيْتِ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بِيضَ الْحَيَّاتِ^(١) وَكَسَرَتْهَا لِاتَّعَرَّفَ مَا فِيهَا ، فَإِذَا هُوَ بِيضٌ مُسْتَطِيلٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَخْضَرَ ، وَفِي بَعْضِهِ نَمَشٌ وَلَمَعٌ^(٢) . فَأَمَّا^(٣) دَاخِلُهُ فَلَمْ أَرَقِيحًا قَطُّ ، وَلَا صَدِيدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فَاسِدٍ ، إِلَّا وَالَّذِي فِي بَيْضِهَا أَسْمَجُ مِنْهُ وَأَقْدَرُ . وَيزعمون أنها كثيرة البيض جدًا ، وأن السلامة في بيضها [على^(٤)] دون ذلك ، وأن بيضها يكون منضدًا في جوفها طولًا على غرار^(٥) واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام . وعدد أضلاعها عدد أيام الشهر . وكان ذلك بعض ما زاد في شدة بدنها^(٦) .

(١) ط : « الحياة » صوابه في س ، هـ .

(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفي الأصل : « هش » وليس بشيء . وأثبت الصواب موافقا ما في الديمري (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمة ، بالضم ، وهي كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، هـ : « غرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا في كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صفار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكي » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذرء^(١) الدجاج . والضبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة .
والخنزيرة تضعُ عشرين خنوصاً .

ويخرجُ من أجوافِ العقاربِ عقاربُ صغارٌ ، كثيرة العدد جداً .
وعامةُ العقارب إذا حبلتْ كان حَتْفُها في ولادها^(٢) ؛ لأنَّ أولادها إذا
استوى خلقُها أكلتْ بطونَ الأمهاتِ حتى تنقبها^(٣) . وتكونُ الولادةُ
من ذلك الثقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زعمَ أنَّ بيضة^(٤)
واحدة من بعضِ الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظم
ما تحمِلُ ، ولدقة حبه^(٦) وصغره . ولكن يعتبرها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أنَّ الذكورة في أوانِ ولادة الإناث تتبعُ أذنابها ، فكلما زحرتْ
بشيء التقمته والتهمته .

ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذرء » صوابه ما أثبت من ه .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تثقفها » و ه : « يشقفها »
محرفان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) ، وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، ه « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ،
وعلى قدر كثرة المائنة وقلتها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات
والنصرانيات أكثر لخنًا ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد
مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينفي اللخن والعفن . ويزعمون أن
المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت معطرة قوية المنة قل حملها ، فإن
أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمن الرجال لا يكاد يعثرهم ذلك .
وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنحل . إذا قويت النحلة
وكانت شابة ، وسمن جمارها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك
بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضب على خلاف ما ذكرتم .
قد تبيض الأثنى سبعين بيضة فيها سبعون حسلاً^(١) . ولولا أن الضب
يأكل ولده لانتفشيت الصحارى ضباباً . والضب لا يحفر إلا في كدية^(٢)
وفي بلاد العرّاد^(٣) . وإذا هرمت تبلّغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدلُّ

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العرّاد : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرّار » محرفة ، صوابه بالبدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخْن والعفن^(١) .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك^(٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيَّات سفادٌ معروف ينتهي إليه علمٌ ، ويقف عليه عيان ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يروْنَ من ملاقات الحية [للحية^(٣)] والتواء كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجٌ خيزرانٍ مقتولٌ ، أو خلخالٌ مقتولٌ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر في الشعر)

والعرب تذكرُ الحياتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أيمٌ ، فإنما يريدون الذكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عندَ جودة الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (عرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكنا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب في الكوى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفي الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا في ط . وفي س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفي هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخيِّفة البدن ، كما تذكر الشعراء في صفة الخيل الجرادة الذَّكَرَ^(١)
دُونِ الْأُنْثَى . فهم وإن ألحقوا الهاء فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ
ابن أبي خازم :

جَرَادَةٌ هَبَّوَةٌ فِيهَا أَصْفَرَارُ^(٢)

لأن الأنثى لا تكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرَةِ الذَّكَرُ^(٣) ؛ لأنَّ
الأنثى تكون بين حالتين^(٤) : إمَّا أَنْ تكون حُبْلَى بِيضِهَا^(٥) فهي مُثْقَلَةٌ
وإمَّا أَنْ تكون [قد^(٦)] سرأت وقذفت بيضها^(٧) ، فهي أضعفُ
ما تكون .

قال الشاعر :

أَتَذْهَبُ سَلَمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى وفي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ^(٨)

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر
دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأملى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :
* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هبيرة الأسدي (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(معجم المرزباني ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، ه : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الكلام
وأكلته بما ترى .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سرأت الجرادة والسمة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعطاء في الرمال)

وإذا انسابت في الكُثبانِ والرملِ ، بينَ مواضعٍ مَزاحِفِها ،
وعُرفت آثارُها .

وقال آخر^(١) :

كَأَنَّ مَزاحِفَ الحَيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثارُ السَّيِّاطِ^(٢)
وكذلك يعرفون آثار العطاء . وأنشد ابن الأعرابي :

بها ضربُ أذنانِ العطاء كأنها مَلاعِبُ وَلَدانٍ تخطُّ وتمصع^(٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حيَّات :

كَأَنَّ مَزاحِفَها أنسعَ جُرْرَنَ فَرادى ومَناتِها^(٤)
وقال ثُمَامَةُ الكلبيُّ :

كَأَنَّ مَزاحِفَ الهَزَلَى^(٥) صباحاً خَدُودُ رَصائِعِ جُدِلَتْ تَواما^(٦)

(١) هو المتنخل الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كَأَنَّ وَغَى الخُمُوشِ أُمِيمٍ فيها وَغَى رَكِبِ أُمِيمٍ أُولَى زِيَاطِ

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كَانَ مزاحف الحيات فيه » ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مزاحفها » . ه : « مزاحفها » صوابه في س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الحدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزلى من الحيات . قال جرير أو غيره :
ومن ذات أصفاءٍ سُهوبٌ كأنها مَزَاحِفُ هَزَلَى بينها متباعدٌ^(١)
وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى
أى شئٍ صارت :

وإذا نظرتَ إلى الثرى بعِراضهم
قلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ^(٢)

وقال البعيث :

لَقِيَ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فجاءتُ بَيْتَنَ للضيافةِ أرشما^(٣)
مُدَامِنٌ جَوَعَاتٍ كَأَنَّ عَرَوْقَهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبُنَ سَمَسِمًا^(٤)

-
- = وهى سير مضفور فى أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س .
« صانع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم قتلها . ط :
« خذلت » ه : « خزلت » س : « خذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما :
جمع تؤام . والمراد : أزواج . وانظر (٦ : ٢٥٩) .
- (١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفاء :
جمع صفاء . ط ، ه : « إصفاء » صوابه فى س . وفى اللسان (صوى) : « أصواء »
مع تفصيل فى الشرح . والسهوب : المستوية الواسعة . والين : البعد ، إن جعل « بينها »
مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أى مزاحف متباعد بينها . ط ، ه :
« بيتها » صوابه فى س .
- (٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات
وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .
- (٣) اللق ، بالفتح : الذى لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « فتى »
س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦
واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لق) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد
دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكنى عن زنى
أمه . واليتين : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاهمون
به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
« أرشما » ، س ، ه : « أرشما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة
وأدب السكاك ١٢٧ .
- (٤) مدامن جوعات : أى هو يلتمس الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جَنَاحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ^(١) ، إلا وَقَشَرُ الحَيَّةِ
أَحْسَنُ منه وأَرَقُّ ، وأَخْفُ وَأَنْعَمُ ، وأعجَبُ صُنْعُهُ وتركيباً . ولذلك وصفَ
كثيرٌ قيصَرَ ملكٍ ، فشبَّهه بِسَلَخِ الحَيَّةِ ، حيث يقول :

إِذْ مَا أَفَادَ الْمَالَ أَوْدَى بِفَضْلِهِ حَقُوقٌ ، فَكْرَهُ الْعَاذِلَاتِ يُوَافِقُهُ
يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيءٌ لَهْزَلَى لَمْ تَقَطَّعْ شَرَانِقُهُ^(٢)

والسَّبِيءُ : السَّلَخُ والجلد . قال الشاعر :

* وَقَدْ نَصَلَ الْأَظْفَارُ وَانْسَبَأَ الْجِلْدُ^(٣) *

= كأن عروقها « ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سسم) ، ومعجم
البلدان (سسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى
ملتوية دقيقة . و « سسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه : مشين
فيه . وفى الأصل : « يسربن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تشربن سسما » بالشين المعجمة . والسسم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيه السم فددت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى
بالزاي : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ
الحية إذا ألقته . ط : « سراقه » س ، ه : « سراقه » ، صوابه من
اللسان (سبى) وما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ والأَفْعَى صُمٌّ لا تسمعُ ، وكذلك هما من بين جميع الخلق . وسندكرُ من ذلك في هذا الموضع طرَفًا ، ونؤخر الباقي إلى الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة ^(١) ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب ^(٢) أن يجعل سمعه هدفًا لتوليد ^(٣) الكذابين ، وقلبه قراراً لغرائب الزور . ولكلفه بالغريب ، وشغفه بالطرف ، لا يقفُ على التصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغث في السمين ، والممكن في الممتنع ، ويتعلّق بأدنى سببٍ ثم يدفع عنه كلّ الدّفع .
والصّنف الآخر ، وهو أن بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلّم إلا من خاف التّقزّر ^(٤) من الكذب .

(قول في صمم الأفعى وعماء)

فزعم ناسٌ أنَّ الدّليلَ على أنَّ الأفاعى صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، ه : « وعودهما كثير » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) ه : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » ه : « التقزّر » صوابهما ما أثبت . وفي العبارة قبله اضطراب .

أَنْعَتُ نَضْنَاضًا مِنَ الْحَيَّاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ^(١) للرقاة
وقد ذكروا بالصَّمَمِ أجناساً من خبيثات الحيات ، وذهبوا إلى امتناعها
من الخروج عند رُقِيَةِ الرَّاقِي عند رأس الجحر ، فقال بعضهم :
وَذَاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفَاعِي صَمَّاءُ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي
ويزعمون أَنَّ كُلَّ نَضْنَاضٍ أَفْعَى . وقال آخر :

وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرَّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي مُحْمَةٍ كَالرِّشَاءِ^(٢)
أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاةِ تِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي النِّسَاءِ^(٣)
فزعم أَنَّهُ أَصَمٌّ سَمِيعٌ ، فجاز له أَنْ يجعله أَصَمَّ بقوله : « وَمِنْ حَنْشٍ
لَا يُجِيبُ الرَّقَاةَ » . وقال الآخر :

أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَلِيدَاتٍ^(٤)
والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وَإِنْ قَلِعتَ عينه عادت .
وهو قائمُ الْعَيْنِ كَعَيْنِ الْجَرَادَةِ ، كَأَنَّهَا مِسْمَارٌ مَضْرُوبٌ . ولها بالليل شُعَاعٌ
خَفِيٌّ . قال الرَّاعِي يصفُ الأفعى :

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت في الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ؛ وهي مبالغة
ظاهرة . وروى البيهقي هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنساء ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عصل » صوابه في ط .
وقبله كما سيأتي في ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد للسفر في أعنى الثنيات

وَيُدْنِي ذِرَاعِيهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسٍ صِلٍ قَائِمٍ الْعَيْنِ أَسْفَعُ^(١)
وهذه صفة سليم الأفعى^(٢) فيجوز أن يكون الشاعر وصفها بالتمتع من
الخروج بالصَّم ، كما وصفها بالعمى ؛ لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطراق .
قال الشاعر :

أَصَمَّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي الْقَرَا^(٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارٍ طُمُورٍ بِالْدُّجُنَاتِ^(٤)
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتِ^(٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطُورًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٦)
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أَفْعَى بِقَوْلِهِ :

أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرَّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصْلِ حَلِيدَاتِ^(٧)
مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى «إِلخ»
ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قَدَّمَنَ عَنْ ضِرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسفع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : المملوغ .

(٣) القرأ : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطمور : الثوب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه في س ، هـ . والنفث : النفخ

وفي الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتي ص ٢٨٣ . ولا تنقب

الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهى الجحر . س : « المغارات »

ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعله أعصل^(١) الأنياب ، منهرت الأشداق ، ثم وصفها بالسُّبَاتِ وطول الإطراق ، وبسرعة النَّشْطَةِ^(٢) ، وخفة الحركة ، إذا همت بذلك وكانت تعظم^(٣) .

(شعر امرأة جمع صِفَة الحية)

وقد وصفتها امرأة جاهليّة بجميع هذه الصِّفَة^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشَّعرُ صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صِفَة الأفاعي مثلها .
وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمدٍ الهاشميِّ كتاباً في الحيات ، أكثرَ من عشرة أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلد ونصف .
ولقد ولّدوا على لسانِ خلفِ الأحمرِ ، والأصمعيِّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظنُّك بتوليدهم على ألسنة القدماء !
ولقد ولّدوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ في الحُلاَقِ أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيْهِ قط . فلو تقدّروا من شيءٍ تقدروا من هذا الباب .
والشَّعرُ الذي في الأفعى^(٥) :

قَدْ كَادَ يَقْتَلَنِي أَصَمٌّ مَرَقَّشٌ مِنْ جُبِّكُمْ ، وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٦)
خُلِقَتْ هَازِمُهُ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقَرْصِ فَلَطِحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أعصل : أخرج . هـ : « أعصل » مصحف .

(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بناها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثلث في س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة في ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلمم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أفتح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح

البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيسِ بَرِيرِ (١)
وَكَانَ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنَوُّفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورِ (٢)
وَكَانَ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ شَدَقَا عَجُوزَ مَضْمَضَتٍ لِطُهُورِ (٣)

فقد زعمت^(٤) كما ترى أنها تدير عينا^(٥) ، وزعم الأول^(٦) أنها قائمة العين .
إلا أن نزعهم أنها لم ترد بالإدارة أن مقلتها نزول عن موضعها ، ولكنها
أرادت أنها جوالّة في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والمتياسرة .
والمتياسرة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمیعة^(٧) لدقة الحس ، وكثرة الاكثراث
وجوده الشم ، لا جودة السمع ؛ فإن الذين زعموا أن النعمة صماء زعموا
أنها تدرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من^(٨)]
قبل السمع لو كانت سمیعة . وقد قال الشاعر^(٩) في صفة الحية :

(١) في الأصل : « اللقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصميات وعيون
الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض للفسحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
والمأطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤتلف
ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
والتحوى ، وهما ما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسي .
ورواية صدر البيت في المؤتلف :

« وكان مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

(٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والطهور ، بالضم : التطهر .

(٤) أي الشاعرة . وفي ط : « زعم » .

(٥) عنى الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .

(٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧) هـ : « سمياً » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سمعة ويحرك

وكفرحة ، وشريفة وشريف .

(٨) ليست بالأصل .

(٩) هو الزیادی كما سياتی فی ص ٢٨١ .

تَهْوِي إِلَى الصَّوْتِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةً تَقْوَرُ السَّيْلَ لِأَفَى الْحَيْدِ فَاطْلَعًا^(١)
هذا بعد أن قال :

إِنِّي وَمَا تَبَتَّغِي مَنَى كَلْتَمَسَ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرَّيَّ وَالشُّبْعَا
أَهْوَى إِلَى بَابِ جَحْرٍ فِي مَقْدَمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ نَزْعًا^(٢)
الَّلَوْنُ أَرِيدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ

عَضْلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرَى بَيْنَهَا قِطْعًا^(٣)
أَصَمَّ مَاشِمٌ مِنْ خَضِرَاءَ أُيَسِّهَا أَوْشَمٌ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا^(٤)
فَقَدْ جَعَلَ^(٥) لَهَا أَنْيَابًا عَضْلًا ، وَوَصَفَهَا بَغَايَةَ الْحُبِّثِ وَزَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ .
فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فَإِنْ قُلْتُ : إِنَّ الْمَوْلَدَ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ إِذْ كَانَ دَخِيلًا فِي ذَلِكَ
الأمر ، وليس كالأعرابي الذي إنما يحكي الموجودَ الظاهرَ له ، الذي عليه ٦١

(١) التقور : التثني . وفي الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجهًا ، وصوابه في
اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفي الأصل :
« الجليد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل أنسياب الحية
في مرعيتها وتلويها كأنسياب السيل إذا لاقاه حيد تثنى وأشرف على طريق آخر .

(٢) في مقدمه : في مقدم الحجر . والعسيب : السعف لم يثبت عليه خصوص .
(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة .
وعضل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع

« ثم » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « جعلوا » .

نَشَأَ ، وَيَمَعْرِفَتِهِ غَدَى . فالعلماء الذين اتَّسَعُوا في علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم ، هم الذين نقلوا إلينا . وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً^(١) ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً^(٢) .

ومتى أخبرني بعض هؤلاء بخبر لم أَسْتَظْهِرْ عليه بمسألة^(٣) الأعراب . ولكنه إن تَكَلَّمَ وتحدَّث ، فأنكرت في كلامه بعض الإعراب ، لم أجعل ذلك قُدُوةً حتى أوقفه عليه ، لأنه بمن لا يؤمن عليه الأحن الخفى قبل التفكر . فهذا وما أشبهه حكمه خلاف الأول .

(الرُّقِيَّة)

والرُّقِيَّة تكون على ضروب : فمنها الذى يدَّعيه الحوَّاء والرِّقَّاء ؛ وذلك يُشَبِّه بالذى يدَّعي^(٤) ناسٌ [من^(٥)] العزائم على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن في تلك الرُّقِيَّة عزيمة لا يمتنع منها الشيطان ، فكيف العامر^(٦) ؟ ! وأن العامر إذا سئل بها أجاب ، فيكون هو الذى يتولى إخراج الحيات من الصَّعْخَر . فإن كان الأمر على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُروج الأفاعى الصمِّ وغيرهما فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرقي

(١) ط : « أو حديثاً منشوراً » .

(٢) ط : « أو قصيداً موزوناً » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا في ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمي من سأل . وفي س : « بمسألة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

وَالنَّفْسُ لَيْسَ شَيْئاً ^(١) يَعْمَلُ فِي نَفْسِ الْحَيَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَعْمَلُ فِي الدِّمْيِ
مُخْرِجُ الْحَيَّةِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ [كَذَلِكَ ^(٢)] فَالْسَّمِيعُ وَالْأَصَمُّ فِيهِ سَوَاءٌ .
وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي التَّحْيِيبِ وَالتَّبْغِيزِ ، وَفِي النُّشْرَةِ ^(٣) وَحَلِّ الْعُقْدَةِ
وَفِي التَّعْقِيدِ وَالتَّحْلِيلِ .

(العزيمَة)

ويزعمون أَنَّ الْجَنَّ لَا تَجِيبُ صَاحِبَ الْعَزِيمَةِ حَتَّى يَتَوَحَّشَ وَيَأْتِيَ
الْخَرَابَاتِ وَالْبَرَارِيَّ ، وَلَا يَأْنَسُ بِالنَّاسِ ، وَيَتَشَبَّهُ ^(٤) بِالْجَنِّ ، وَيَغْسِلُ
بِالْمَاءِ الْقَرَّاحَ ^(٥) ، وَيَتَبَخَّرُ بِاللُّبَانِ الذَّكْرَ ، وَيَرَاعِي الْمَشْتَرِيَّ ^(٦) . فَإِذَا دَقَّ
وَلَطْفَ ، وَتَوَحَّشَ وَعَزَمَ ، أَجَابَتْهُ الْجَنُّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بَدَنُهُ يَصْلُحُ
هَيْكَلًا لَهَا ، [وَ ^(٧)] حَتَّى يَلْدَ دُخُولُهُ وَادِيَّ ^(٨) مَنَازِلَهَا ، وَالْأَيُّكِرَةَ
مَلَابِسَتَهُ وَالْكُونَفِيهِ . فَإِنَّهُ هُوَ أَلْحَ عَلَيْهَا بِالْعَزَائِمِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ لَذَلِكَ أَهْبَتَهُ
خَبَلَتَهُ ، وَرَبَّمَا قَتَلْتَهُ ؛ لِأَنَّهَا تَظُنُّ أَنَّهُ مَتَى تَوَحَّشَ لَهَا ، وَاحْتَمَى ، وَتَنَظَّفَ ^(٩)

(١) هـ ، س : « شئ » بالرفع ، صوابه في ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) في الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شيء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماء المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة

وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه في س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَقَطْ^(١) ، حتى يكونَ المعزَّمُ مشاكلاً لها
فى الطَّبَاعِ .

فيزعمون أَنَّ الحَيَاتِ إِنَّمَا تُخْرَجُ إِخْرَاجاً ، وَأَنَّ الذى يَخْرِجُهَا هو الذى
يُخْرِجُ سَمُومَهَا مِنْ أَجْسَادِ النَّاسِ ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْهَا^(٢) .

(التَعْوِيدُ)

وَالرُّقِيَّةُ الأُخْرَى بِمَا يُعْرَفُ مِنَ التَّعْوِيدِ^(٣) . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :
سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ^(٤) : قَدْ جَاءَكُمْ أَحَدُكُمْ يَسْتَرْقِيكُمْ فَارْقُوهُ . قَالَ :
فَعَوَّذُوهُ بِبَعْضِ الْعَوَائِدِ^(٥) .

وَالْوَجْهُ الأُخَرُ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذَا وَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ : مَا زَالَ
فُلَانٌ يَرِقُّ فَلَانًا حَتَّى لَانَ وَأَجَابَ .

(قَوْلُ الشُعْرَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي رُقَى الْحَيَاتِ)

وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فِي رُقَى الْحَيَاتِ ، وَكَانُوا
يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ وَيَصْدُقُونَ بِهِ ، وَنَسْخَبُ بِأَقَاوِيلِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي ذَلِكَ ،
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) أَى أَنَّ الْجِنَّ لَا تُجِيبُ بِالْعَزِيمَةِ فَقَطْ ، بَلْ لَا يَدُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ يَشَارِكُهَا الْمَعْزَمُ
فِي طِبَاعِهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « وَهُوَ لَا يُجِيبُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ط . وَفِي هـ ، س : « عَلَيْهِ » .

(٣) س ، « التَّعْوِيدَةُ » .

(٤) ط ، « وَقَالَ سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ » هـ : « وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتُ يَقُولُ »
وَصَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ مِنْ س .

(٥) كَذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ، وَلَمْ أَرَهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَالْمَعْرُوفُ : « التَّعَاوِيدُ »
جَمْعُ تَعْوِيدَةٍ ، وَ « الْعَوْدُ » : جَمْعُ عَوْدَةٍ بِالضَّم . وَ « الْمَعَاذَاتُ » بِالْفَتْحِ :
جَمْعُ مَعَاذَةٍ .

و [منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنَّ إخراجَ الحَيَّةِ من جُحرِها إلى الرَّاقِ ، إنما كان للزَّيْمَةِ والإقْسَامِ عليها ، ولأنَّها إذا فهِمَتْ ذلك أَجَابَتْ ولم تَمْتَنِع .
وكان أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لا يعرف قولهم في أَنَّ العُمَّارَ هم الذين يُجَبِّون العزائم بإخراج الحياتِ من بُيوتها ، وفي ذلك يقول :

وَالْحَيَّةُ الذَّكَرُ الرَّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُحْرِهَا أَمَنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِلَهِ بَدَأَ فِي مَشْيِهَا رَزَمُ ^(٣)
مَنْ خَلَفَهَا حُمَةً لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كَانَ ثَبَتَهَا فِي جُحْرِهَا الْحَمَمُ ^(٤)
نَابُ حَدِيدٌ وَكَفٌّ غَيْرُ وَادِعَةٍ وَالْخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَوْلِ وَالشَّمِ ^(٥)
إِذَا دُعِينَ بِأَسْمَاءٍ أَجَبْنَ لَهَا لَنَافِثٍ يَعْتَدِيهِ اللَّهُ وَالْكَلِمُ
لَوْلَا خِيفَةُ رَبٍّ كَانَ عَذْبَهَا عَرَجَاءُ تَظْلَعُ ، فِي أَنْبِيَائِهَا عَسَمُ ^(٦)

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) في اللسان : « ووصف أُمَيَّةُ الحية بالحنطة فقال :

والحبة الحنطة الرقشاء أخرجه من بيوتها أمانات الله والكلم » .

وهي رواية الخصائص (١ : ١٥٤) ، قال : « أنثوا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث » ،
يعنى الحنطة .

(٣) في اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر
على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى في سعيها رزم » .

(٤) كذا في ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المجاز في « خلفها » كما يقول
القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أى هو صاحب شر وأذى . والحنة ، بضم
الهاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفي س :
« من خلفها حية » ولا توافق ما سياتى من تعقيب الجاحظ في الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كفٌّ ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس
من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمر في سيرها . وفي الأصل : « تطلع » ، صوابه في الديوان .
والعسم . بالتحريك : أصل معناه يبس في المرفق تموج منه اليد ، فهو أراد به
هنا الاعوجاج والانعقاد ، وهو من صفة ناب الحية . وفي الأصل والديوان أيضاً :
« غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَّتَهُ فذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليسَ في سَمْعِها ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ^(١)
فكَيْفَ يَأْمَنُهَا أُمُّ كَيْفَ تَأْلَفُهُ وليسَ بينهما قُرْبَى ولا رَحِمُ !

يقول : لو أنَّها أُخرجت^(٢) حينَ اسْتَحْدِفَتْ بالله لما خرجت ؛ إذ
ليسَ بينهما قُرْبَى ولا رَحِم . ثمَّ ذكرَ الحِمَّةَ^(٣) والنَّاب .

وقال آخرون : إنما الحَيَّة مثل الضَّبِّ والضَّبْع ، إذا سمعَ بالله والهدْم
والصَّوْت خرجَ ينظر . والحواء إذا دنا من الجحر رفعَ صَوْتَهُ وصَفَّقَ بيديه ،
وأكثرَ من ذلك ، حتى يخرجَ الحَيَّة ، كما يُخرجُ الضَّبُّ والضَّبْع .
وقال كثيرٌ :

وسوداءَ مطراقٍ إلىَّ مِنَ الصَّفَا^(٤) أُنِيَّ^(٥) إذا الحاوى دناَ فصداها^(٦)
والتَّصْدِيعة : التَّصْفِيق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيعةً ﴾ الآية . فالمكاء : صوتٌ بين التَّفْفِخ والصَّفِير .
والتَّصْدِيعة : تصفيق اليَد باليد .

فكان الحَوَّاءُ يحْتالُ بذلك للحَيَّة ، ويُوهمُ مَنْ حَصَرَ أَنَّهُ بالرُّقِيةِ

(١) بلا الشئ يُبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى
« نافث » في البيت الذي قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفي الديوان :
« وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحِمَّة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحِمَّة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ،
بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة المسماة الصلبة . ط ، س : « الصفا »
صوابه في هـ .

(٥) أُنِي ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أُنِي » صوابه في س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . وسمت « فصدًا » بالألف
وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفي ط : « فصدًا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو في ذلك يتكلم ويعرض ، إلا أن ذلك صوتٌ رفيع . وهو لورفعَ صوتهَ بيتِ شعْرٍ أو بحرافةٍ ، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة عند الحية سواءً . وإنما يُشكر الصوت ، كما يُنكره الضبُّ وغير ذلك من الوحش .

ثم قال :

كففتَ يداً عنها وأرضيتُ سَمْعَهَا من القولِ حتى صدقتُ ما وعى لها
وأشعرتها نفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعى النَّفْثَ بالها^(١)
تسللتها من حيث أدركها الرقي إلى الكفِّ لما سالت ، وانسلاها ٦٣
فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سَمْعَهَا * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نفثاً بليغاً فلو ترى *

وقال الأعشى^(٢) :

أبا مِسْمَعٍ إلى امرؤٍ من قبيلةٍ بنى لي عزاً موتهَا وحياتها
فلا تلمس الأفعى يديك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سَفَاتِهَا^(٣)

(١) هـ : « يالها » .

(٢) النسبة في المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي مخاطب معقل بن خويلد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو الصواب في النسبة .

(٣) السقاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفي ط ، هـ ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية =
في الجميع ماعدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ ^(١) فَإِنَّ أَبِي شَمَّ سَفَا وَجَارِهِ ^(٢)
والسفا : التراب اليابس بين التربين . يقال سَفَا سَفَاً وَسَفَاةً .

(تمويه الحواء والراقى)

والحواء [و ^(٣)] الرَّاقي يُرَى ^(٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جَحْرًا ^(٥)
لم يخف عليه : أجحر حية هو أم جحر شيء غيره ، فإن كان جحر حية
لم يخف عليه أمى فيه أم لا . ثمَّ إِذَا رَقَى وَعَزَمَ فامتنعت من الخروج ،
وخاف أَنْ تكون ^(٦) أَفْعَى صَمَاءَ لَا تَسْمَعُ ، وَإِذَا أَرَاغَهَا ^(٧) لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأَ
لم يأمن من أن تنقره نَقْرَةً ^(٨) لَا يُفْلِحُ بعدها أبداً ، فهو عند ذلك يستبرى ^(٩)
بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخفى عَلَيْهِ : أمى أَفْعَى أم حية من سائر
الحيات . فلذلك قال :

فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إِذَا ماغيبتها سفاتها
لسكن في مجموعة المعانى : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إِذَا ماغيبتها سفاتها
(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحي التى
يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحادى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحادى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، هـ : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى هـ .

(٧) أَرَاغَهَا : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ماأثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرى بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون
به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحية في أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بعضُ الحوَّائين أنَّ للحَيَّاتِ نَتْنًا وسَهَكًا ، وأن رِيحَ الأفعى معروفةٌ . وليس شَيْءٌ أُعْلِقَ ، ولا أُعْنَقَ ^(١) ، ولا أُسْرِعَ أَخْذًا لِرَأْحَةٍ من طِينٍ أو ترابٍ ، وَأَنَّهُ ^(٢) إِذَا شَمَّ من طِينَةِ الجَحْرِ لم يَخْفَ عَلَيْهِ . وقال : اعتبرْ ذلك بهذا الطين السداني ^(٣) والراهمي ^(٤) إِذَا أُلْتِيَ في الزَّعْفَرانِ والكافور ، أو غير ذلك من الطَّيِّبِ ، فَإِنَّهُ متى وُضِعَ إلى جنب رَوْثَةٍ أو عَذِرَةٍ ، قَبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إِذَا دَخَلَ دُورَهُم لاستِخراج الحَيَّاتِ أَنَّهُ يعرف أَمَاكِنَهَا بِرَأْحَتِهَا ، فإِذْلك يأْخُذُ قِصْبَةً وَيَشْعَبُ رَأْسَهَا ، ثم يَطْعَنُ بِهَا في سَقْفِ البَيْتِ والزَّوَايا ، ثمَّ يَشْمُهَا ويقول مرة : فيها حَيَّاتٌ ؛ ويقول مَرَّةً : بلى ، فيها حَيَّاتٌ ، على قَدَرِ الطَّمَعِ في القومِ ، وفي عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وَأَمْرُ الصَّوْتِ عَجِيبٌ ، وتَصَرُّفُهُ في الوجوه عَجَبٌ . فمن ذلك أَنَّ منه

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، ه : « اعتق » ولعل نصابهما ما أثبت .

(٢) ط ، ه : « فإنه » والصواب في س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيراني » نسبة إلى سيران . وقد ذكره صاحب

المعتمد في الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطي : نسبة إلى راهط ، وهو موضع في غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِطَ عليها^(١) السُّرُورُ فتقلُّ حتى ترقُص ، وحتى رُبَّمَا رمى الرَّجُلُ بنفسه من حلق^(٢) . وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُكْمَد . ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يُغشَى على صاحبه ، كنعو هذه الأصواتِ الشجية ، والقراءات الملحَّنة^(٣) . وليس يعترهم ذلك من قبيل المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الخوخ ، فقل له : كيف بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّق به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفال .

(١) ط : « عليه » صوابه في س ، ه .

(٢) الخالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون في القراءة من الحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنهج من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من كان يحجر بذلك حتى يسلمه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر . سلمه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق نعتى بعض ما فيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من للسريالية إلى العربية وهو الذى فسر كناش القمص أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالاتين .

وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكى » . وفى ه : « بكى »

وفد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوَابُّ تَصُرُّ آذَانَهَا^(١) إِذَا غَنَّى الْمَسْكَرَى . وَالْإِبِلُ تَصُرُّ آذَانَهَا إِذَا حُدَا فِي آثَارِهَا الْحَادَى ، وَتَزْدَادُ نَشَاطًا ، وَتَزِيدُ فِي مَشْيِهَا^(٢) . وَيَجْمَعُ^(٣) بِهَا الصَّيَّادُونَ السَّمَكَ فِي حِظَائِرِهِمُ الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بَعْضُيَّ مَعَهُمْ ، وَيُعْطِطُونَ^(٤) ، فَتُقْبَلُ أَجْنَاسُ السَّمَكِ شَاخِصَةً الْأَبْصَارِ مَصْغِيَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْحَظِيرَةِ . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَاسِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَاسِ لِلْأَسَدِ وَقَدْ أَقْبَلْتُ ، فَتَرْوَعُهَا تِلْكَ الْأَصْوَاتُ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : الْآيَاتِلُ تُصَادُ بِالصَّفِيرِ وَالْغَنَاءِ . وَهِيَ لَا تَنَامُ مَا دَامَتْ تَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ حَاذِقِ الصَّوْتِ . فَيَشْغَلُونَهَا بِذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْ خَلْفِهَا فَإِنْ رَأَوْهَا مُسْتَرْخِيَةً الْآذَانَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ قَائِمَةً الْآذِينَ فَلَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ .

وَالصَّفِيرُ تُسْقَى بِهِ الدَّوَابُّ الْمَاءَ ، وَتَنْفَرُ بِهِ الطَّيْرُ عَنِ الْبُذُورِ .

وَزَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ إِذَا وَافَقَ سِبَاحَةَ السَّمَكِ

(١) صرَّت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع العصحيح المذكر كما هنا ؛ لا يجوز فى فعله إلا العذكير ، خلافاً للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العططة : تتابع الأصوات واختلاطها .

في أعلى الماء رمت بيضها^(١) قبل انتهاء الأجل . [وربما تمّ الأجل^(٢)]
فتسمع^(٣) الرّعد الشّديد ، فيتعضّل^(٤) عليها أيّاما بعد الوقت .

(قول لأبي الوجيه العسكي)

وقال أبو الوجيه العسكي : أحبّ السّحابة الخرساء ولا أحيها !
ف قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرس حتى تمتلئ ماءً وتصبّ صبّا
كثيراً ، ويكون غيثاً طبّقاً^(٥) . وفي ذلك الحياء^(٦) . إلا أنّ الكمأة لا تكون
على قدر الغيث . ذهب إلى أنّ للرّعد في الكمأة عملاً .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد^(٧) : سألت كسرى عن الكمأة فقيل له : لانكون
بالمطر دون الرّعد ، ولا بالرّعد دون المطر . قال : فقال كسرى : رشوا بالماء
واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح^(٨) . وقد علم جعفر أنّ
كسرى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت في الحية)

فالحية واحدة من جميع أجناس الحيوان الذي للصوت في طبعه عمل .

(١) ط . ه : « ببيضها » صوابه ، في س .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) في الأصل : « فيسمع » .

(٤) يتعضّل : يعسر خروجه . وفي الأصل : « فيتعضّل » ، تحريف .

(٥) طبّقاً : أي مالنا للأرض مغشياً لها .

(٦) الحياء ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .

(٧) تقدمت ترجمته في (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التمليح : أن يأتي بلفظ مليح . وأصل ذلك في الشاعر ، وقد جعله هنا للمتحدث

ط : « التلمح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذا الموضع ،
وصوابه في س ، ه .

فاذا دنا الحوَاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوته حتى يزِيد^(١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجَحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحَيَّة خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعزم مُطاعٌ في العَمَّار . والعامَّة أسرعُ شيءٍ إلى التَّصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح ، وفي^(٢)] أنَّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعمى^(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصارى . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُستَجِيبِ^(٤) بشارِ الأعمى ، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذى يقول :

إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ^(٥) مُعْتَبَرًا لِّطُلُوبِ الْعِلْمِ مُقْتَدِسَةً

٦٥

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتى .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدى في نسكت الهميان ١٦٠ فقد جعلوا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشده الشعر الآتى . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى ممن قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها للشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ عِرْقُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ (١)
لَا تَعْظُ إِلَّا اللَّيْبَ فَا يُعْدَلُ الضَّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدَتْهُ (٢) كَفُّ مُغَرِّسِهِ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَأْمَعُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العرب تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك
والحجارة رطبة .

قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لَبُوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ وَإِذْ صَمُّ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابٌ (٣)
بَايَةً قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدَّيْكَ الْغَرَابُ
وَأُرْسِلَتِ الْحِمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَانِيَتْ بِهَا الْمَاءَ الْعِيَابُ (٤)
فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الشَّاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ (٥)

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونسكت الهميان : « عرقه » صوابه
في س والمعجم .

(٢) في البيان والمعجم ونسكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل
٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أثنت .
ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالسكسر : جمع
سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، هـ . وفي س : « وعانية بها أبناء العياب » . وانظر ما سبق
من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : =

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عَقِدَ السَّخَابُ ^(١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّثَهُ بَنِيهَا وَإِنْ تَقَتَّلَ فَلَيْسَ لَهُ انْتِسَابٌ

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم خبر عن منادمة الديك الغراب ، واشترط الحماسة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كَذَى الْأَفْعَى تَرَبَّيْتُ لَدَيْهِ وَذَى الْجَنَى أَرْسَلَهَا تَسَابُ ^(٢)
فَلَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ يَأْمَنُهَا وَلَا الْجَنَى أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بدوياً ^(٣) ، وهذا من خرافات أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية ^(٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني سأُنشِدُكَ لعدي بن زيد ، وكان نصرانياً ديانياً ^(٥) ، وترجماناً ، وصاحب كتب ، وكان من ذهاة أهل ذلك الدهر .

قال عدي بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جمل فسخطها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عدوه على وليه . فقال :

(= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحماسة .

(١) طوق الحماسة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : ربها . والتربيب : التربية . وفي الأصل : « تربها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٣) في الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ^(١) وكان آخرها أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له

٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا^(٢)
نُمِتَ أَوْرَثُهُ الْفِرْدَوْسَ يَغْمُرُهَا وزوجه صنعة مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرٍ طَيِّبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا^(٣)
فَكَانَتِ الْحَيَّةُ الرَّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا رَى نَاقَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدَا لَتَّى عَنْ أَكْلِهَا نَهِيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كَلَاهُمَا خَاطَ إِذْ بُزَا لَبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ النَّيْنِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غُزْلَا^(٤)
فَلَا طَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيقَتَهُ طُولَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا^(٥)
تَمَشَّى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزْنَاوَانِ سَهَلَا^(٦)
فَأَتَعَبَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا
وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا^(٧)

(١) ط ، س : « خَلِيقَةُ » صوابه في هـ .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شهما وأكلها .

(٤) بزأ لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفي ط ، هـ : « برا » وفي س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لا طها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقی زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فأتعبا أبوانا » . ط فقط : « فأبقيا » محرفة . وفي س ، هـ : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤهُ نَشْفِي بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عَلَلًا^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحية)

فَرَوَوْا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ
ذَلِكَ عُوقِبَتْ بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوقِبَ
بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوقِبَتْ أَيْضًا بِعَشْرِ
خِصَالٍ^(٣) .

وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْإِفْتِضَاضِ ، ثُمَّ الطَّلَقُ ، ثُمَّ
النَّزْعُ^(٤) ثُمَّ بَقْنَاعُ الرَّأْسِ^(٥) ، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْمَى^(٦) وَالنَّفْسَاءُ مِنَ الْمَكْرُوهِ ،
وَالْقَصْرُ فِي الْبُيُوتِ^(٧) ، وَالْحِيْضُ ، وَأَنَّ الرِّجَالَ هُمُ الْقَوَّامُونَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَنَّ
تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ .

(١) الأحلام ، المقول . وعلا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى :
علا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء في اللسان : « الرب يطلق في اللغة على
المالك والسيد والمرب والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله
عز وجل . وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء
في الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر في غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما في التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر
التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ - ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات
كعب في ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصاصة أن تكون بعد تاليته .

(٦) وحم المرأة : حبلى واشتهت الطعام ، فهى وحى من وحام ووحاى . ط ،
س : « الوحى » هـ : « وما يصيب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن في البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل
الخامسة منهن اثنتين .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه (١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوام والسباع ، ونكد العيش ، وبتوقع الموت ،
وبسكنى الأرض ، وبالعرى من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالحاسبة بالطرف (٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحية فإنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطع أرجلها ، والمشي على
بطنها ، وبإعراء جلدها - حتى يقال : « أعرى من حية » وبشق لسانها -
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لتريم العقوبة - وبما ألقى عليها
من عداوة الناس ، وبمخافة الناس ، وبجعل لها أول ملعون من اللحم والدم ،
وبالذى ينسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حية » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرمل
على الطريق وتدخل بعض جسدها فى الرمل ، فتظهر كأنها طبقت خيزران ،
ومنها حيات بيض قصار تجمع بين أطرافها على طرق الناس ، وتستدير كأنها
طوق [أو (٣)] خلخال ، أو سوار ذهب أو فضة - ولما تلقى على نفسها من
السبات (٤) ، ولما تظهر من الحرب من الناس . وكل ذلك إنما تغرهم
وتصطادهم بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد الحاسبة على ما تجنيه العين من جنائيات النظر . وفى س :

« وبالحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعوقبت الأرض حين شربت دم ابن آدم^(١) بعشر خصال :
أنبت فيها الشوك ، وصير فيها الفياق ، وخرق فيها البحار ، وملح أكثر
ماثها ، وخلق فيها الهوام والسباع ، وجعلها قرارا لإبليس والعاصين ،
وجعل جهنم فيها ، وجعلها لا تربي ثمرتها إلا في الحر ، وهى تعذب بهم إلى
يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخفاف ، والحوافر ، والأظلاف والأقدام^(٢) ،
وجعلها مألحة الطعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ، ولا من غير ولده .
قال : ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي مریم الحنفى^(٣) :
« لَأَنَا أَشَدُّ لَكَ بُغْضًا مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ ! » .

وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدّم ، إلا يسيرا من دماء
الإبل خاصة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جَوْدَةَ العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرض

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة
المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقيّة الحديث فيه : « قال :
أفتنمنى لذلك حقاً ؟ قال لا ! قال : لا ضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةٌ . فإذا استدارت ^(١) كأنها قطعةُ زَبْقٍ ، ولم تأخذ من الأرض ولم تُعْطِهَا ^(٢) فهو المادى الخالص الذهبى . فإن كان فيه غشوشة ^(٣) نفشت القطرة على [قدر] ما فيها ، وأخذت من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدروا على اللحم الغريص ^(٤) دَفَنُوهُ وِغْرَقُوهُ فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجدَّوه غضاً طرياً ؛ لأنَّه ذهبى الطِّباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شيء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذهب إذا كان مدفوناً .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديث ، وهذه الأشعار ، تدلُّ على أنَّهم قد كانوا يقولون :
 إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيْتَنَ ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
 الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ . وقد قال العجاج ، أو رؤبه ^(٥) :
 أَوْ عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيراً ممَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّه قال : مكتوبٌ فى التوراة
 أنَّه إِنَّمَا قَالَ : « نَجِدُ فى الكتب » ، وهو إِنَّمَا يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه
 من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل ^(٦)] كتب إشعياء ^(٧) [وغيره ^(٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريص : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم .

كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١) :

١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلاً ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاباً .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتاباً واحداً كما مر =

والذين يروون عنه في صفة عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ^(١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلا على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفى أنَّ الحيةَ قد كانت تسمعُ وتنطقُ ، يقول النَّابِغَةُ^(٢) فى المثل الذى ضَرَبَهُ^(٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يحبُّ سَراحنا - فيعذرنا من مُرَّةِ المتناصِرة^(٤)
لِيَهْنِكُمْ^(٥) أَنْ قَدْ نَفَيْتُمْ^(٦) يُّوتَنَا - حَلَّ عُبَيْدَانَ الحَلَّ بِاقِرِهِ^(٧)

= فى التنبيه السابق : فن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزاعة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الديميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدي .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والديميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميداني (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضعه العرب على السنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا فى هـ . وفى س : « ليهنكو » وهما كتابتان جازتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلى باقره » بكسر اللام من المحلى ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » بحرف . وانظر الاستدراكات .

وإني لللاق من ذوى الضغن نكبةً بلا عثرةٍ والنفس لابدٌ عاثرةً (١)
كما لقيت ذات الصفا من حليفها

وما انفكت الأمثال في الناس سائرة (٢)

فقلت له : أدعوك للعقل وافرًا ولا تغشيني منك للظلم بادرة (٣)

فوانقها بالله حتى تراضيا فكانت تديه الجزع خفيا وظاهره (٤)

فلما توفي العقل إلا أقله وجارت به نفس عن الخير جاثره (٥)

تفكر أني يجمع الله شمله (٦) فيصبح ذا مال ويقتل وإثره

فظل على فأسٍ يحذ غرابها (٧) ليقتلها، والنفس للقتل حاذرة (٨)

فلما وقاها الله ضربة فأسه ولله عين لا تغمض ساهره (٩)

فقال : تعالى نجعل الله بيدنا على العقل حتى تنجزى لي آخره (١٠)

(١) الخزانة : « فإني لألق من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التي كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا ، وهي الحجارة الملص الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز

فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان :

« وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني . والظاهرة

أصله من ظم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفي العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أني يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية .

ورواية الشعراء : « تذكر أني يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميداني والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز في الخزانة والميداني والسديوان :

« مذكرة من المماول بآثره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميداني : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .

(١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزىها . س ، هـ : =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرُهُ (١)
أَبَى لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاجِهًا وَضْرِبَةً فَأَسِ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرُهُ (٢)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَاتِ مَذْهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَعَدَى
ابْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصَّخُورُ وَالْأَشْجَارُ فِي مَاضَى الزَّمَانِ)

وَأُنْشِدُنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ :

فَكَانَ رَطْبِيًّا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا (٣) طَلَحُهَا وَسَيَّالُهَا
فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصَّخُورَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسَّيَّالَ
كَانَتْ خَضِيدًا (٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .

وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابُ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ الشَّوْكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصْرَانِي فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فَقَالَتْ لَعْلَى يَجْعَلُ » صَوَابُهُ ، فِي طَوَالِ الدِّيَوَانِ وَالْخَزَانَةِ وَالْمِيدَانِ . وَيُرْوَى :
« عَلَى الْمَالِ » وَ« عَلَى مَالِنَا » .

(١) يَمِينُ اللَّهِ : قِسْمٌ مِنَ الْإِيمَانِ . وَ« أَفْعَلُ » أَيْ : لَا أَفْعَلُ . وَحُذِفَ « لَا » بَعْدَ
الْقِسْمِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ . وَفِي الْكِتَابِ : « تَاللَّهِ تَفْتَتُو تَذَكَّرُ يَوْسُفَ » أَيْ لَا تَفْتَتَأُ .
وَانْظُرْ لِهَذَا الْبَحْثِ أَمَالِي الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧) وَالْمُخَصَّصَ (١٣ : ١١٥)
وَالْأَضْدَادَ ١٤٨ . وَالْخِتَارَ : الْغَدَارَ .

(٢) تَقُولُ : أَبِي لَكَ أَنْ تَكُونَ وَفِي مَا أَسْلَفَ إِلَى أَخْوِكَ الَّذِي قَبْرُهُ مُوَاجِهٌ لَنَا
وَكَانَ أَخُوهُ فِيمَا زَعَمُوا - ضَرْبَهَا بِفَأْسٍ ، فَانْتَقَمَتْ مِنْهُ بِأَنْ قَتَلَتْهُ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ
وَالْخَزَانَةِ وَالشُّعْرَاءِ : « أَبِي لِي » أَيْ أَبِي لِي أَنْ أَخْدَعُ أَوْ أَنْ أَضْمِنَ وَفَاءَهُ
وَصَدَقَ التَّعَاهُدَ وَالتَّوَاتُوقَ . وَالضَّرِبَةُ الْفَاقِرَةُ : الْقَاطِعَةُ ، كَأَنَّهَا تَقْطَعُ الْفَقَارَ .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَضِيدًا » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . وَانْظُرْ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ .

(٤) خَضِيدٌ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ خَضَدَ الشَّوْكَ : أَيْ قَطَعَهُ . وَفِي الْأَصْلِ .
« خَضِيدَةٌ » وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَذَكَرَ مَعَهُ الْمَوْصُوفُ اسْتَوَى فِيهِ الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثَنُ .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ — حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه ^(١)] أبو عقيل السَّوَّاقِ ، وكان أحدَ رواةِ الحاملين عنه — إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ ^(٢) فِي تِلْكَ الصُّخْرَةِ ، كَتَأْثِيرَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .
 ٦٩ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَقَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَفَى بِهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاها ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحُجَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ وَنَحْوِ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلْقَاءَ ^(٣) يَابِسَةٍ فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيثِ ذَلِكَ بِالْحُجَّةِ ^(٤) . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَذَرِ وَالتَّكْلِيفِ وَانْتِحَالِ مَا لَا أَقُومُ بِهِ . أَقُولُ : إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهْلَكَتِ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِلَةِ لَهْلَكَتِ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النَّحْلِ . فَإِنْ لَمْ أَقُلْ : وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ لَهْلَكَتِ الْعَوَامُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَهْجَ لَهُمْ سُبُلًا ، وَفَتَقَ لَهُمْ أُمُورًا ، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ فِيهَا الْمُنْفَعَةُ ، وَشَمِلَتْهُمْ بِهَا النِّعْمَةُ .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وَإِنْ قَدِمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرْنَا » ، وَيَكُونُ صَوَابٌ مَا فِي ط :

« وَإِنْ قَدِمَى » لِلْخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الْحُجَّة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّم أن الناس يحتاجون بدياً^(١) إلى طبيعة ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمره ألا يعطى نفسه فوقَ حقها ، وألاً يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السّابق إلى القلب - والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكباتي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطنابي في القول ، بيتُ ابنِ هرّمة ، حيث يقول :
إنّ الحديثَ تغر القومَ خلوته حتّى يُلجّ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ مُجرٍّ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

(١) بدياً : أى بدءاً . وفي الأصل : « ندباً » .

(٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكباتى » .

(٣) خلوته : أى أن يختل ببعضهم ببعض لمداورته وتبادلته . وفي الأصل : « خلوته » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) وأمالي القائل (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلّة يحمدّها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كلُّ مجرٍّ في الخلاءِ مسرٌّ » ، يجعل « مسر » اسم مفعول من « أمره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهّمه القائل ، كما أنشد الآخر في عكسه : =

وأنا أعود بالله أن أَعَزَّ من نفسى ، عند غيبة خصمى ، وتصفح العلماء لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتْنَةَ اللسان والقلم ، أشدَّ من فِتْنَةِ النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ، أوَّلُ ذلك العلةُ الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعدَدِ ألفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من كَتَبَ العَرَضَ والجوهر ، والطَّفرة^(١) ، والتولد^(٢) ، والمداخلة^(٣) ، والغرائز^(٤)

= وبلدة يغضى على الثعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت
أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق
فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رى سبها فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حى ، فهو فعل الإنسان والحقى . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ — ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ — ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطبائع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لأفزع فيه إلى تلقط الأشعار^(٢) ، وتتبع الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في السكتب ، وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلاً من اضطراب لفظي ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام^(٣) ، ومن وقوع الشيء في غير موضعه^(٤) - فلا تنسكرو ، بعد أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنتُ لم أتمس به إلا إفهامك مواقع الحجج لله ، وتصارييف تدبيره ، وإنذى أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - كما تعرّضتُ لهذا المكروه .

فإن نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من يلتبس لصاحبه الخارج ، ولا يذهب مذهب التعنت ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرّض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرّض له

= للخمير . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (١٤ - ١٥) .

وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ ساسي .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة في الفصل (٥ : ٦١) . وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط ، هـ : « النحاس » س : « النحاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أي ألجأ . وفي الأصل : « أفرع » محرفة . والتلقط : التقاط الشيء من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلطف » ، وليس صواباً .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما في ط ، س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .
 فلينظر فيه على مثال ما أذب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
 والاعتبار والتعليم ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
 وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجميلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررت بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
 والجرجسة ^(١) ، ألا تحقر تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرها
 عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك ^(٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
 ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و ^(٣)] من ذلك التدبير ،
 كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
 بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
 وَطَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
 وقد قال عامر بن عبد قيس ^(٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
 في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصغير . ط : « الحرجسة » ، صوابه
 في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جاز في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٣٨٢) .
 وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العبدي . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسي بالله أن أقول إلا له ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا له .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فاحذر من أن تكون منهم ، ومن
يَنْظُرُ إِلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهَا ، وَمِنْ^(١) يَبْصُرُهَا بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَاسْتِمَاعِ
الْأَذَانِ ؛ ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه
وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يُعْرِضُ عنها . وقد
قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
كانوا صمًّا بُكْمًا وكانوا هم لا يعقلون ، لما عيرهم بذلك ، كما لم يعير من خلقه
معتوها كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقَهُ أَعْمَى كَيْفَ لَمْ يَبْصُرْ ، وكما لم يَلْمُ^(٢)
الدواب ، ولم يعاقب السباع . وَلِسَكِنَّهُ سَمَّى الْبَصِيرَ الْمُتَعَامَى أَعْمَى ، والسميع
المتصائم^(٣) أَصَمَّ ، والعافل المتجاهل جَاهِلًا .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حلود المبالغة .
انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبناء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٣ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفلک .

فَانْظُرْ كَمَا أَمَرَكُ اللَّهُ ، وانظرْ من الجهة التي دَلَّكَ مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوة .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ ^(١) .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى مَا فِي الْحَيَّاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَرَةِ ، والفائدة والحكمة ؛ ولذلك قال أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : « لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما يَمُرُّ بِنَا طَائِرٌ إِلَّا وَعِنْدَنَا مِنْ شَأْنِهِ عِلْمٌ » . وهذا القولُ مُصَحِّحٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، ولم يَخْصَّ أَبُو ذَرٍّ خَشَاشَ الطَّيْرِ مِنْ بُغَاثِهَا وَأَحْرَارِهَا ، ولا ما يَدْخُلُ فِي بَابِهِ ^(٢) الهمَج . وقد أَرَيْنَاكَ مِنْ تَحْقِيقِ قَوْلِهِ طَرَفًا . ولعلَّكَ إِنْ جُمِعَتْ نَظَرُكَ إِلَى نَظَرِنَا ، أَنْ ^(٣) تَسْتَمَّ هَذَا الْبَابُ ، فقد قال الشاعر :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ ^(٤) أَشِيرَا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرَيَانِ
وقال الْأَحْنَفُ : « مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى مِنْ الْأَمَةِ الْوَرَهَاءِ وَالْعَبْدِ الْأَوْرَةِ ^(٥) » .

(أنواع الحيات)

وَالْحَيَّاتُ مُخْتَلِفَاتُ الْجِهَاتِ جَدًّا ، وهى مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَكْثُرُ اخْتِلَافُ أَجْنَاسِهَا فِي الضَّرَرِ وَالسَّمِّ ، وَفِي الصَّغَرِ وَالْعِظَمِ ، وَفِي التَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ

-
- (١) مَا آتَيْنَاكُمْ : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبني إسرائيل . بقوة : بجود وعزيمة .
اذكروا ما فيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أوتفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب ط » : « باب ه » ، وأثبت تصحيح ما فى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأورده : الأحمق ، والأنثى ورهاء .

وفي الهرب منهم . ففنها مالا يؤذى إِلَّا أَنْ يَكُونَ الناس قد آذَوْهَا مَرَّةً .
وَأَمَّا الْأَسْوَدُ فَإِنَّهُ يَحْقِدُ وَيُطَالِبُ ، وَيَكْمَنُ ^(١) في المتاع حتى يُدْرِكَ بَطَائِلَتَهُ .
وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شَيْءٍ نَهْشَهُ .

وَأَمَّا الْأَفْعَى فَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهَا ، وَلَسْكَنَهَا تَظْهَرُ فِي الصَّيْفِ مَعَ أَوَّلِ
الليل ، إِذَا سَكَنَ وَهَجُ الرَّمْلِ وَظَاهِرُ الْأَرْضِ ؛ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ حَتَّى
تَسْتَدِيرَ وَتَطْحَنَ ^(٢) كَأَنَّهَا رَحَى ، ثُمَّ تُلْصِقُ بَدَنَهَا ^(٣) بِالْأَرْضِ وَتُشْخِصُ
رَأْسَهَا ، لَثْلَاً يَدْرِكُهَا السُّبَاتُ ؛ مُعْتَرِضَةً ، لِثَلَاً يَطَّأُهَا إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ فَتَنْهَشُهُ .
كَأَنَّهَا تَرِيدُ إِلَّا تَنْهَشَ إِلَّا بِأَنْ يُتَعَرَّضَ ^(٤) لَهَا ، وَهِيَ قَدْ تَعَرَّضَتْ
لنَهْشِهِ بِاعْتِرَاضِهَا فِي الطَّرِيقِ وَتَتَاوَمُهَا عَلَيْهِ ! وَهِيَ مِنَ الْحَيَّاتِ الَّتِي تَرُصِدُ ^(٥)
وَتُوصَفُ بِذَلِكَ . قَالَ مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ^(٦) :

أَبَا مَعْقِلٍ لَا تُوطِئَنَّكُمْ بَغَاضَتِي

رُمُوسَ الْأَفَاعِي فِي مَرَاصِدِهَا الْعُرمِ ^(٧)

-
- (١) كَمَنْ يَكْمَنُ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ وَسَمِعَ : اسْتَخْفَى . س : « وَيَكْمَنُ » مُحَرَفَةٌ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَنْطَحْنُ » وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . الْجَوْهَرِيُّ : طَحَنَتِ الْأَفْعَى : تَرَحَّتْ
وَاسْتَدَارَتْ ، فَهِيَ مَطْحَانٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :
بِخَرِشَاءٍ مَطْحَانٍ كَأَنَّ فَحِيحَهَا إِذَا فَزَعَتْ مَاءَ هَرِيقٍ عَلَى بَجَرٍ
(٣) ط : « بَدَنَهَا » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ س ، ه .
(٤) ط : « يَتَعَرَّضُ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا كَتَبْتُ مِنْ س ، ه .
(٥) تَرُصِدُ : أَيُ تَكْمُنُ . وَالْمَرَاصِدُ : الْمَسْكَمُنُ .
(٦) مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ وَائِلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ يَالِيلٍ الْهَذَلِيُّ ، شَاعِرٌ مَخْضَرٌ أَدْرَكَ
الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَكَانَ أَبُوهُ رَفِيقَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى أُبْرَهَةَ . مَعْجَمُ الْمُرْزَبَانِي
٣٧١ وَالْإِسَابَةُ ٨١٣٠ .
(٧) يَخَاطَبُ أَبَا مَعْقِلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيْبَةَ ، كَمَا فِي شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّ لِلْسَّكْرِيِّ ٣٨٣ تَحْقِيقُ
فِرَاجٍ . وَالْبَغَاضَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْبَغْضُ . وَرَوَايَةُ الْأَسَانِ (رُصِدَ ، بَغْضُ ، عَرَمُ)
وَالْمَخْصَصُ (٧ : ١٩٤) : « لَا تُوطِئَنَّكَ » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها^(١) . وكل منقطة^(٢) فهى عرّماء ،
من شاة أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوّت من حنّشٍ وراصيدٍ للسّفَرِ فى أعلى البيات قاصِدِ
والأفعى تقتلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمانٍ . والشُّجاع^(٣) يواثِبُ
٧٢ ويقوم على ذنبه ، وربّما بلغ رأسه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والمقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوّقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها
لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شىء كأقاطيع الشّيار إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وقّعت بين أرجلها كان
همّتها نفسها ، ولم يكن لها همّةٌ إلّا التّخلصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء .
فإن نجت من وطء أيديها ، لم تنج من وطء أرجلها . وإن سلمت من واحدة
لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لُجأ ، وهو يصف إبله :

* تعرّض الحياتِ فى خِرشائها^(٤) *

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمراصد . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة » ، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرّماء
التي فيها نقط سود وببيض . وأنشد :

* ردوس الأفاعى فى مرابضها العرم * *

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابها « تفرش » . والتفرش : التجمع . وانخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « عسامها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام^(١) :

* تُعْجِلْهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَزِ^(٢) *

ومن ذلك أَنَّ العَقْرَبَ تَقَعُ فِي يَدِ السَّنَّورِ ، فِيلْعَبُ بِهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ
وهي في ذلك مُسْتَرْخِيَةٌ مُسْتَخْذِيَةٌ لَا تَضْرِبُهُ . وَالسَّنَانِيرُ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي
لَا تَسْرَعُ^(٣) السُّمُومُ فِيهِ .

(مسألة الأفعى للقانص والراعى)

وَرَبِّمَا بَاتَتْ الْأَفْعَى عِنْدَ رَأْسِ الرَّجُلِ وَعَلَى فِرَاشِهِ فَلَا تَنْهَشُهُ .
وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ ذَلِكَ مِنَ الْقَانِصِ^(٤) وَالرَّاعِي^(٥) . قَالَ الشَّاعِرُ^(٦) :
تَبَيْتُ الْحَيَّةَ النَّضْنَاضَ مِنْهُ مَكَانَ الْحَبِّ مُسْتَمِعَ السَّرَارِ^(٧)
قَالَ : الْحَبُّ : الْحَيِّبُ^(٨) . وَالنَّضْنَاضُ مِنَ الْحَيَّاتِ : الَّذِي يَحْرُكُ

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي .
وهو كذلك لقب لنويع ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما
الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، في النقائص . وانظر المؤلف
١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ : لَسَعَتْهُ بِأَنْفِهَا . وَالنَّكَازُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ يَنْكَزُ بِأَنْفِهِ وَلَا
يَعُضُ بِفِيهِ . فِي الْأَصْلِ : « وَالْمَنْكَرُ » .

(٣) س : « تَسْرَحُ » ، وَلَيْسَتْ هُنَاكَ .

(٤) الْقَانِصُ : الصَّائِدُ . ط : « الْقَاصُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) هُوَ الرَّاعِي الشَّاعِرُ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (حَبِّ ، نَضَض) وَأَمَّا الْقَالِي (٢ : ٢٣)
وَالِاشْتِقَاقُ ٣٠٨ مِنْ تَحْقِيقِي .

(٦) كَذَا . وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ : « يَسْتَمِعُ السَّرَارَا » . انْظُرِ الْمَصْدَرَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ
وَالْمَخْصَصَيْنِ (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وَقِيلَ الْحَبُّ ، هُنَا : الْقُرْطُ . عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ جَنْدَلَ بْنَ عُبَيْدٍ الرَّاعِي ، عَنْ
مَعْنَى قَوْلِ أَبِيهِ الرَّاعِي :

تَبَيْتُ الْحَيَّةَ النَّضْنَاضَ مِنْهُ مَكَانَ الْحَبِّ يَسْتَمِعُ السَّرَارَا

مَا الْحَبُّ ؟ فَقَالَ : الْقُرْطُ . فَقَالُوا : خَذُوا عَنِ الشَّيْخِ فَإِنَّهُ عَالِمٌ . وَقَالَ صَاحِبُ

الْبَيْتِ : « الْحَبُّ وَالْحَبَابُ : الْقُرْطُ مِنْ حَبَّةٍ » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرُّمَّة : ما التضنَّاض ؟
فأخرجَ لسانه يحركه ^(١) .

وإنما يصف القانص وأنه يبيت بالفقر . ومثله قولُ أبي النجم ^(٢) :
تحكى لنا القرناء في عززها جَرَى الرَّحَى تجرى على ثفالها ^(٣)
العزال ^(٤) : المسكان .

وفى ذلك يقول أبو وجزة ^(٥) :
تبيت جارتَه الأفعى وسامرَه رُمْدٌ به عاذرٌ منهنَّ كالجرب ^(٦)
وقوله : رُمْدٌ ^(٦) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر ^(٧) .

(قصة في مسألة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن مناقش مع دارم الدارمى ، فلما أصبح يحيى

-
- (١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية التضنَّاض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره لإدارة خفيفة : يحكيه » .
 - (٢) ويروى للأعشى : كما فى اللسان .
 - (٣) الحية القرناء : التى لها لَحْمَتان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر ما يكون ذلك فى الأفعى . هـ : « الفرما » س : « الغرما » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عزز ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عززها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثقال الرعى : الجلد يبسط تحته ليق الطحين من التراب .
 - (٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عززال الحية : ججرها » .
 - (٥) فى الأصل : « أبو وجزة » بالراء ، وإنما هو بالزى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .
 - (٦) فى الأصل : « ربد » بالياء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .
 - (٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :
أعوذُ بربى أن ترى لى صبيتى يُطيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم
من الخرس لا ينجو صحيحاً سليمها وإن كان معقوداً بحلى التمام^(١)

(مسألة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربما باتت
فى لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتسكونُ فى قبضه عامّة يومها ، فلا تلسعه .
فهى بالأفعى أشبه .

فأما سائرُ العقاربِ فإنها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربتُ إنساناً فوّتُ ٧٣
كما يصنع المسمى الخائف للعقاب^(٣) .

والعقرب لا يضرب الميتَ ولا المغمى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

(مسألة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسلمها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كل أسود سالىخ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدث أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج السلمى

(١) السليم : اللدغ . وأراد معقوداً به حل التمام ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « للعقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لسعت قتلَتْ ، فذبّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهلِ الدارِ فضرِبَتْهُ
عقربُ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرضُ به :
وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَّانُهَا أَقَامَ الْحُدُودَ بِهَا الْعُقْرَبُ
إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنْ عَقَرَبَهَا تَضْرِبُ^(١)
قال : فأدخلَ النَّاسُ بِهَا حَوَاءً ، وَحَكَّوْا لَهُ شَأْنَ تِلْكَ الْعُقَارِبِ ،
فقال : إن هذه العقاربَ تستقي منْ أَسْوَدَ سَالِحٍ . ونظر إلى موضعٍ في الدارِ
فقال : احفِرُوا هَاهُنَا . فحفَرُوا عَنْ أَسْوَدَيْنِ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَلِلذَّكَرِ خُصِيَّتَانِ
وَرَأَوْا حَوْلَ الذَّكَرِ عُقَارِبَ كَثِيرَةً فقتلُوهَا .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عباس حين راهنه عقرب بالشَّعر^(٢) ، وقيل
لِسُكْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : لَسْتُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَغْلِبَ صَاحِبِكَ . فقال الفضل :
قَدْ تَجَرَّ الْعُقْرَبُ فِي سَوْقِنَا^(٣) لَامَرَحِبًا بِالْعُقْرَبِ النَّاجِرَةِ

(١) في المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفي محاضرات
الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الديمري ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد
هذا البيت :

فلا تأمن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب
(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل في المثل والتسويق ،
فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس
ابن عتبة بن أبي لب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقرباً عامل الفضل ،
وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبتة ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتي .
هـ : « راهنته عقرب » ، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب)
وأمثال الميداني (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن
والمساوي (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه .
وانظر الاستدراكات .

(٣) في اللسان وأمثال الميداني وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قه تجرت في سوقنا عقرب » .

كل عدوُّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ مُخْشَى من الدَّابِرَةِ (١)
كلُّ عدوٍّ كِيدُهُ في استِهْ فغَيْرُ ذِي أَيْدٍ ولا ضَائِرُهُ (٢)
قَدْ ضَاقَتِ الْعَقْرَبُ واستَيْقَنْتْ بَأَنَّ لَادُنْيَا ولا آخِرَهُ
إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حَاضِرَهُ

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر (٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب الليثي الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَهَا اللَّهُ ،
فَلَيْسَ لَهَا لَتَبٌ إِلَى مَنْ ضَرَبَتْ ! » .

وقال الضبي : أنا عقربٌ ، أضرب ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الْجَرَّارَةُ (٥) بعسكر مُكْرَم (٦) ، أو بجنديسابور ،

-
- (١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .
(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أي غير ذي ضائرة . والضائرة : ماتصير ، أي
تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذي كيد ولا نائرة » . والنائرة : الحقد
والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .
(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٧٧) .
(٤) في (٥ : ٣٥٣) : « القتي » .
(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصفار تجرر بأذيائها . ط : « الجرادة » ،
صوابه في س ، ه .
(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفنَ وأنتن ، حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو مُحَرَّمٌ أنفه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أنَّ الوخْزَةَ التي وُخِزَها كانت من جرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حِجَاماً ، يحجِّمُ ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السَّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحِجَامُ لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرَ كثيرة . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لما كانَ لصاحبهم في ذلك من الفَرْجِ ، وما على الحِجَامِ في ذلك من الضَّرَرِ . وذلك أنَّ وجهه ربما اسماراً واربداً ، وربما عطَّلت مقاديم أسنانه وتوجَّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتَّصل إلى فيه من بُخار الدَّمِ ، ومن ذلك السَّمُّ المخالط لذلك الدَّمِ . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حَشَوْا أَذْنَابَ^(٢) المحاجِمِ بالقُطْنِ ، فصار القُطْنُ لا يمنع قوَّةَ المصِّ والجذبِ ، ولم يدعُه يصلُ إلى فم الحِجَامِ . ثمَّ إنَّهم بعدَ مدَّةٍ سُنِّيَّاتٍ^(٣) أصابوا نَبْتَةً في بعض الشَّعْبِ^(٤) ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنَ حاله .

والجرَّارات تألف الأخواء^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع الناريَّة . وسُمِّها نار .

(١) خر أنفه : غطاءه .

(٢) ط : « أَذْنَاب » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تصغير سنة .

(٤) الشَّعْب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفي الأصل : « الأخواء » بالمهمله !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفي الأصل : « الأتاتين » بنونين بينهما ياء ، بحرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلينِ فتقتلُ أحدهما ويقتلُها الآخرُ^(١) ، وربما نجت ولم تمت ، كما أنه ربما عقرت ولم تقت ، ونجدُها تضربُ رجلين في ساعةٍ واحدةٍ ، فيختلفان في سوءِ الحال . ونجدُها تختلف مواضعُ ضررها على قدرِ الأغذية ، وعلى قدرِ الأزمان ، وعلى قدرِ مواضعِ الجسد . ونجدُ واحدًا يتعالجُ بالمسوس^(٢) فيحمده ، ونجدُ آخرَ يدخلُ يده [في^(٣)] مدخلِ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخرَ يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، ونجدُ آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمده ، ونجدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ما يوافقه ، ثم إننا نجدُ يعاود ذلك العلاج عند لسةٍ أخرى فلا يحمدُه !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ، وفي الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاه^(٤) اختلفَ الذي وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنَّ قولَ القائل في العقرب : شرُّ ما تكون حين تخرج من جحرها ، ليس يعنون من ليلتها - إذ^(٥) كان لا بدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذي يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :

فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشكون وبألها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion

وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣

وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالأسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « مالقاه » ، صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة - ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : في أوَّل ما تخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكثِّها في غير عَالِمِنَا وَغَدائِنَا وَأَنْفاسِنَا ومعايشِنَا .

(زعم العامة في العقرب)

والعامةُ زعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام ؛ لتفتح المسام^(١) ، وسعة المجارى ، وسخوة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبي إسحاق . كأنَّهُ كان يَرى^(٢) أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخنَ كان شرًّا .

ونحن نجدهم يصرون من لسعتها اللَّيلَ كُلَّهُ ، وإذا طلعت الشمسُ سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلةٌ من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن .
٧٥ وسمومها بِاللَّيْلِ أشدُّ ، إِلَّا أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس في برد الليل أسخن وفي حرِّ النهار أقر .

(الدَّسَّاس)

وزعم لى بعضُ العلماء^(٣) مَن قَدْ رَوَى السُّكُتِب ، وهو في إرثٍ منها ، أنَّ الحية التي يقال لها : الدَّسَّاس^(٤) ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمر لم تَضَعُ نمرًا قط إِلَّا ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لى في بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفي التميمي : « الدسامة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ زعم أن الكمأة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطَرَةً صَفِيَّةً ،
فيستحيل بعضها أفاعى . فسمِعَ هذا الحديثَ منى بعضُ الرؤساءِ الطائيين^(١) ،
فزعم لى أنه عاينَ كمأةً ضخمةً فتأملها ، فإذا هى تتحركُ ، فنهض إليها
فقلعها ، فإذا هى أفعى . هذا ما حُدِّثته عن الأعراب ، حتى برئت إلى الله
من عيب الحديث .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكلُ اللحمَ والعُشبَ .
وزعم أن الحيات أظهرُ كلباً من جميع الحيوان ، مع قلة شربِ الماء .
وأن الأسدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماء . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفسها إذا
شمَّت ريحَ السَّذاب ، وربما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها
وقد سكرت .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشبَ .
وزعم أن الحيات تسلخُ جلودَها في أوَّلِ الرَّبيع ، عند خروجها من
أعشها^(٢) وفي أوَّلِ الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من
الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أنخبث الحيات ، يندس فى التراب
فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » . وانظر لولادة الدساس ، مافى
الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، ه .
(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيىء على الشذوذ . س : « الكايين » ه :
« الكايين » . وكنت حسبها : « الكيائين » لكن وجدت تعقيب
الجاحظ لايسف بهذا .
(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة — كمنبة — فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلَخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها^(١) أنها عمياء .

وهي تسَلَخُ من جلودها في يوم وليلةٍ من الرأس إلى الذَّنْب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يُسَلَخُ الجنينُ من المشيمة ؛ وكذلك^(٢) جميع الحيوان المحزَّز^(٣) الجسد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبَر^(٤) وكذلك السَّرطان ، يسَلَخُ أيضاً ، فيضعف عند ذلك عن المشي . وتسَلَخُ جلودها مراراً .

(سَلَخُ الحيوان)

والسَّلَخُ يصيب عامةَ الحيوان : أمَّا الطير فتحسيراها^(٥) ، وأمَّا ذوات الخوافر فسَلَخُها عقائِقُها^(٦) ، [وسَلَخُ الإبل طرْحُ أوبارها ، وسَلَخُ الجراد انسلاخ جلودها^(٧)] ، وسَلَخُ الأيائل إلقاء قرونها ، وسَلَخُ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير الممهود استعمال العش لجر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جملة هنا للحية ، كما جملة أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهينُ عشه ووكره ، ذا سبعة أجرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الباء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون ما لهم : ما يقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه في س .

(٣) كذا في ط ، هـ . وفي س : « المحزَّز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيراها » س ، هـ : « فحسرها »

والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهي شعر المولود .

(٧) هذه التكلفة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبة تنسلخ فتصيرُ فراشةً . وقال الطِّرِمَاح شعراً :
وتجرَّدَ الأسرُوعُ واطَّردَ السَّفاً وجرت بِجَالِيهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ^(١)
وانسابَ حَيَّاتُ الكَثِيبِ وأقبلتْ وَرَقُ الفَرَّاشِ لما يَشُبُّ المَوْقِدُ^(٢)
يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوصُ ينسلخُ ، فيصيرُ إمَّا بعوضةً وإمَّا فراشةً .

(انسلخ البرغوث)

وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك^(٣) أنَّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
وأنَّ البعوضة التي من سلخ دُعْمُوص رُبَّمَا انسلخت^(٤) برغوثاً .
والمثل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّرُ خَلْقُهَا ، وذلك هو سلخُهَا . وهُلْكُهَا
يحين عند طيرَانِهَا .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بجاليها » ، وصوابه ما أثبت
من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حذب ، وهو ما أشرَف من الأرض
وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من
الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجدجد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفرائش الذي في لونه سواد وبياض ، إلى النار التي
يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوهُ بيا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم
وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه
بالرقعة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) في الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجِزُ (١) :

* مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ (٢) *

(أثر البلدان في ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السَّباعِ ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامِّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البلدان ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْلِ (٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقارب نصيبين (٤) ، وثعابين مصر ، وهنديات (٥) الخرابات .

وفي الشَّبْثان (٦) ، والزَّنابير ، والرَّتِيلَات (٧) ما يقتل . فَأَمَّا الطَّبُوعُ (٨) فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْأَذَى . وَلِلضَّمَجِ (٩) أَذًى لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ .

(١) هو عوف بن ذروة ، كما في نوادر أبي زيد الأنصاري ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما ساقى في (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت : * من كل سفهاء القفا والحدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما في ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت في (٣ : ٣٥٣) . وفي الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها في ١٢١ . ط ، س : « هندرايات » وأثبت صوابه من هـ .

(٦) الشبثان : جمع شبت بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من المعناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتثور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة مثنتة تلسع ، تسمى في مصر بالبق . وهى : Cimex . وفي الأصل : « للصخ » محرقة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر ، يُخَرَّج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال . والأيل إذا ألتى قرونه علم أنه قد ألقى سلاحه ، فهو لا يظهر . وكذلك
إن سمن علم أنه يُطَلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أول ما ينبت قرونه يعرضه
للسمس ؛ ليصلب ويحفظ . وإن لدغت الأيل حيّة أكل السراطين ؛ فلذلك
نظن أن السراطين صالحة للددغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيل ولداً أكلت مشيمتها . فيُظَنُّ^(١) أن
المشيمة شيء يتداوى به من علّة النفاس .

[قال] : والدبة إذا هربت^(٢) دفعت جرائعها^(٣) بين يديها ، وإن
خافت على أولادها غيّبتها ، وإذا لحقت^(٤) صعدت في الشجر وحملت
معها جرائعها .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية
كما في هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل . والجراء : جمع جرو :
وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ في القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له : « خانيق الفهود » أكل العذرة فبرى^(١) منه .

قال ، والسباع تشهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فر بعضها منه فيطمع في نفسه ، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي طائر^(٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صغترًا جبليًا . وقد فعلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصغتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية ، كما أن ساء أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح .

قال : ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغم ، فإنه يذبها^(٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحق « بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، ه : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما فى ج .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التى تسمى خائقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سياتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وَزَعَمَ أَنَّ الْقَنَافِدَ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِهَةِ الرِّيحِ وَتَحَوَّلَهَا وَهَبُوبَهَا ، ٧٧
وَأَنَّهُ كَانَ بِقِسْطُنْطِينِيَّةٍ رَجُلٌ يُقَدَّمُ وَيُعَظَّمُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ هُبُوبَ
الرِّيحِ وَيُخْبِرُهُمْ ^(١) . بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَعْرِفُ الْحَالَ فِيهَا بِمَا يَرَى مِنْ
هَيْئَةِ الْقَنَافِدِ .

(العيون الحمراء)

وَالْعُيُونُ الْحُمْرُ لِلْعَرَضِ الْمَفَارِقِ ، كَعَيْنِ الْغَضْبَانِ ، وَعَيْنِ السَّكْرَانِ ،
وَعَيْنِ الْكَلْبِ ، وَعَيْنِ الرَّمْدِ .

(العيون الذهبية)

وَالْعُيُونُ الذَّهَبِيَّةُ : عُيُونُ ^(٢) أَصْنَافِ الْبَزَاةِ مِنْ بَيْنِ الْعُقَابِ ^(٣) إِلَى الزَّرَقِ .

(العيون التي تسرج بالليل)

وَالْعُيُونُ الَّتِي تُسْرِجُ بِاللَّيْلِ : عُيُونُ الْأَسَدِ ، وَعُيُونُ النَّمُورِ ، وَعُيُونُ
السَّنَانِيرِ ، وَعُيُونُ الْأَفَاعِي ^(٤) .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حية :

غَضَابٌ يُشِيرُونَ الدُّحُولَ ، عُيُونُهُمْ كَجَمَرِ الْغَضَى ذَكَيْتُهُ فَتَوْقَدًا ^(٥)

(١) ط ، ه : « ويخبر » .

(٢) ط ، ه : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، ه : « المقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتي مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الدحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثار . س ، ه : « الدخول » صوابه =

وقال آخر ^(١) :

وَمَدَجَّجٍ يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مَحْمَرَةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ ^(٢)
رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحارِ العبدى : يا أحرر ! قال : والذهب أحرر ! قال :
يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَةٍ عَيْنِهَا
كَذَاكَ عِتَاقُ الطيرِ شُكْلُ عُيُونِهَا ^(٣)
وقال آخر :

وَشُكْلَةُ عَيْنٍ لَوْ حُيْتُ بِبَعْضِهَا
لَكُنْتُ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَاى وَمَسْمَعَا ^(٤)

= فى ط . وذكى النار : ألقى عليها ما تذكوبه وتزيد اشتعالا . ط ، هـ :
« ذكيته » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الميم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين .
وأراد به التنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة :
السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليسك :

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه .
وسيماد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خيبت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحانية .
والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب^(١) ، والأزرق ، والأشكال^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشهل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كخلاء ، وهي أبصر بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر في حمرة العينين وضيائهما)

وفي حمرة العينين وضيائهما يقول محمد بن ذؤيب العُماني ، في صفة
الأسد :

أَجْرَأُ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هَمَّاسٍ^(٦) عَضَنْفَرٍ مُضِبَّرٍ رَهَّاسٍ^(٧)

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « اللذب »
صوابه في ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، هـ :
« الأسجر » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقه إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحتف »
ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق المطلق . وفي الأصل : « مضبر » محرف . والرهاس : الذي يطأ
الأرض وطأ شديداً .

مَنَعَ أُخْيَاسَ إِلَى أُخْيَاسٍ ^(١) كَأَنَّما عَيْنَاهُ فِي مِرَاسٍ ^(٢)

* شَعاعٌ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسٍ ^(٣) *

وقال المرَّار :

* مِثْلُ مَا وَقَدَ عَيْنَيْهِ النَّعْرَ ^(٤) *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضَّبِّ ، والورل ، والحَيَّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضَّبِّ والحَيَّة والورل : فَحَّ يَفِحُّ فحيجاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّي فلا أَفَرِّقُ أَنْ تَفِحِّي ^(٥) وَأَنْ تَرَحِّي كَرَحِّي المَرَحِّي ^(٦)

أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحَةٍ وَأَحَّ ^(٧) يَحْكِي سَعَالَ النَّشْرِ الْأَبَحَّ ^(٨)

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى

مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما في هـ .

(٢) أى في أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المِقْبَاس : شعلة النار تقمبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأنما وقد » ، وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لى *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحي

لا أفرق » ، أى ياحية .

(٦) يقال رحى الحية ترحو ، وترحت ترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى

بالتشديد فلم أره في معجم ، وهذا لا يننى صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى .

وهذا البيت وما قبله سيمادان في (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هى في الأصل : « أصبح » تحريف .

ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلاً بخيلاً إذا

سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشر ، محركاً : الممن القوى . والأبح : السنى غلظ صوته من داء .

ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحَيَّةِ منْ فيها . والكشيش والقشيش ^(١) : صوتُ جلدها إذا حَكَتْ بعضه ببعض . قال الرَّاجِزُ ^(٢) في صفة الشَّخْب والحَلْب :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضٍ حِراءٍ منها شَخْبَةٌ بالمُخَضِّ ^(٣)
لَيْسَتْ بِذَاتٍ وَبَرٍّ مِيضٌ كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا الْمَرْفُضُ ^(٤)
* كَشِيشٌ أَفْعَى أَجْمَعْتُ لَعَضُ ^(٥) *

ويقال للضَّبِّ والورل : كش يكش كشيشا . وأنشد أبو الجراح :
رَئَى الضَّبَّ إِنَّمَا لَمْ يَرْهَبِ الضَّبَّ غَيْرَهُ يَكِشُّ لَهُ مُسْتَكْبِرًا وَيُطَاوِلُهُ ^(٦)

باب

من ضرب المثل للرجل الداهية وللحي الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العدواني :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَاؤِ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ ^(٧)

(١) في الأصل : « التشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتمر بن قطبة ، كما في تاج العروس (كشش) .

(٣) حِراء : أى ناقة حِراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترشه . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها »

صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٧١) وبلوق) وأدب الكاتب

١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ والسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشيء . وفي الكتاب : « فاجمعوا أمركم » .

س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتضاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ والسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى في خشي أشخما

(٦) في الأصل : « مستنكرا » صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بَعْضُهُمْ ظِلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضٍ^(١)
وفيهمْ كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ^(٢)

يقال : « فلان حَيَّةُ الوادى » ، و« ماهو إلا صِلُّ أصلال^(٣) » . والصِّلُّ :
للداهية والحَيَّة . قال النَّابِغَةُ :

مَاذَا رُزِّنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةً بِالرَّزَايَا ، صِلُّ أَصْلَالٍ^(٤)
وقال آخر :

صِلُّ صَفًّا تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ مِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتٍ^(٥)
وقال آخر^(٦) :

مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ سَمًّا ، كَمَا أَطَرَّقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلُّ
ومن أمثالهم : « صَمَّى صَمَامٍ^(٧) » وَ « صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ^(٨) » وهى الحَيَّة .

(١) روايته فى حاشية البحرى ١٦٩ : « بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا » .
(٢) القرض : ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان ، أو إساءة . يقول :
هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان ، والإساءة بمثلها . وفى ذلك
المروءة ، والقدرة . س : « بالعرض » ، وأثبت ما فى ط ، هـ .
والشعراء ٦٩٠ .

(٣) ويقال ضل أصلال ، كما فى اللسان (ضلل) والمزهر (١ : ٣٢٣) .
(٤) رزئنا به : أصبنا . وفى ط ، هـ : « رأينا » وس : « رأيت » ، وصوابه
من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميدانى (١ : ٢٤) . من
حية : يقول : هو حية . والنضناضة : التى تحرك لسانها . أدبها ناظرا للفظ الموصوف .
(٥) تنطف أنيابه : يقطر منها السم . ط : « تنظف » ، صوابه فى س ، هـ .
والسام : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم النافع .
(٦) هو تأبط شرا ، كما سبق فى (٣ : ٦٨) والحامسة (١ : ٣٤١) ، وشرحها
(٢ : ١٦٠ - ١٦١) .

(٧) صم يعم ، بفتح الصاد فهما . وصمام كقطام : الداهية . والمثل يضرب للرجل
يأبى بالداهية . اللسان وأمثال الميدانى (١ : ٣٦٢) .

(٨) ابنة الجبل : الحية . أى لاتجيبى الراقى ودوى على حالك . يضرب للفريقين إذا أبيا
الصلح ولجا فى الخلاف . أمثل الميدانى . وتكون ابنة الجبل أيضا الداهية العظيمة ،
والصدى ، أو الصخرة . اللسان (صمم) .

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونادى بها : صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ ، السَّفِيرُ^(١)

(قولهم : جاء بأم الرقيق على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأم الرقيق على أريق^(٢) » أم الرقيق : إحدى

الحيات . وأريق : أم الطبق^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدواهي . وأصلها ٧٩
من الحيات قال :

إذا وجدت بواد حيةً ذكراً

فاذهب ودغني أمارس حية الوادي^(٤)

(١) يقول : إذا لقي السفير السفير ، فأخر الفاعل . و «ها» و «لها» يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميداني . والمعنى : إذا فشل السفيران المتندان - بكسر الدال - للصلح وفض النزاع ، وتركوا الحرب في شدتها لا يستطيعان لها دفعا . في الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الرقيق على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببيكرها أم طبق فذسروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترجيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلتعه . و « أريق » من الحيات ، كما في قول المعجاج :

وقد رأى دوني من تهجسي أم الرقيق والأريق الأزمن

بدلالة قوله : « الأزمن » وهو الذي له زمنة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفي خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادي : مثل للرجل المتبع الجانب ؛ فإن حية الوادي تحميه فلا يقربه شيء .

ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى في المختصص (١٦ : ١٠١) : « [٥] رأيت ... الخ .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة »، يعنى ^(١) الصبي الذى يدرج ويتناول كل شئ سنح له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمه : أدركيه لاتأكله الهامة ! وهى الحية . وهو قوله ^(٢) فى التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفس وعين لامة ^(٣) » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرجل الشجاع وذو الرأى ^(٤) الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبتت كلباً تمنى أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ماظفروا ^(٥)

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميداني (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها - أى القامة - الصبى ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فرمما ألقى على بعض الهوام ، كالمقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة » ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ لإسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) الامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لراى » ، ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القليل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا * وربما » .

كَلَفْتُمُونَا رَجَالًا قَاطِعِي قَرْنٍ مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْيَسْرُ (١)
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا عُدَّتْ خَصَالُهُمْ خَصْلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا (٢)
 قَدْ أَنْزَلُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالنَّذْرُ (٣)
 بَاتُوا رُقُودًا عَلَى الْأَمْهَادِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلُهُمْ سَاهِرٌ فِيهَا ، وَمَا شَعَرُوا (٤)
 نَمَتْ قَالُوا أَمَاتَ الْمَاءُ حَيْتَهُ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذِّكْرُ (٥)

(حَيَّةُ الْمَاءِ)

وَمَا أَكْثَرَ مَا يَذْكُرُونَ حَيَّةَ الْمَاءِ ؛ لِأَنَّ حَيَّاتِ الْمَاءِ (٦) فِيهَا تَفَاوُتٌ .
 إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَا تَضُرُّ كَبِيرَ ضَرَرٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَقْتَلَ مِنَ الْحَيَّاتِ
 وَالْأَفَاعِي .

(١) الْيَسْرُ ، بِالضَّرِكِ : صَاحِبُ الْقَدَحِ مِنْ قَدَاحِ الْمَيْسِرِ . وَكَانُوا رُبَّمَا جَاءَ الرَّجُلَ بِقَدَحِهِ
 بَعْدَ مَا فَازَ مِنْهُمْ الْوَاحِدُ وَالْآخَرُ ، فَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا قَدَاحَهُ فِي قَدَاحِهِمْ ، فَيَفْعَلُونَ
 ذَلِكَ ، وَيَسْمُونَهُ الْمُسْتَلْحَقَ . انْظُرِ الْمَيْسِرَ وَالْقَدَاحَ ١٥٣ . وَقَوْلُهُ : « قَاطِعِي
 قَرْنٍ » يَعْنِي قَيْسًا . وَذَلِكَ أَنَّ كَلْبًا لَامُوا تَغْلِبَ فَقَالُوا : أَعْنَمَ قَيْسًا عَلَيْنَا ! فَقَالَ
 الْأَخْطَلُ : حَمَلْتُمُونَا ذَنْبَ هَؤُلَاءِ ، وَأَلْزَمْتُمُونَاهُ ، وَلَيْسُوا مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ ،
 كَمَا يَسْتَلْحَقُ الْأَيْسَارُ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ . ط ، س : « مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يَسْتَلْحَقُ
 السَّرَرُ » ، هـ : « مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يَسْتَلْحَقُ السَّرَرُ » ، صَوَّاهُمَا مَا أَثْبَتَ مِنَ الدِّيَوَانِ
 وَالْمَيْسِرِ وَالْقَدَاحِ .

(٢) س ، هـ : « انْجَابَ مَا قَرُّوا » ، صَوَّاهُ فِي طِ الدِّيَوَانِ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ .

لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ دِيَاتٌ يُوْخَذُونَ بِهَا وَلَا يَكُونُ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا

(٣) س : « بِهَا الْأَنْبَاءُ » ، وَالِدِّيَوَانِ : « بِهِ الْأَخْبَارُ » .

(٤) الْأَمْهَادُ : جَمْعُ مَهْدٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ النَّشْزُ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا فِي سَهْوَةٍ
 وَاسْتَوَاءٍ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « بَاتُوا نِيَامًا عَلَى الْأَنْمَاطِ لَيْلَهُمْ » وَلَيْلُهُ .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : « هُنَاكَ قَالُوا أَنَّ الْمَاءَ حَيْتُهُ » .

(٦) هَذِهِ السَّكَلَةُ وَنَظِيرَتُهَا ، هِيَ فِي الْأَصْلِ : « الْمَسَاءُ » مُحَرَّفَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَيَّةٌ » .

(الهنديّات)

ويقال إنّ الهنديّات ^(١) إنّما تصير في البيوت والدُّور ، والإصطبلات ،
والخرابات ؛ لأنّها تُحمَلُ في القُضْب ^(٢) وفي أشباه ذلك .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجراد أكلاً شديداً ، فربما فتح رأس كُرْزِه ^(٣)
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد ^(٤) ، وقد ضربه برْدُ السَّحَر ، وقد
تراكم بعضه على بعض ؛ لأنّها موصوفة بالصَّرْدِ ^(٥) .

والحياتُ توصفُ بالصَّرْدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك

قال الشاعر ^(٦) :

(١) الهندية : ضرب من الأفاعي ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديّات » مصحف .

(٢) أي في قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الخاطب ربما علقت الحيات
ببعض ما يجمعه . وقالوا في أمثالهم : « كخاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل
فيه الراعي زاده ومثاعه . ط ، هـ : « كزره » س : « كلدّه » وهما
تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « للذي » هي فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتي إلى السطر الخامس من الصفحة
الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فربما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرج : وجد للبرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الحضري ، كما في نقد الشعر ٤٣ والأغاني (١٩ : ٦٧) ومعجم
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضري الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهي ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس
تشرب من خدير يقلل له جنان ، وبحضرتها أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبكي ، وقال
الشعر الآتي .

بليت كما يبلى الوكاء ولا أرى جَنَاناً ولا أكتافَ ذروة تَخْلُقُ^(١)
 أَلْوَى حَيَازِي بِهِنَّ صَبَابَةٌ كما تَتَلَوَّى الحَيَّةُ المَتَشَرِّقُ^(٢)
 وإنما تَشَرَّقُ إذا أدركها بَرْدُ السَّحَرِ ولم تصر بعدُ إلى صلاحها ٨٠
 و [إذا^(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع .
 وربما اجترَفَ صاحبُ الكرز الجراد^(٤) ، فأدخله كَرْزَه ، وفيه الأفعى وأسودَّ
 سَالِحٌ ، حتى يُنْقَلَ ذلك إلى الدُّور ، وربما لقي الناسُ منها جهداً .
 وقال بشر بن المعتمر ، في شعره المزاوَج :

ياعجِباً والَّذَهْرُ ذو عَجَائِبٍ مِنْ شَاهِدٍ وَقَلْبُهُ كَالْغَائِبِ
 وَحَاطِبٍ يَحْطِبُ فِي بَجَادِهِ^(٥) فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَفِي سَوَادِهِ
 يَحْطِبُ^(٦) فِي بَجَادِهِ الْأَيْمِ الذَّكْرَ وَالْأَسْوَدَ السَّالِخَ مَكْرُوهَ النَّظَرِ

(شعر في حية الماء)

فمن ذكر حَيَّةِ الماء ، عبد الله بن هَمَّام السُّلُولِيُّ فقال :
 كَحَيَّةِ الماءِ لَا تَنْحَاشُ مِنْ أَحَدٍ صُلْبُ المَرَّاسِ إِذَا مَا حُلَّتِ النُّطْقُ^(٧)

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء .
 والرواية في المصادر المتقدمة : « كما يبلى للرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
 بنجد . وفي الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله
 ويكسر : مكان حجازي .

(٢) ط : « يتلوى » . وفي نقد النثر : « تتلوى » . واستشهد ابن رشيق
 في العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال » ، وهو المبالغة التي يكون
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « للجراد » وفي س : « فرما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطب » صوابه في س . حطب الحطب : جمعه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت للنطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :
 جمع نطاق ، وهو شبه إزار فيه تكة .

وقال الشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ :

خُوصُ العَيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمَتِهَا إِذَا تَفَصَّدُنْ مِنْ حَرِّ الصَّيَاحِيدِ^(١)
وَكُلُّهُنَّ تَبَارَى نِسْنَى مُطَرَّدٍ كَحِيَّةِ الْمَاءِ وَلَّى غَيْرَ مَطْرُودٍ^(٢)

وقال الأخطل :

ضَفَادِعُ فِي ظُلَمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ^(٣)

وقال أيضاً :

هَلُمَّ ابْنَ صَفَّارٍ فَإِنَّ قَتَلْنَا جِهَاراً وَمَا مِنَّا مَلَاوِذَةَ الْعُدْرِ
فَإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَنَالِ مُدْبَذِبٌ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو الثَّنَاءِ وَذُو الْفَخْرِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ^(٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرْمِ الْعَلَى^(٥) وَلَا تَذْكُرْنَ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَمَا تَزَكَّتْ حَيَّاتُنَا لَكَ حَيَّةٌ تَحَرَّكَ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ^(٦)
وقال نَفِيعٌ^(٧) [يَعْبُرُهُ^(٨)] بِالْكُحَيْلِ^(٩) :

(١) يقول : تلك الإبل الفائرة العيون تتسابق ، وقد تصيب عرقها من حر الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تفصدن » بالقاف ، والتقصّد أصل معناه الهلاك ،
وأراد به تغييرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمانه . س ، هـ : « في مطردة » ، صوابه
في ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار الحارثي ، وقد هجاه الأخطل
بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتي . وفي الأصل : « تقيع » مصحف . انظر

المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها

تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الأغاني (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلاكم بدجلة غرقت فما أشبهت قتل حنين ولا بدر
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر^(١)
بدجلة حالت حربنا دون قومنا وأوطاننا ما بين دجلة والحضر^(٢)
ولو كنتم حيّات بحر لكنتم
غداة الكحيل^(٣) إذ تقومون في الغمر^(٤)

٨١

(ما يشبه بالأيام)

فالأيم الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبّهوا الجارية الجدولة
الخميسة الخواصر^(٥) ، في مشيها ، بالأيام ؛ لأن الحية الذكر ليس له غيب ،
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المثل في البقاء .
قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .
ياقوت . وفي الأصل : « فالحضر » ، وهو تحريف .

(٣) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعمت السباحة . ط : « كدات الكحيل »
س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك في الماء معطبة .
هـ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدي : « يلبون » من ألب
بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »
وتصحيحه من المؤلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الخصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد
الانتبيق . انظر المزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قفر^(١)
 تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمَّنهما صدرى^(٢)
 (شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكفَّات أوردني حَوْضَ المنيَّة قتالٍ لِنْ عَلِقَا^(٣)
 أصمُّ منهرتُ الشَّدقين ملتبدٌ لم يُغْدَ إِلَّا المنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا^(٤)
 كأنَّ عينيه مِسْمَارَانِ^(٥) مِنْ ذَهَبٍ جلاهُمَا مِدُوسُ التَّلَاقِ فائْتَلَقَا^(٦)
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابنُ ميادة :

- (١) السَّعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عني به الزمام . يقول : هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصفر » .
- (٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضر » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .
- (٣) الكفَّات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، ه : « السفاة » ، صوابه في س .
- (٤) منهرت الشَّدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، صوابه في س . في س : « لم يغد » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ه : « يغد » صوابهما ما أثبت .
- (٥) في الأصل : « مسماران » . ولا تصح ؛ فإن المسمك : عود الخباء . وقد ذكر البصري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ من ١٢ .
- (٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها ممن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتلاق : تفعلال بن ألح ، بمعنى لمع . وفي الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفي الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفزاري العراقي عارض كأنَّ عيونَ القَوْمِ في نبضة الجمر^(١)
وفي حمرة العين من جهة الحِلْقَةِ ، يقول أبو قُرْدُودَةَ ، في ابنِ عمار^(٢)
حينَ قتله النُّعْمان :

إني نهيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له : لا تَأْمَنَنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ والشَّعْرَةَ
إنَّ الملوكَ متى تَنَزَّلَ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرُ بناركُ مِنْ نيرانِهِمْ شَرَرَهُ
يا جفنةً كإزاءِ الحَوْضِ قد هُدِمَتْ وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الحَبَرَةِ^(٣)

(معرفة في الحية)

وأكثرُ ما يذكرون من^(٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لُحَا :
* يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الأرقمِ *

وقال آخر :

ورقَّعَ أولى القومِ وقعُ خِرَادِلٍ^(٥) ووقعُ نبالٍ مثل وقعِ الأساودِ

(١) ط ، س : « القراري » ، صوابه في ه .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ، قتالا للنداء ، فنهأ أبو قردودة عن منادته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزباني ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد الطعام جفنة ؛ لأنه يضفها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مز » صوابه في س ، ه .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الانبياء)

وفى بعض كتب الانبياء ، أن الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولاد الأفاعى ^(١) » .

(أمثال وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ الله بِأَفْعَى حَارِيَةٍ ^(٢) » وهى التى تحرى ^(٣) ، وكلما
كبرت فى السن صغُرَتْ فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شذذة اسوداد
أسود سالخ :

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقَ عَوْدٍ قَدْ كَمَلَ ^(٤) كَأَنَّمَا قَيْظٌ مِنْ لَيْطٍ جُعِلَ ^(٥)
وقال جرير فى صفة عروقِ بطنِ الشَّبْعَانِ ^(٦) :

وأعور من نَبْهَانٍ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ ^(٧) ٨٤

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ ! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بهيمى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالخاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كبرى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه

للمبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه على بن أوس ، أو سمحة بن نعيم ، وكان بينه وبين

جرير مناقضة . انظر المؤلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية

هذا البيت :

رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ^(١)
 فلما اسْتَوَى جنباه لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ^(٢)
 قال : ويقال : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كما يقال : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
 و : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وقال الراجز :

* أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) *

وقال آخر^(٤) :

أَسْوَدُ شَرَى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءُ الْأَسَاوِدِ^(٥)

- = وأعور من نهان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة وستور
 كما هو عند الأملئ والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك
 أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها ، ولكن موضعه
 فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .
- (١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا
 جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .
- (٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب
 ظله : أى جعل ذلك النهافى يلاعب ظله مما طراً عليه من السرور . وضمير « ظله »
 راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن .
 وفى الأصل : « عروض أفاعى الحاليتين » ، تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية
 فى الديوان .
- (٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩) . وفى الديميرى
 « فأما العقاب فهنا السود والحوخية والسفع والأبيض والأشقر » .
- (٤) هو الأشهب بن ربيعة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨
 ليسك والعقد (١ : ٥٣) والأسان (حرد) .
- (٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أبحه فى سواد
 الكوفة . هـ : « حفية » بالخاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة
 وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصود ٥٨ والخصص (١١ : ٤٨) . والحرد :
 الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش .
 وقبل البيت :

ضَرَبَ المَثَلَ بِجَنْسَيْنِ مِنَ الْأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَا ^(١) عِنْدَهُ الْغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ
وَالهَوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى سُمُومِ الْحَيَّاتِ .

(مَا يَشَبَّهُه بِالْأَسْوَدِ)

وَفِي هَؤُلَ مِنْظَرِ الْأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٢) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْنٌ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَخَفِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ ^(٣)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِخٍ لَا بَلَّ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ ^(٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الْغَايَةَ شَبَّهُوا بِالْأَسْوَدِ . قَالَ
جِرَانُ الْعَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرَنَّ أَمْرًا نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضَحٌ ^(٥)
وَلَا فَاحِجٌ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسَاوِدُ يَزْهَاهَا لَعِينُكَ أَبْطَحُ ^(٦)

= وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَاتَنُوءٍ بِسَاعِدٍ

- (١) فِي الْأَصْلِ : « كَانَ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثَبَتْ .
- (٢) هُوَ حُسَيْلُ بْنُ عَرْفَطَةَ ، الَّذِي تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ١٠٢) . انْظُرْ نَوَادِرَ
أَبِي زَيْدٍ ٧٥ وَدِيَوَانَ الْمَعَانِي (١ : ١٠٦) وَالْحَيَوَانَ (١ : ٣٨٣) .
- (٣) النَّافِجَةُ ، بِالْجِيمِ بَعْدَ الْفَاءِ : الرِّيحُ تَبْدَأُ بِقُوَّةٍ . وَفِي الْأَصْلِ وَكَذَا دِيَوَانَ الْمَعَانِي :
« نَافِجَةٌ » ، وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ مِنَ النُّوَادِرِ . وَ : « كَلْبٌ » هِيَ فِي الْأَصْلِ :
« قَلْبٌ » صَوَابُهُ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ .
- (٤) مَكَانٌ : « أَحَبَّهُمَا » بَيَاضٌ فِي س .
- (٥) النَّوْفَلِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْإِمْتِشَاطِ ، وَفَسَّرَهُ صَاحِبُ التَّهْذِيبِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَخَذُهُ نِسَاءُ
الْأَعْرَابِ مِنْ صُوفٍ يَكُونُ فِي غُلْظِ أَقْلٍ مِنَ السَّاعِدِ ، ثُمَّ يَحْشَى وَيَعْطِفُ ، فَتَضُمُّهُ
الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَخْتَمِرُ عَلَيْهِ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانَ وَاللِّسَانِ : « عَلَى الرَّأْسِ
بَعْدَى » . وَالتَّرَائِبُ . جَمْعُ تَرِيْبَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ . وَضَحٌ : جَمْعٌ وَاضِحَةٌ
بِمَعْنَى مُشْرِقَةٌ .
- (٦) الْأَبْطَحُ : يَطْنُ وَادٍ فِيهِ رَمْلٌ وَحِجَارَةٌ . الدِّيَوَانَ : « لَعِينُكَ » ، وَاللِّسَانُ :
« مَعَ اللَّيْلِ أَبْطَحُ » .

(استطراد لغوى)

قال : والحَرْشَاءُ^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيهما ،
وجماعةُ الحَرَّاشِيَّ^(٢) ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحية : سلخها حين تسْلَخُ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالخة .
وقال مَرَقَّش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لِيَذَاكُمْ كَمَا يَنْسَلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ تعليقَ الحَلَى ، وَخَشْخَشَةَ الخلاخيل على السَّليم ، مِمَّا
لا يفيق ولا يَبْرَأُ إِلَّا بِهِ ، وقال زَيْدُ الحِلَى :

أَيُّمَ يَكُونُ النُّعْلُ مِنْهُ ضَجِيعَهُ كَمَا عُلِّقَتْ فَوْقَ السَّالِمِ الْخَلَاخِيلُ^(٤)
وخبَّرَنِي خَالِدُ بْنُ عَقْبَةَ ، مِنْ بَنِي سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي
الْمَسِيحِ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ حَزْنٍ ، مِنْ بَنِي عَذْرَةَ ، يَسْمَى أَسْبَاطَ ، قَالَ فِي تَعْلِيْقِهِمْ
الْحَلَى عَلَى السَّالِمِ :

- (١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .
(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، هـ : « جماعه » س : « جماعته » وصوابه
ما أثبت . وكلمة « الحَرَّاشِيَّ » هى فى ط ، س : « الحَرَّاش » وفى هـ :
« الحَرَّاشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .
(٣) س : « تسْلَخُ » . وخرشاء ، هى مقصورة فى الأصل ، والصواب مدّها ، كما فى المفضليات
٢٤٠ والمقصود والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .
(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل
أيضاً على اللديع ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أَرِقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي الْعَيْنُ مَهْجَعًا وَبِتْ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا^(١)
كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالُهُ كُلُّ حَيَّةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مُرْصَعًا^(٢)
وَقَالَ الذُّبْيَانِيُّ :

٨٣

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَبَّيْلَةً مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
(استطرداد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين تَرَجَّعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . وهو قول النابغة :
تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تَطَلَّقَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٤)
وَقَالَ الْعَبْدِيُّ^(٥) — إِنْ كَانَ قَالَهُ — :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلى في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقياف بعدها راء : من التقرير ، وهو الإقلاق .
(٢) مرصعاً : معقوداً . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهي صحيحة
من وضع الباني الحجر ، بالتشديد : تضد بعضه على بعض .
(٣) في القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمر . ولسان طلق ذلق —
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطلق ذليق ، رطلق ذلق بضميتين ، وكصرده
وكتف : ذو حدة » .

(٤) تنادرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . في الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه من الديوان ٥٢ والمختص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكمال
٥٠٧ ليسك . ويروي : « من سوء سمها » بفتح السين ويكسرهما ، بمعنى
الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور في البيت السابق ، والمعنى
تحف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنهوش إذا ألح
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يواس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنت مأكولاً فسكن أنت آكلٍ وإلا فأدركنى ولمسا أمزق =

تَبَيَّتْ اَلْهُمُومُ الطَّارِقَاتُ يَعْدُنِي كَمَا تَعْتَرِي اَلْأَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلَقِ (١)

وَأُنْشِدُ :

تُلاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)

وَالْعِدَادُ : الْوَقْتُ . يُقَالُ : إِنَّ تِلْكَ الْأَسْعَةَ لَتَعَادُهُ (٣) : إِذَا عَادَهُ الْوَجَعُ

فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَسِعَ فِيهِ .

(حَدِيثُ الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ)

وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَّ الَّذِي كَانَ فِي الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ (٤) ،

الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ فَنَالَ مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعدني » س : « تفدني » هـ : « تعدي » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية في المختصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاق من تذكر » . وقد أتحم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعتاده » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) المصلي : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ، لا حمل . وتأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثر فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمختصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ؛ وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقى^(١) البيض .

(ما يشبهه لسان الحية)

ويقال في مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كأنه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذى
لا يوجد إلا بمتون^(٣) الأفاعى . قال كثير :
وما زالت رقاك تسلى ضيغى وتخرج من مكامنهما ضبابى^(٤)
وترقىنى لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم
مات شهيداً .

(١) الغرقى ، كزبرج : القشرة المتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، ه : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما
ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة .

وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كافي الموشح ١٤٣ والصناعتين

٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقده جيد

لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حججتُ فإِنَّا لِنِي وَقَعَةٍ مَعَ قَوْمٍ ^(١) نَزَلُوا مِنْزِلَنَا ^(٢) ، وَمَعَنَا امْرَأَةٌ ، فَنَامَتْ ^(٣) فَانْتَبَهَتْ وَحَيَّةٌ مَنْطُوبَةٌ عَلَيْهَا ، قَدْ جَمَعَتْ رَأْسَهَا مَعَ ذَنْبِهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا ^(٤) ، فَهَا لَهَا ذَلِكَ وَأَزْعَجَنَا ، فَلَمْ تَزَلْ مَنْطُوبَةً عَلَيْهَا لَا تَضُرُّهَا بِشَيْءٍ ، حَتَّى دَخَلْنَا أَنْصَابَ الْحَرَمِ ^(٥) ، فَانْسَابَتْ فَدَخَلَتْ مَكَّةَ ، فَقَضَيْنَا نَسْكَنَا وَانْصَرَفْنَا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْمَكَانِ الَّذِي انْطَوَتْ عَلَيْهَا فِيهِ الْحَيَّةُ ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الَّذِي نَزَلْنَاهُ ، نَزَلْتُ فَنَامْتُ وَاسْتَيْقَظْتُ ، فَإِذَا الْحَيَّةُ مَنْطُوبَةٌ عَلَيْهَا ، ثُمَّ صَفَرَتْ الْحَيَّةُ فَإِذَا الْوَادِي يَسِيلُ حَيَّاتٍ عَلَيْهَا ، فَهَنَشْتُهَا حَتَّى نَقَتَ ^(٦) عِظَامَهَا ، فَقُلْتُ لَجَارِيَةٍ كَانَتْ لَهَا : وَيْحَكَ ! ٨٤ أَخْبَرِينَا عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ . قَالَتْ : بَغَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كُلَّ مَرَّةٍ تَأْتِي بِوَلَدٍ ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ سَجَرَتِ التَّنُّورِ ^(٧) ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِيهِ .

= بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت في ص ١٩٣ . والرواية في المراجع : « ويريقي » . والحاوون : جمع حاو . وفي ط ، س : « الخادون » . وه : « الخاؤون » محرفان ، صوابهما في المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النوم في آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه في ه .

(٢) ط ، س : « إِذْ نَزَلُوا مِنْزِلَنَا » ه : « إِذْ أَنْزَلُوا مِنْزِلَنَا » ، وكلمة « إِذْ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، ه : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما في القاموس واللسان .

(٦) نقي العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقي بالكسر : مخ للعظام .

(٧) سجرت التنور : أحيته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفي الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة في علي والزبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأة إلى علي ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقم يتلطم ؟ قيل لها : الزبير . قالت : فمن هذا الذى كأنه كبير ثم جبر^(١) ؟ قيل لها : علي . قالت : فمن هذا الذى كأن وجهه دينار هرقل^(٢) ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنهش نهشاً . والنهش : هو تناولك الشيء بفيك ، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . وأما نهش السبع فتناوله من الذابة بفيه ، ثم يقطع ما أخذ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً^(٣) ، وهو انتزاع اللحم بالثنايا ؛ للأكل . ويقال نشطت العقدة نشطاً : إذا عقدته بأرشوة^(٤) . ونشطت الإبل تنشط نشطاً : إذا ذهبت على هدى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزع . ونشطته الحية فهي

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخماً البطن ، أفضس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقل نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالأنشطة » ، صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقدة : إذا عقدته بأنشطة » .

تَنْشِطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعْضَهُ عَضًا . ونَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنْكَزُهُ نَكَزًا ، وهو طَعْنُهَا الْإِنْسَانَ بِأَنْفِهَا^(١) . فَالْتَكْزَمُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضُّ . ويقال : نَشِطَتْهُ شُعُوبٌ نَشْطًا^(٢) وهى المَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشُّعُوبُ ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النهيش بالسَّامِ)

ويسمون النهيش سَلِيماً على الطَّيْرَةِ^(٣) . قال ابنُ مِيَّادَةَ :

كَأَتَى بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرِّقَاةِ سَلِيمٌ

(شعر فى الحية)

وَمِمَّا يَضُرُّونَ بِهِ الْمَثَلَ بِالْحَيَّاتِ فِى دَوَاهِى الْأَمْرِ ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ

الْقَيْنِ^(٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ^(٥) أَنْ انْطَلَقَ إِلَى الْحِجَّاجِ تَغْرِيرٌ

(١) فى الأصل : « بفِهَا » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أى تفرق .

ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطَّيْرَةِ ، كعنبه : ما يتشام به من الفأل الردى . فالمنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقبيل بن نهبان بن خنيف ، شاعر إسلامى كان فى زمن الحجاج . وكان الأقبيل

مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت

يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتسب بقرى مروان ، فأمنه

عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ،

فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتى . وفى الأصل ، وكذا الجزء السابع

ص ١٠٢ : « العتبى » وصوابه من المؤلف ٢٤ . ومن نسخة كوبرلى الجزء السابع .

وهو نسبة إلى بنى القين بن جسر .

(٥) رواية الأمدى :

* إني لأعلم والأقدار غالبية *

لَنْ ذَهَبَتْ^(١) إِلَى الْحَجَّاجِ يَفْتُلْنِي إِنِّي لِأَحَقُّ مَنْ تُحْدِي بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحَقًّا صُحُفًا تَدْمِي طَوَائِعَهَا^(٢) وَفِي الصَّحَافِ حَيَاتٌ مَنَاقِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعيّ : يقال للحجّة الذكر أَيْم وأيم ، مثقل ومخفف ، نحو
لَيْن وَلِين ، وَهَيْنٌ وَهَيْن . قال الشّاعر^(٣) :
هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذُووِ يَسَرٍ سُؤَاسُ مَكْرَمَةِ أُنْبَاءِ أَيْسَارِ
وأنشد في تخفيف الأيم وتشديده^(٤) :
ولقد وَرَدَتْ الماءَ لم تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مُورِدَ أَيْمٍ مُتَغَضِّفٍ^(٦)

(١) رواية الآملي :

* لَنْ حُدِيَ فِي *

(٢) استحقب الشيء : حلة في مؤخرة الرجل . ط : « مستحليا » س :
« مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها . وهو الخاتم الذي يختم
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابها
من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه في (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته في :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلي ، كما في ديوان الهندليين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف ، غضف) وأما القائل (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاء من قومه . وقبل البيت ، كما في
تنبيه البكري ٩٩ :

أزهر إن أخا لنا ذا مرة جلد القوى في كل ساعة محرف

فارقته يوما بجانب نخلة سبق الحمام به زهير تلهق

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » في البيت الآتي . وروى في الأمالي ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هي في الأصل : « بالعلس » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ،
غضف) والامالي .

الصَّيْفُ ، يعني مَطَرُ الصَّيْفِ ^(١) . والعواسر : يعني ذئاباً رافعة أذنانها : ٨٥
والمراط : السهام التي قد تمرط ريشها . ومُعَيِدَة : يعني معاودة للورد .
يقول هو مكانٌ لخلائه ^(٢) يكون فيه الحياتُ ، وتَرَدُّه الذئابُ . ومتغصّف
يريد بعضه على بعض ، يريد تنفي الحية .

وأُنشد لابن هند ^(٣) :

أودى بأُمِّ سُلَيْمَى لاطى ليدٌ كحِيةٍ منطوٍ من بين أحجار ^(٤)
وقال محمد بن سعيد ^(٥) :

قريحة لم تدنّ بها السَّيَاط ولم تورّد هِراكاً ولم تعصر على كدر ^(٦)
كنطوى الحية النضناض مكنها في الصدر ما لم يهيجها على زور
الليث لئيث منسوبٌ أظافره ^(٧) والحية الصلّ نجل الحية الذّكر

(١) في الأصل : « مطرا الصيف » ، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) في الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبرة القائل : « هذا المكان لخلائه » ، من موارد الحيات ، أى لكونه خاليا ترد الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما في العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفي العقد : « بحب سليم » ، وهو الصواب .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما في س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وهو عربى بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :
سأشكر عمراً إن تراخت منيتى أياذى لم تمن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الزاقة التى ينعمها خالصة النسب .
ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراقاً : أى أوردها المساء مزدهجة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نقص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرِّمَّة :

وأحوى كَأَيْمِ المَضَالِ أَطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا تَحْتَ فَيَنَانٍ مِنَ الظَّلِّ وَا رَفِ (١)

قال : ويقال انبَسَّت الحَيَّات (٢) : إذا تفرَّقت وكثرت . وذلك عند

إقبال الصَّيف . قال أبو النِّجَم :

* وانبَسَّ حَيَّاتِ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ (٣) *

وقال الطَّرْمَاح :

وتَجَرَّدَ الأسْرُوعُ وَا طَرَّدَ السَّفَا وَجَرَتْ بِجَالِيهَا الحُدَابِ القَرَدُ (٤)

وانسابَ حَيَّاتِ الكَثِيبِ وَأَقْبَلَتْ وَرُقَ الفَرَّاشِ لَمَّا يَشُبُّ المَوْقِدُ (٥)

قال : ويقال جبأ عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو جبأ

جَبِيئًا وَجَبَوًّا .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وَمَا أَنَا مِنْ رَيْبِ المَنُونِ بِجَبَاً وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الإِلَهِ بِكَائِسٍ (٦)

(١) الأَحْوَى ، عني به زمام الناقة ، كما في المخصص (١٠ : ٩٥) . والأَحْوَى : الذي يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحبا : دنا ، كما في اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبَسَّت ، بالسین ، كما في س واللسان . وفي ط ، هـ : « انبَسَّت » مصحف . وكلمة « الحيات » هي في س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبَسَّ » صوابه في س . وفي س ، ط : « الكثيب » صوابه في هـ . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذي لا يثبت .

(٤) في الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق في ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) في الأصل : « زرق الفراش » ، وتصحيح الرواية ما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الخيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني في تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجي من الأمر الذي انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبیہات على أغلاط الرواة . وروى في المخصص =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ^(١) فغطَّ إناءك . كأنَّهم يروْنَ أَنَّ الجنَّ تشرعُ فيه^(٢) ، على تصديق الحديث في قول المفقود^(٣) لعمر ، حين سألَه وقد استهوته الجنَّ : ما كان طعامهم ؟ قال : الرِّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شربهم ؟ قال : الجَدَف . قال : وهو كلُّ شراب لا يُخَمَّرُ^(٤) .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلَّا في اللَّبَن . وأمَّا النَّاس فيذهبون إلى أَنَّ الحَيَّات تشرع^(٥) في اللَّبَن ، وكذلك سامُّ أبرص ، وكذلك الحَيَّات تشرع في كثير من المرق .

(حديث في المعصفر)

وجاء في الحديث : « لَا تَبَيِّتُوا فِي الْمَعْصَفِرِ^(٦) ؛ فَإِنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَار .

= (١٦ : ١٢) : « فَا أَنَا مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى في الخصص (٣ : ٧٠) : « وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بِأَيِّس » ، على القلب . (١) محتضر : يحضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فقد أناك » بحرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفي الأصل : « تسرع فيه » ، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يُخَمَّرُ : أى لا يغطى .

(٥) في الأصل : « تسرع » . وانظر ما سبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالمعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « المعصفر » ، صوابه في س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْرٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(٢)

أَجْبُنَا فِي الْكَرِيمَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخِلَاءِ !! ٨٦

فَلَوْلَا اللَّهُ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبُولُ عَوَّجَلْ بِالْخِصَاءِ

وقال أبو النّجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَعْجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا^(٤)

فَرَأْتُ لَهَا كَفَلًا يَنْوُو بِخَصَرِهَا وَعِثَا رَوَادِفُهُ وَأَخْثَمَ نَاتِيَا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجنون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتي وما بعده مجنون .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد آتت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد على بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرر : التميمي . رواية الأغاني : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغاني والمختار . وفى س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأخثم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتئا . ورواية الأغاني والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجانِ مُقَبَّضًا رِخَّوًا حَمائله وَجِلْدًا باليا (١)
أَدْنَى لَهُ الرِّكَبُ الحَلِيقَ كَأَنَّمَا أَدْنَى إِلَيْهِ عَتَارِبًا وَأَفَاعِيَا (٢)
وقال آخر (٣) :

مريضةٌ أَثناءَ التَّهادى كَأَنَّمَا تَخَافُ عَلَى أَحْشَائِهَا أَنْ تَقْطَعَا (٤)
تَسِيْبُ انْسِيَابَ الْأَيْمِ أَخْصَرَهُ النَّدى يَرْفَعُ مِنْ أَطْرَافِهِ مَا تَرْفَعَا (٥)

(شعر في العقربان)

وقال إِيَّاسُ بْنُ الْأُرْتِّ (٦) :

كَأَنَّ مَرَعَى أَمَّكُمْ سَوْدَةً عَقْرَبَةً يَكُومُهَا عَقْرُبَانُ (٧)

(١) في المختار : « متفخ العجان مقلصا » ، و الأغاني : « رخوا بفاصله » . وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتني وطردت أم عيالها

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفي المختار « أدنى لك كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنان في المختار .

(٣) بدله في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » ، أى رجل من بني سعد .

(٤) التهادى : مثنى في تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحماسة : « مريضات أبواب التهادى » . ينعتها أو ينعتن بلبن المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع في السير تدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، فهي في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعاني : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رتت) : « وإيَّاس بن الأرت ، كرم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أهمهم . يكومها : يخالطها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إِكْلِيلَهَا زَوَّلَ وَفِي شَوَّلَهَا وَخَزُ حَدِيدٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّنَانُ^(١)
 كُلُّ امْرِئٍ قَدْ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَأُمُّكُمْ قَدْ تُتَّقَى بِالْعِجَانِ^(٢)
 وقال آخر^(٣) لَمْضِيْفِهِ :

تَبِيتُ تَدَهْدُهُ الْقِدَّانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرُبَانُ^(٤)
 فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا شَكَرْتُكَ ؛ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ^(٥)

= ويسمى العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسمى علماء الإفرنج : Centipede .
 وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجده .
 وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرني المقرّب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف
 الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزى : طعن لا يشق .
 حديد : قوى . س ، هـ . « وخز حديد » ، وصوابه في ط والحامسة .
 وفي س : « مثل وخز » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآق هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها
 مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه
 اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
 نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمرًا وأسقاه لبنًا وقام
 يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآق . وقبل البيت الأول :

نَحْبِزُ يَا ثَبِيتَ عَلَيْهِ لَحْمٌ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ صَوْتِ الْأَذَانِ

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ،
 ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يعيشهم وقام
 يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآق .

(٤) يدهده : يدرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ،
 كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر
 بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابغ من الصفحة السابقة . وقال القالى
 فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ،
 وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزبانى .
 ورواية القالى :

فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي خَبْزًا وَلَحْمًا حَمَدْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال الذابغة :

فلو يستطيعون دبَّتْ لنا مَذَاكى الأفاعى وأطفالها^(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرٌ وُلَاقِ السُّوءِ مُنْشِرًا حَتَّى أَظْلَ^(٢) عَلَيْهِم حَيَّةٌ ذَكَرُ
ذو مِرَّةٍ تَفَرَّقُ الْحَيَّاتِ صَوْلَتَهُ عَفُ الشَّمَائِلِ قَدْ شُدَّتْ لَهُ الْمِرْرُ^(٣)
لَمْ يَأْتِهِمْ خَبْرٌ عَنْهُ يَلِينُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْخَبْرُ

وقال بشار :

تَزَلُّ الْقَوَافِ عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا حُمَاتِ الْأَفَاعِى رِيقُهُنَّ قَضَاءُ^(٤)

[وقال^(٥)] :

فَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ كَانَ يَأْمُلُ نَفْعَكُمْ شَجَاعٍ لَهُ نَابٌ حَدِيدٌ وَمُخْلَبٌ^(٦)
أَخٍ لَوْ شَكَرْتُمْ فَعَلُهُ لَوْ عَصَصْتُمْ رُمُوسُ الْأَفَاعِى عَصَّ لَا يَتَيْبُ^(٧)

٨٧

(١) المذاكى : جمع المذكى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسمن من كل شيء .

(٢) كذا في الأصل بالطاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحيات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفي الأصل : « حمة »

محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ :

« قضاب » ، صوابه ما أثبت من س والخيار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان في مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) في الأصل : « لمضغتم » ، وبذا يضطرب نسج البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعي للوليد، في ذكر الأسود بالسم من بين الحيات :
فإن أنت أفرزت الغداة بذنبي عرفت وإلا كنت فقعا بقرَدَدٍ (١)
ويشمت أعداء ويجذل كاشح عمرت لهم سماً على رأس أسود (٢)
وقال آخر :

ومعشر منقَع لي في صدورهم سمُّ الأساود يغلي في المواعيد
وسمتهم بالقوافي فوق أعينهم وسم المعيدى أعناق المقاحيد (٣)
وقال أبو الأسود (٤) :

ليتك آذنتني بواحدة جعلتها منك آخر الأبد (٥)

- = جواب الشرط الأول ، اكتفاء مما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أى لو شكرتم فعله لشارككم في جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقحمت الصعبة لتقحمها معكم .
- (١) الفقع : كاة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه . أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميداني (٢ : ٥٩) .
والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطمئنة اللينة .
- (٢) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .
- (٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الموحدة المسكورة ، وهو الذى يعبد الإبل ، أى يطليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فإن المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .
- (٤) مثل هذه النسبة في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى في محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقدة (٣ : ٣٩٧) إلى أبي زيد . وصواب نسبته أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغانى (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

- وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعياً . انظر بقية نمته في بغية الوعاة ٢٧٤ . توفى سنة ٦٧ بطاعون الجارف .
- (٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

- تَحْلِفُ أَلَّا تَبْرَنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي ^(١)
 إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ ^(٢)
 وَقَالَ أَبُو السَّفَّاح ^(٣) يَرْتِي أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ عَمِيرَةَ ^(٤) وَيُسَمِّيهِ بِالشَّجَاعِ ^(٥) :
 يَعْذُو فَلَا تَكْذِبْ مُشَدَّاتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بُوَادَى السَّبَاحِ
 يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاءَةً مَعًا تُمَتَّ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعِ الشَّجَاعِ ^(٦)
 وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :
 فَاطْرُقْ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَمَا ^(٧)
 وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيْطٍ ^(٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ ^(٩) :
 شَمُوسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْصَمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

- (١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .
 (٢) في معجم الأدباء : « في ماصفاحه » . وصواب ما في المعجم : « في ماضني حية » .
 (٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .
 (٤) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريظ ، يرتي بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزنة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .
 (٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
 (٦) ينباع : يشب ويسطو .
 (٧) روى : « وأطرق » في حاشية البحري ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني (١) : (٣٩٥) . وروى في سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام المثني الألف في أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزنة (٣ : ٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزباني ٢١٣) :
 فَاطْرُقْ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَقَدْ أَرَمَ
 (٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .
 (٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذرى وأغدو على همى وإن بت طأويا
ولأنى أهض الضيم منى بصارم رهيف وشيخ ماجد قد بنى ليا^(١)
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابئة مستوية ، فإن أنكرت شيئاً
فدشطتها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أرانى بطوى الحس وذات قرنين طحون الضرس^(٢)
نضاضة مثل انشاء المرس^(٣) تدير عيناً كشهاب القبس
لما التقينا بمضيق شكس^(٤) حتى قنصت قرنهما بخمس^(٥) ٨٨
وهم يتهاجون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فأياكم والريف لا تقربنه فإن لديه الموت والحتم قاضيا
هم طردوكم عن بلاد أبيكم وأنتم حلول تبتون الأفاعيا
وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور^(٦)

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الديميرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل :
« الرس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س : ط : « قبوتها »
وصوابهما فى هـ .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى السكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :
وأنور ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند
الهيئى (١ : ٣١٨) .

وغاب قميرٌ كنت أرجو مغيبه وروح رعيان وهومٌ سمرٌ
ونفضت عني الليل^(١) أقبلت مشيةً إلى حُبابٍ ، ورُكني خيفة القومِ أزور^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و] ^(٣) ضَرَبَ كَلْثُومٌ بنَ عمرو المثلَ بِسَمِّ الأَسَاوِدِ ، فقال ^(٤) :

تلوم على ترك الغنى ^(٥) باهليّة ^(٦) طوى الدهرُ عنها كلَّ طَرَفٍ وتاليد
رأت حولها النّسوانَ يرفلنَ في الكُسا^(٧)

مقلّدةٌ أجيادها بالقلائد

يسرُّكِ أُنّى نلتُ ما نالَ جعفرُ من الملك ، أو ما نال يحيى بن خالد^(٨)

(١) يروى : « ونفضت عني العين » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيّب وألطف . ورواية العيني : « ونفض عني الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضّم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغاني (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال ، فعل نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة حجة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والمقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحمامة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « باهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .
والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفر بن المهدي ، ويحيى بن خالد الترمكي . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَى نِي مَعْصَمًا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَارِدِ! (١)
 ذَرْنِي تَجْنِي مَيْتِي مُطْمَئِنَّةً وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ (٢) تِلْكَ الْموَارِدِ
 فَإِنْ كَرِيماتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمَسَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ (٣)

(حیات الجبل)

وفي التشنيع لحیات الجبل ، يقول اللَّعِينُ الْمُنْقَرِيُّ (٤) * لرؤبة
 ابن العجاج (٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصه مؤسفة ، يرويها المسعودي في مروج الذهب .
 وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
 (١) أغضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى في البيان
 والغرر وعيون الأخبار وحاسة ابن الشجرى والأغاني : « أغصني مغمصهما » .
 والمرهقات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في الضريبة ، لا تتثنى .
 وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخني ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قلبي
 وفي الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحاسة
 ابن الشجرى والمروج والزهر . وفي العقد : « الخدائد » .

(٢) كذا في ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول »
 ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار . وفي الزهر : « فإن رفيفات المعالي » ،
 والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحاسة : « فإن رفيفات الأمور » ، ودويان المعاني
 « وجدت لذاذات الحياة » ، والأغاني : « رأيت رفيفات الأمور » ، ودويان المعاني
 (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف
 الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت في محاضرات
 الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحرى في حماسه ص ٨ البيتين منسوبين إلى المسكبر الضبسى . والعين المنقرى
 سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « خلت اللؤم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والعينى ٢ :
 ٤٠٤ منسوباً إلى العين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُؤبُ ، والحية الصماء في الجبل^(١)
أبا الأراجيز يا ابن اللوم توعدني وفي الأراجيز جلب اللوم والكسل^(٢)

(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدثنني ابن أبي طرفة^(٣) ، قال : مرّ قومٌ حجاج من أهل
الين مع المساء ، برجل من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسأله القرى ،
فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مسقا ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وقّتنا
حقّ قرانا ! فأخذ القرية فتقلدها يسقيهم ، فنهشته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القرية ، والشرب^(٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لشأناً ، وما في الشرب من فم قرية حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ ! حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قرية ، فوكمته^(٥) حية فأت ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب . فعلمت^(٦) أن كل شيء لا أعرف^{٨٩}
تأويله من الحديث ، أن له مذهباً وإن جهلته^(٧) .

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى للبحري : « إن كنت
تتكرني » . قوله : « والحية الصماء » أي وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحري : « أبا لأراجيز » . في س ، ط :
« يوعذني صوابه في » وحاشا للبحري . وروى : « خلت اللوم والفشل » برفع اللوم
والفشل ، على الإقواء . وعند البحري : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .

(٣) الخبر في الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختنت فم القرية والسقاء : ثناء إلى خارج فشرّب منه . وفي الأصل : « اجتثات »
بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه في نهاية ابن الأثير واللسان (مادة
خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكمته الحية : لدغته .

(٦) في الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلة أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير وجهه ، وبأنه
يحمل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر فى سلخ الحية)

وقال الشاعر فى سلخ الحية :

حَتَّى إِذَا تَبَاعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ^(١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَتَيْنِ : بِسَمِّ الرَّأْسِ وَنَهَشِ الرَّجْلَيْنِ^(٢)
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهَزًا حَتَّى تَأْتِيَ
عليه سنتان .

(قول فى سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحَيَّةِ مِثْلُ الْبَزُولِ وَالْقُرُوحِ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ .
قال : وَلَيْسَ يَنْسَلَخُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنَ السِّنِينَ
عَلَى حَدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الْحَيَّةَ تَسْلَخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الْحَيَاتِ
كَالتَّحْسِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا تَجْتَمِعُ قُوَّةً إِلَّا بَعْدَ التَّحْسِيرِ وَتَمَامِ
نَبَاتِ الرِّيشِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعى : أَخْبَرَنِي أَبُو رِفَاعَةَ^(٣) ، شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، قَالَ :
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَتَخَطَّى حَيَّاتٍ . فَطَرْتُ السَّمَاءَ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّى سُبُولًا .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) فى الأصل : « بسمة الرأس » ، والبسة بمعنى العلامة ، وهى لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رفاعه » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته .

(شعر للعرجي والشماع في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديبب السمِّ في المنهوش :

وَأَشْرَبَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حُمَيَّا الكَأْسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي الْمَسْوَعِ سَمُّ الْعَقَّارِبِ
وقال العرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صُدُوعِ الصَّخْرِ ، فقال :

تَأْتِي بَلِيلٌ ذُو سَعَاءٍ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظٌ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَامًا^(٣)
كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابَسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا
أَبْرًا عَلَى الْخَوَاءِ^(٤) حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَاهُ^(٥) مَحَامَاةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) للعرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، ه .

(٢) السعاء ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاء » بدون إعجام . وصوابهما في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والخواء ، بضم الخاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا بما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر مع الموامع (٢ : ١٧٧) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فانه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجي لسكنائه قرية العرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماء : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت للتأنيفة ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

يَظَلُّ مُشِيحاً سَامِعاً ، ثُمَّ لَمَّا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأُلْ إِلَّا تَقَدُّمًا^(١)
قال : ويقال : تطوّت^(٢) الحية . وأنشد العرجي :

ذَكَرْتَنِي إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الثِّيَابِ^(٣)
وقال الشَّماخ ، أو البَعِيث^(٤) :

وَأَطْرَقَ لِأَطْرَاقِ الشَّجَاعِ وَقَدْ جَرَى عَلَى حَدِّ نَابِيهِ الدُّعَافُ الْمُسَمُّ^(٥)

(ما ينبج من الحيوان)

٩٠ والأجناس التي تُذَكَّرُ بالنباح : الكلب ، والحية ، والظَّبْيُ إِذَا
أَسَنَّ ، وألهدهُد . وقد كتبنا ذلك مرة ثم^(٦) .

قال أبو النِّجَم :

وَالْأَسَدُ قَدْ تَسْمَعُ مِنْ زَيْبِهَا وَبَاتَتْ^(٧) الْأَنْعَى عَلَى مَحْفُورِهَا
تَأْسِيرُهَا يَحْتَكُ فِي تَأْسِيرِهَا^(٨) مَرَّ الرَّحَى تَجْرَى عَلَى شَعِيرِهَا

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأذنها أخرى . والحية ما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر في ط ، هـ . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النصين
محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .

(٤) ليس البيت في ديوان الشماخ .

(٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنجاح الظبي ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولنجاح الهدهد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .
وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) هـ : « وباتت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التأسير ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،
وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هي في الأصل « يحنك » بالنون .
وصوابه ما أثبت .

كَرْعَدَةِ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا (١) تَضَرُّمَ الْقَصْبَاءِ فِي تَنُورِهَا (٢)
تَوْقُرُ النَّفْسِ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَنْقِيرِهَا
* فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا *

(قَوْلٌ فِي آيَةٍ)

وسنذكر مسألة وجوابها . وذلك أَنَّ ناساً زعموا أَنَّ جميع الحيوان على أربعة أقسام : شئ يطير ، وشئ يمشى ، وشئ يعم ، وشئ ينساح .
وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروب الخلق ، ثُمَّ قَصَرَ عن الشيء الذي وَضَعَ عليه كلامه (٣) ، فلم يذكر ما يطير وما يعم . ثُمَّ جعل ما ينساح ، مثلُ الحَيَّاتِ والذَّيْدَانِ ، مِمَّا يَمْشِي ، والَمْشَى لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَجْلٍ ، كما أَنَّ العَصَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَمٍ ، والرَّمَحُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحَافِرٍ . وذكر ما يَمْشِي على أَرْبَعٍ ، وهَاهُنَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .
وفي الأصل : « الجزء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب يرعيل بعضه بعضاً كعممة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضاء » و : ه :

« الغضا » و س : « القصباء » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعارضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومن تفقّد قوائمَ
السّرطانِ وبناتِ وِرْدَانٍ ، وأصنافِ العناكب - عرّف ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التّأويل وحده . فما الدّليلُ على أنّه
وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم ؟ وبأيّ حُجّةٍ جرّمتُم على ذلك ؟
وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَفَوَدَّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ
الشّياطينِ والنّارِ لهم آكلٍ ، وعذابهم بها أشدّ . فترك ذكرهم من غير
نسيانٍ ، وعلى أنّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزّ وجلّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (١) ، أخرج
من هذا العموم عيسى بن مريم ، وقد قصّد في مخرّج هذا الكلام [إلى (٢)]
جميع ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أدخل فيها آدمَ وحوّاءَ . ثم قال على صلة الكلام :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وحوّاءَ
وعيسى بن مريم . وحسّن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضّع على جميع ما تعرفه
التّفوسُ من جهةِ استقصاء اللفظ . فقلوه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ٩١
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ (٣) ، كان على
هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أنّ كلّ شيءٍ يمشى على أربع فهو مما يمشى على
رجلين ، والذي يمشى على ثمان هو مما يمشى على أربع ، وعلى رجلين .

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشى على أربع » في ط ،
س . وهى عبارة مقحّدة ليس لها وجود في هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبّرت أن لك عليه ما بين درهم^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إن المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إن ذلك خطأ ؛ لأنَّ السَّعى لا يكون إلا بالأرجل . وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أما وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشاعر : « ما هوَ إلاَّ كأنه حَيَّةٌ » ، و : « كَأَنَّ مِشْيَتَهُ مِشْيَةُ حَيَّةٍ » يَصِفُونَ ذلك ، ويذكرون عندهُ مِشْيَةَ الأيِّمِ والحُبَابِ ، وذكر الحَيَّاتِ . وَمَنْ جَعَلَ لِلْحَيَّاتِ مِشْيَةً مِنَ الشعراء ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نَقِفَ^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمُّون انسياها وانسياحها مشياً وَسَعْيًا ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وَأَنْ قَامَ الشَّيْءُ مَقَامَ الشَّيْءِ أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبّه به فى حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، وَلَكِنَّهُ أَجْرَاهُ مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِفَصْدِ بَعِيرٍ ، وَطَعَنَهُ فى سَنَامِهِ ، وقال : « هَذَا فَصْدُهُ^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصلون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يحمى ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميذاني (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصلى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى غزوة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحراها ، فلامته على نحوه إياها فقال : هكذا فصلى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . غزوة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرو أطمعني تمرًا^(١) فكان تمرى كهرةً وزبرًا^(٢)

وذم بعضهم^(٣) الفأر وذكر سوء أثرها في بيته ، فقال :

يا عَجَلُ الرَّحْمَنِ بالعقابِ لِعماراتِ البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرجل ، « مانرى من خيرك

ورفدك إلا ما يبلغنا من حطبك^(٤) علينا ، وفئتك في أعضادنا^(٥) ! »

وقال النابغة في شبيه هذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ووجه آخر : أن الأعراب تزعم — وكذلك قال ناس من الحوَّاثين

والرقائين — إنَّ للحية حزوزا^(٦) في بطنه ، فإذا مشى قامت حُزوزة^(٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمعني عير » ، والحيوان (٥ : ٢٢) :

« قالت ألا فاطم عيرا » . وروى في المختص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمعني

عميم تمرًا » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عميم :

تصغير عم . أى يامى .

(٢) الكهرة : الانتهاز . وللزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل البصرة فاشتري خبزاً فأكله فأفأر . انظر الحيوان (٥ : ٥ :

٢٥٨) وديوان المعاني (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان

بفلان : سعى به » ؛ فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا .

وفى الأصل وكذا في بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تنجبه إلا

بتكلف . وما يبلغنا : أى ما يصل إلينا .

(٥) نت فى ضده : رام لإضرار به بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته .

ط : « وفئتك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضادنا »

صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « حزوزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « حزوزة » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشىَ راجعتُ إلى مكانها ، وعادتُ تلكَ المواضعُ مُلْسًا . ولم
تُوجَدَ بعَيْنٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبلغها إلَّا كلُّ حَوَاكٍ دقيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربىِّ ؛ فَإِنَّهُ يظهرُها كالدُّلُو ،
فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجعَ ذلكَ الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢
عليه بلمْسٍ ولا عَيْنٍ . وكذلك عروقُ الكُلَى^(١) إلى المِثَانَةِ التي يجرى فيها
الحَصَى المتولِّدُ في الكُلْيَةِ إذا قَذَفَتْهُ^(٢) تلكَ العروقُ^(٣) إلى المِثَانَةِ ، فإذا
بالإنسانِ انضمتْ العروقُ واتَّصلتْ بأماكنها ، والتحمتْ حتى كان
موضعُها كسائرِ ما جاوزَ تلكَ الأماكنَ .

ووجهُ آخر : وهو أنَّ هذا الكلامَ عربىٌّ فصيحٌ ؛ إذ كانَ الذى جاء به
عربياً فصيحاً ، ولو لم يكنْ قرآنًا من عندِ الله تبارك وتعالى ، ثُمَّ كانَ كلامَ
الذى جاء به ، وكانَ مَن يجهلُ اللَّحْنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماءِ في لغته ،
لكانَ هذا - خاصَّةً - مِمَّا لا يجهلُهُ .

فلو أنَّنا لم نجعلْ لِحْمَدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً في نُبُوَّةٍ ، ولا مزيةً
في البيانِ والفصاحةِ ، لكُنَّا لا نجدُ بُدًّا من أنْ نعلمَ أنَّه كواحدٌ من الفصحاءِ .
فهَلْ يجوزُ عندكم أنْ يخطئَ أحدٌ منهم في مثلِ هذا في حديثٍ ، أو وصفٍ ،
أو خطبةٍ أو رسالةٍ ، فيزعمُ^(٤) أنْ كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلكَ
الذى قال^(٥) ليس من لُغَتِهِ ولا من لغةِ أهله ؟ ! فَعَلُومٌ عندَ هذا الجوابِ ،
وعندَ ما قبله ، أنْ تأويلَكمُ هذا خطأ .

(١) ط : « الكلا » . س ، ه : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع
كلية ، بالضم .

(٢) ط ، ه : « تجرى » . والحصى ، كتبت في ط ، س بالألف .
وفى ه : « الخصى » صوابهما ما أثبت . وفى الأصل : « قذفها » بدل : « قذفه » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والموجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾
وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة ، بأيِّ شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،
ما شغلهم إلا في افتضاض الأبقار ، وأكل فواكه الجنة ، وزيارة الإخوان
على نجائب الياقوت !

وهذا على مثال جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل
من جهة الحلبة ^(١) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنِ
الْحَلِيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسر حين سُئِلَ عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشيٌّ . وقد صدَّق القرآن ، وصدق
المفسر ، ولم يتناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآن ذهبَ إلى المقادير ، والمفسر
ذهبَ إلى الموجود ، من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رَوَى عن عمر أنه قال : « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْهَيْتُهُمَا وَأَضْرَبْتُ عَلَيْهِمَا ^(٢) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان
(٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا في كتاب العباسية
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَا سْتَمْتِعْ بِهِ مِنْهُنِ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَيُضْفَى » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويطبّقون^(١) إذا ركعوا ، فنَهَى
عن ذلك إمامٌ من الأئمّة ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهرَ النَّسخ ، وعَرَّفَهُم
أن ذلك من المنسوخ ، فكأنَّ قائلًا قال : أتُنهانا عن شيءٍ ، وقد كان على
عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدّم الاحتجاجَ ٩٣
في النَّاسخ والمنسوخ^(٢) .

ومن العَجَب أن ناسًا جعلوا هذا القولَ على المنبرِ من عيوبه . فإن
لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما في الأرضِ أَجهلُ من عُمرَ حينٍ يُطهَرُ
السُّكُفَرُ في الإسلامِ على منبرِ الجماعةِ ، وهو إِمَامٌ علاه بالإسلام . ثمَّ في شيءٍ
ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلَّةٌ . وأعجَبُ منه تلك الأئمّة ، وتلك الجماعة [التي^(٣)]
لم تَنكِرْ تلك الكلمةَ في حياته ، ولا بَعْدَ موته ؛ ثمَّ تَرَكَ ذلك جميعُ
التَّابِعِينَ وأتباعِ التَّابِعِينَ ، حتَّى أَفْضَى الأمرُ إلى أَهْلِ دهرنا هذا .
وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثْمَانَ على أن سيَر رجلاً^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ
قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول
عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على
عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى
عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يَضْبَعُونَ » ، وهو تحريف صوابه عما في البيان (٢ : ٢٨٢) .
والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد .
وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلزام الكفين
رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبّق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل ، أبوذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على
الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عُثْمَان ، وسيره إلى الرَبِذَةِ ، وهى من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة .

ولو أن جهنم فتحت أبوابها ، ونحى ^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكل لصٍ في الأرض ، ولكل خائن في الأرض : دونك ؛ فقد أبيحت لك ! لَمَّا دنا منها ، وقد جعل لها خزائن وخزنة . وإِنَّمَا هَٰذَا عَلَىٰ مِثَالِ مَا ذَكَرْنَا . وهذا كثيرٌ في كلام العرب .

والآيُ التي ذكرنا في صِدْقِ هَٰذَا الْجَوَابِ ، كلها حُجَجٌ عَلَى الْخَوَارِجِ فِي إِسْكَارِهِمُ الْمُنْزِلَةَ بَيْنَ الْمُنْزِلَتَيْنِ ^(٢) .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قرية من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ .
واسم أبي ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا آخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحى » ، صوابه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا الفريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فترسكب الكبيرة إذا لم يقب فهو خالد في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

(شعر خلف الأحمر في الحيات)

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات :

بِرَوْنِ الْمَوْتِ دُونِي أَنْ رَأَوْنِي وَصِلْ صَفًّا لِنَبَاتِيهِ ذُبَابٌ^(١)
 مِنَ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكَهْفِ طَوْدٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
 أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطْنُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بَعْقُوته الذَّنَابُ^(٤)
 كَأَنَّ دَمًا أُمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أُمِيرَ بِهِ كُبَابٌ^(٥)
 إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتُ أَبَدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب الثاب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمته وحايته . يقول :
 هو من تلك الحيات التي تحرمت بذاك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها
 أحد . في الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « عرام » .
 يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه في س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ،
 وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموضعين ، بمعنى جعل يمر ،
 وما كتبت أشبه . وجاء في الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمأثرات :
 الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمأثرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : القتراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل :
 « استجرش » ولم أجد له وجهًا ، وما يميز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢
 من قول عنتره :

رفود صحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذ وأمله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت
 الصهابي : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدي :

فجئنا إلى الموت الصهابي بعدما تجرد عريان من الشر أحذب .

إذا ما الليلُ ألبَسَهُ دُجَاهُ سَرَى أَصْمَى تَصِيحُ لَهُ الشَّعَابُ^(١)
فقلت لحيَّان^(٢) بن عتبى^(٣) : [لِمَ^(٤)] قال موسى بن جابر
الخنفي^(٥) :

طَرَدَ الْأَرَوَى فَمَا تَقَرَّبُهُ وَتَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ^(٦)
قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . [قلت^(٧)] : فلم قال خلف الأحر :
* ولا تسرى بعقوته الذناب * ؟

قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . فَظَنَنْتُ أَنَّه حَدَسَ^(٨) ولم يقل بعلم .

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه في س ه . و « تصيح » هي في
س : « تصج » . ولو كانت « تصيح » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابه في س ، ه .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعر له على تحقيق . وجاء في عيون الأخبار (٢ :
٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذي ورث نصف دار أبيه ،
فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لي !
فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بني حنيفة ، يقال له ابن الفريفة ، وهي أمه ، كما أن حسان
ابن ثابت يقال له ابن الفريفة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزباني في معجمه ٣٧٦
إنه نصراني جاهل ، يلقب أزيق اليمامة . والحق أنه إسلامي ، وأنه قال شعراً
في الإسلام . انظر الأغاني (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره في الحماسة (١ :
١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفي شرح الحماسة للتبريزي
(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن في العرب
من سمي موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا في الإسلام ، لما نزل القرآن
وسمى المسلمون أبنائهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ، ه .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) الحدس : الخزر والتخمين .

(منافضة شعرية لازيادی ويحيى بن أبى حفصة)

وقال الزیادی فی يحيى بن أبى حفصة (١) :

إني ويحيى وما يبغى كملتَمِسِ صَيْدًا وما نال منه الرِّىَّ والشَّبَعَا ٩٤
أَهْوَى إِلَى بابِ جُحْرِ في مَقْدَمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى في رَأْسِهِ قَزَعَا (٢)
اللَّوْنُ أَرَبْدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ عُصْلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قِطْعَا (٣)
يَهْوَى إِلَى الصَّوْتِ وَالظَّلَاءِ عَاكِفٌ تَقْوَرُ السَّيْلُ لَاقِيَ الْحَيْدِ فَاطْلَعَا (٤)
لَوْ نَالَ كَفْلَكَ آبَتْ مِنْهُ مَخْضِبَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ جَلَلَتْ أَنْيَابُهَا قَزَعَا (٥)
بِيعَتْ بَوَكْسٍ قَلِيلٍ فَاسْتَقَلَّ بِهَا مِنْ الْهَزَالِ أَبُوها بَعْدَ مَا رَكَعَا
فَرَدَّ عَلَيْهِ يَحْيَى فَقَالَ :

كَمْ حَيَّةٌ تَرْهَبُ الْحَيَّاتُ صَوْلَتُهُ يَحْمَى لِرَيْدِيهِ (٦) قَدْ غَادَرْتَهُ قِطْعَا

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) :
« وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها .
والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سائلة » . وصوابه ما
أثبت . وانظر ما ساقى في (٥ : ٣٣٤) . والعصل : الملتويات . وفي الأصل :
« عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شيء . والتقور : الثنى . وفي
الأصل : « تعود » . وانظر ما سبق في ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى في مشيه
كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع
لجره وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفي ط : « قنعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأففة إذا اعتدى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناقص
من الجبل . س : « لذيزه » .

يَلْقَيْنَ حَيَّةً قَفٍّ ذَا مُسَاوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعَاً^(١)
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَهُ ، قَزَعَاً^(٢)
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءٍ أَيْبَسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَاً^(٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

وَكَمْ طَوَتْ مِنْ حَنْشٍ رَاصِدٍ لِلْسَفْرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ^(٤)
أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ^(٥)
مَنْهَرِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضَّحَى سَارِ طُمُورٍ فِي الدُّجْنَاتِ^(٦)
ذِي هَامَةٍ رَقْطَاءَ مَقْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ^(٧)
صِلُّ صَفًّا ، تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ^(٨)

(١) القف : بالضم : مرتفع حجري . و « يسق » هي في الأصل : « تسق » .
والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزح : القطع من السحاب . ط ، س :
« قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه في هـ .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧) وفي هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالي في الجبل .

(٥) الأنياب العصل : الملتوية . هـ : « عضل » ، صوابه في س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسمه . والطمور ، كصبور : الثواب . ط : « طمورا »
صوابه في س ، هـ .

(٧) مقطوحه ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، هـ .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسام ، بالكسر : جمع سم .
والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ،
ولعلها « ميرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت في ٢٣٤ .

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(١)
 قَدَّمْنَ عَنْ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأَخَّرَا إِلَى سِمَاحَيْنِ وَلَهَوَاتٍ^(٢)
 يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْعٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٣)
 وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيِّتًا مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ^(٤)
 وقال آخر ، وهو جاهليٌّ :

لَاهُمَّ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
 فَابْعَثْ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَمِيمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمٍّ^(٥)
 أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعُرْمِ^(٦) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بَدَمَ ٩٥
 فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمًّا^(٧) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 يَمَسَّ مِنْهُ مَضَضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقُمْ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرسين .
 والسباح بكسر السين : لغة في السباح بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللاهوات
 جمع اللهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الخلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه
 جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه في ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت وللنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفي الأصل :
 « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطروق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل
 والإخبات : من أخبت بمعنى خشم . وأصله من الخبت ، وهو المظلمين
 من الأرض .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
 ضمت الراء في (العرم) لضرورة للوزن . وفي الأصل : « القدم » ،
 ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفي الأصل :
 « أفضل » ووجه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أى نسم الهواء
 ليغتذى به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

وَلَمْ يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَمٍّ وَلَا لَخُوفٍ رَاعُهُ وَلَا لِيَهُمْ
حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمٍّ ^(١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ ^(٢)
بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ ^(٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
* وَخَزَةٌ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍ ^(٤) *

ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع ، تكون في غُلفٍ ^(٥) ، إذا
وطئت على بطن أو كفها ترفعت المخالب ، ودخلت في أكام لها . وهو قول
أبي زبيد :

بُحْجِنُ كَالْحَاجِنِ فِي فَتُوخٍ يَبْقِيهَا قِصَّةَ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ ^(٦)
وكذلك أنياب الأفاعي ، هي مالم تعض فقصونة في أكام . ألا تراه
يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ ^(٧)

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
في س ، ه .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه في أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . ه . « لمذوب » ، صوابه في س ، ه . والكُم ،
بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشقى : المحرز ، يذكر ويؤنث . والمعطوف ، بالفتح : المبطون . وإذا أظهر
لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، ه .

(٦) الحجين : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زيد بنعته . والحاجن : جمع
محجن ، وهو الصامع المعوجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالهاء المعجمة في آخره : هي
من الأسد مفاصل مخالبه ، كما في القاموس . وفي الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة
مصحف . والقصة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى
الصغار . وفي الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت في التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه
في س ، ه . ه : « مذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أُنتعتُ نضناضاً كثيرَ الصَّقَرِ^(١) مولده كمولدِ ابنِ الدهرِ^(٢)
كاناً جميعاً وُلِداً في شَهْرٍ يظلُّ في مرأى بَعِيدِ القَعْرِ
* بَيْنَ حَوَا فِي سَكِرٍ وَصَخَرٍ^(٣) *

وقال :

وكيفَ وقد أسهرتُ عَيْنَكَ تبتغي عِنَاداً لِنَابِي حَيَّةٍ قد تَرَبَّدَا^(٤)
من الصَّمِّ يكفي مرَّةً من لُعَابِهِ وما عاد إلَّا كَانَ في العَوْدِ أَحْمَدَا^(٥)
(شعر لخلف في الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر - وهي مخلوطةٌ فيها شيءٌ ، وله شيءٌ ، من الغبرة^(٦)

-
- (١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر .
وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .
- (٢) ابن الدهر ، فسرهُ ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد
فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومي :
وما الدهر إلَّا كابنه ، فيه بكرةٌ وهاجرةٌ مسمومةٌ الجوقاتله
في الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد غنى الراجز
أن ذلك الحية متقدم الميلاد ، وذلك مما يزيد في شدة سمه .
- (٣) الحوافي : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والخافة : الجانب .
والسدر ، ككتف : البحر . وحيات المساء معروفة بالجرأة والنكر . وفي
الأصل : « صلر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
- (٤) تربد : صار أريد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ،
والحياة تذكر وتؤنث .
- (٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » ، صوابها ما أثبت . والشطر الثاني
فيه تهكم .
- (٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحققهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو
كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحاً لها ، كما أسلفت في التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أن أحداً وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره -
وهو قوله :

أَفَعَى رَخُوفَ الْعَيْنِ مِطْرَاقَ الْبُسْكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من الكبير

صِلَّ صَفْناً ما ينطوى من القَصْرِ^(٢) طويلة الإطراق^(٣) من غير حسر
كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ الْفِكْرُ شُقَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ طُولاً فِي شَتْرٍ
مهروثة الشدقين حولاء النظر جاء بها الطوفان أيامَ زَخَرٍ^(٤)
كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدْرَ^(٥) نَشِيشُ جمر عند طاهٍ مقتدر

(أحاديث في الوزغ)

هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها
كانت تقتل الأوزاغ . ٩٦

يحيى بن أبي أنيسة^(٦) ، عن الزُّهري ، عن عروة^(٧) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، ه ، « زحوف » صوابه في س .
ومطراق البكر : أى يطرق إطراقاً في الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أمه
انتباهها فيكون على أشده في الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز في جعله الصل لا ينطوى من
شدة قصره . في الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وضوابه مما سبق في ص ١١٩ .

(٣) في الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون
مع النظر في الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عني أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبي أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة
ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسق » .
قالت : « ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال (١) قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني (٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويسق » .

أبو بكر الهذلي ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفي يدي عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزغ في بيتي . قال : إن فعلتِ فإنَّ الدَّوابَّ كُلَّها حين ألقى إبراهيم صلى الله عليه وسلم في النَّار ، كانت تُطْفئُ عنه ، وإنَّ هذا كانَ يَنْفُخُ عليه ، فَصَمَّ وَبَرِصَ » .

وهذه الأحاديثُ كُلُّها يَحْتَجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الأشياءَ كُلَّها كانتْ ناطقةً ، وأنها أمٌّ مجراها مجرى الناس .

(تَأَوَّلَ آيَاتِ مِنَ الْكِتَابِ)

وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= ومع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرة . وتوفي سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فليتنظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ وقال (١) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ (٢) ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْجِبَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَسْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً ، وذهب ابن حائط (٣) ومن لف لفه من أصحاب الجهالات مذهباً ، وذهب ناس من غير المتكلمين ، واتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار ، وزعموا (٤) أن الحجارة كانت تعقل وتنطق ، وإنما سلبت المنطق فقط . فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه .

قال : والوطواط ، والضرد ، والصفدع ، مطيعات ومثابات (٥) . والعقرب ، والحية ، والحداة ، والغراب ، والوزغ ، والكلب ، وأشباه ذلك ، عاصيات معاقبات .

(١) في الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصري وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . السفاقي .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى في مذهبه بمنكرات عجيبة . وما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم » ، وقال : إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ - ٨١) والفرق ٢٥٥ - ٢٥٩ حيث تجد قولاً فكها ضارباً في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في س ، هـ .

ولم أقف^(١) على واحدٍ منهم فأقولَ اه : إِنَّ الْوَزَغَةَ الَّتِي تَقْتُلُهَا عَلَى أَنَّهَا
كَانَتْ تُضْرِمُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، أُمِّي هَذِهِ أُمُّ هِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا فَأُخُوذَةُ
هِيَ بِذَنْبٍ غَيْرِهَا ؟ أَمْ تَزْعَمُ أَنَّهُ فِي الْمَعْلُومِ أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ الْوَزَغُ لَا تَلِدُ
وَلَا تَبْذِصُ وَلَا تُفْرِخُ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بَدِينِهَا ، وَيَذْهَبُ مَذْهَبُهَا ؟ !
وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ يَمْنُ بِفَهْمٍ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا
يَكُونُ مُرْدُودًا ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَكُونُ مُتَأَوَّلًا ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَقَالُ ٩٧
إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةُ عَنْ بَعْضِ الْقَبَائِلِ .
وَلِذَلِكَ أَقُولُ : لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ ، وَاسْتَطِيفَتْ
وَاسْتَرْقَتْ ، وَلَوْلَا الْمُعْتَزِلَةُ لَهَلَكَ الْمُتَكَلِّمُونَ^(٢) .

(أَحَادِيثُ فِي قَتْلِ الْوَزَغِ)

شَرِيكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ لَيْثٍ ، غَنَ نَافِعٍ ، أَنَّ ابْنَ عَمَرَ كَانَ يَقْتُلُ الْوَزَغَ
فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ : هُوَ شَيْطَانُ !
هَشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنِ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ خَشَاشِ
الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ يُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا الْوَزَغُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفِخُ عَلَيْهِ .
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْزَاعَ كَانَتْ يَوْمَ حُرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنْفِخُهُ وَالْوَطَاوِطُ^(٣) بِأَجْنِحَتِهَا .
شَرِيكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْوَزَغُ
شَرِيكُ الشَّيْطَانِ .

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٢) انظر ماسبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطواط ووطواط . كما هنا وكذا في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ خَطِيئَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعًا^(١) كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ .

هشامُ بن حسان ، عن واصل مولى أبي عيينة^(٢) ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أَقْتُلَ مِائَةً مِنَ الْوَزْغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأول ؛ لأنَّ يحيى بن يعمر لم يزعم أنه يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابةٌ تُطَاعَمُ الْحَيَّاتُ وتُرَاقَى وتُقَارَبُها ، وربما قُتِلَتْ بَعْضُهَا ، وتسكرَعُ في المَرَقِ واللَّبَنِ ثُمَّ تَمُجُّهُ فِي الْإِنَاءِ فَيَنَالُ النَّاسَ بِذَلِكَ مَكْرُوهٌ كَبِيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقُتِلَهُ فِي سَبِيلِ قَتْلِ الْحَيَّاتِ وَالْعُقَارِ .

(صنع السم من الأوزاغ)

وَأَهْلُ السَّجَنِ^(٣) يَعْمَلُونَ مِنْهَا سُمًّا أَنْفَذَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ^(٤) ، وَمِنْ رِيْقِ

(١) تحتل الرواية أن تكون سبعا بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتل أيضا أن تكون سبعا بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلمهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا من يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفى الأصل : « أهل السحر » ، والأوفق ما أثبت كما فى صيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صينى وهندى ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الآفაცი ، وذلك أنهم يُدخلون الوزغَ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْتِ ما يغمُرُها ، ويضعونها في الشَّمْسِ أربعين يوماً ، حتَّى تخطط بالزَّيْتِ وتَصِيرَ شيئاً واحداً . فَإِنَّ مَسْحَ السَّجِّينِ منه على رَغِيفٍ مَسْحَةٌ يسيرةٌ فأكلَ منه عشرةٌ أنفُسٍ ماتوا (١) . ولا أدري لِمَ تَوَخَّوا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَ الأبواب (٢) .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبي أنيسة ، عن أبي الزُّبَيْر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أَمَرَنَا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بأَرْبَعٍ ونهانا عن أَرْبَعٍ : أَمَرَنَا أَنْ نُجِيفَ أَبْوَابَنَا ، وَأَنْ نَحْمَرَ آتِنَتَنَا ، وَأَنْ نُوَكِّيَ أَسْقِيَتَنَا ، وَأَنْ نُنْطِفِئَ سُرُجَنَا (٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لم يفتحه ، وَإِنَاءً مُخْمِراً لم يكشفه ، وسقاءً مُوَكِّيً (٤) لم يحلّه . وَإِنَّ الْفُوسِقَةَ (٥) تَأْتِي المصباح فتضرمُّه على أهل البيت . ونهانا عن أَرْبَعٍ : نهانا عن اشتغال الصَّمَاءِ (٦) ، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي النَّعْلِ

(١) ط : « ماترا » ، ضوابة في س ، ه .

(٢) أى دفنهم ما يقتلون من الأوزاع تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخجير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرَج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، ه : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتغال السماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً ، فن ذلك ما قيل للصَّماء . وللفقههاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصَّاد » محرف .

الواحدة أو الخُفُّ الواحد ، وأنَّ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِنَّا فِي الثَّوبِ الْوَاحِدِ ^(١) ليس عليه غيره ، وأنَّ يَسْتَلْقَى أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى ^(٢) . وهذا الحديث ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النَّار ، وهو يقع [بعد ^(٣)] هذا الذي يلي القول في النعام .

٩٨

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قيس ^(٤) ، وربيع بن خثيم ^(٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً ^(٦) تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ إِلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلُ الْمِيلِ ^(٧) ، فَإِنَّهَا جَانٌّ ^(٨) . وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أن يجتبي الرجل منا في الثوب الواحد » ، وهو على الصواب في س ، ه .
(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .
(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .
(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثوري الكوفي . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى و قيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نهت عليه في تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيراً » ، وتصحيحه وإكاله من س ، ه .
(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتحل به . والنص مضطرب في الأصل . في ط ، س : « إلى مثل الميل » وفي ه : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحداها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .
(٨) ه : « فانه جاني » .

إسماعيل المكي^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حيّةً فقتل كافراً .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيّةً أو عقرباً قَتَلَ كافراً .

وهذا ممّا يتعلق به أصحابُ ابن حاطط^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) . عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ، يقول : قال عبد الله^(٦) : من قَتَلَ حيّةً أو عقرباً فكأنّما قَتَلَ كافراً . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا سَأَلْنَاهُنَّ مُدَّ حَارِبِنَاهُنَّ »^(٨) .

(١) في الأصل : « المكي » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ولد في حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : « عبد الرحمن بن يزيد » ، من ولد في عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) في الأصل : « ابن حافظ » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حاطط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود البكوفي المسعودي ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « السعدي » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبي عروبة اليشكري — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاويناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عمرو^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ] ^(٢) قَتَلَ حَيَّةَ خِفَافَةَ أَثَارِهَا ^(٣) فعليه لعنة الله والملائكة » .
 الربيع بن صبيح^(٤) عن عطاء الخراساني^(٥) قال : كان فيما أخذ على الحيات ألا يظهرونها . فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ حَلَّ قَتْلِهِ . وقتلهم كقتال الكفار ، ولا يترك قتلهم إلا شاكاً .

وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حابط .

محمد بن عجلان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا سَأَلْنَا عَنْ مَذْحَارٍ بَنَاهُنَّ » .
 ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عمرو » ، صوابه ما أثبت من س ، ض . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فللقوله : « مخافة أثارها » ، فخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل ، فرما قتل قاتله ، وربما أصابته نجبل ، وربما قتل ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ .
 وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثارها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيبى الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبى مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفى الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق فى (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهم ^(٢) ذا الغرّتين ^(٣) » . قال : والغرة ^(٤) : حوة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعذوها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذى غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعام النحل المعسل العسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والقرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « المعسل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعام النحل المعسل » س : « فإن طعام النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ؛ كالحلْد^(١) والفأر ، والنمل ، والنحل ، والضَّبَّ . ومنه ما لا يتخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحَيَّاتِ^(٢)] ؛ لأنَّ ذُكُورَ الحَيَّاتِ سَيَّارَةٌ ، وإناثُها^(٣) إنما تُقيمُ في المكانِ إلى تمامِ خُروجِ الفِرَّاخِ من البَيْضِ ، واستغناء الفِرَّاخِ بأنفسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شُقُوقِ الصُّخُورِ والحِيطانِ ، والمداخلِ الضيّقةِ ، مثل سَامِ أْبْرَص . قال : والحَيَّاتِ تَألفُها كما تَألفُ العقاربُ الخنافس . والعظايا تَألفُ المزابيلَ والخراباتِ . والوزغُ قَريبةٌ من النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادَشْتُ^(٥) أَنَّ العظايا ليستُ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ سَامَ أْبْرَصَ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ أهرمن^(٦) لما قعدَ ليقسِمَ السُّمومَ ،

- (١) الحِلْدُ ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعْمى .
- (٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .
- (٣) في الأصل : « وإناها » . والوجه ما أثبت . وعند اللميري : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كبيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبيستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما في التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبيستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » وب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .
- (٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلمان في نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبديل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، هـ : « لانه » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلْبِهِ ؛ كَالْأَفَاعَى ، وَالنَّعَابِينَ
وَالْجُرَّارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزَغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكْمَلُ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ ^(١) ، فَتُمِيرُهُ ^(٢) مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَرَ ^(٣) الْوَزَغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمَنْ لُعَابُ الْأَفَاعَى . فَأَمَّا الْعِظَايَةُ ^(٤)
فَلَمَّا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِدَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِظَايَةُ وَقَدْ فَنِيَ ^(٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلَاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخِرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فَإِذَا رَأَيْتَ الْعِظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ لِنَمَاهِهَا لَمَّا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ التَّنْكِيرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدُّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعِظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزَغِ ؛ لِأَنَّهَا
لَوْلَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ ^(٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِفَاعَلَةٌ ، مِنْ زَقَ الطَّائِرُ فَرَخَهُ : أَطْعَمَهُ . س ، ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) مَارَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَارَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فَيَمِيرُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَرَ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمِنْهُ فِي الْكِتَابِ : « وَاللَّيْلُ
إِذَا دَبَرَ » ، فِي بَعْضِ الْقُرْآنِ .

(٤) الْعِظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ كَسَامِ أَيْرُصَ . ط : « الْفِظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قَتَى » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ شَرَّ يَشُرُّ وَيَشُرُّ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ — بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَكَسْرِ الرَّاءِ —
وَشَرِيرٌ ، كَسَكَيْتَ .

ولم يستَبِنَ لِلنَّاسِ ^(١) من اغتباط الوزغ بنصيبه من السمِّ ، بقدر ما استبان من تُكَلِّ العظاية ، وتسَلُّها وإحضارها ^(٢) وبكائها وحزنها ، وأسْفِها على مصافاتها من السمِّ .

(زعم زرادشت في خلق الفأرة والسنور)

ويزعم زَرَادُشت ^(٣) ، وهو مذهبُ المجوس ^(٤) ، أَنَّ الفأرةَ مِنْ خلقِ الله ، وَأَنَّ السَّنورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ، وهو إبليس ، وهو أَهرَمَن ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذبُ فتيلةَ المصباحِ فتحرقُ بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العظامَ ، والأرباضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرِضُ دفاترَ العلمِ ، وكتبَ الله ، دقائقَ الحسابِ ، والصِّكَّالَ ^(٦) ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثَّيابَ ، وربَّما طلبتِ القُطنَ لتأْكُلَ بَزْرَه فتدعُ اللَّحافَ غُرْبَالاً ، وتقرِضُ الجُرْبَ ^(٧) ، وأَوْكِيَةَ الأَسْقِيَةِ والأَزْقاقِ والقِرْبِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقعُ في الآنيةِ

(١) في الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) في الأصل : « زرادشت » وهو تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذلك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكالة من س ، هـ . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضي . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الثوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخَوِّج النَّاسَ إلى مُوْنٍ عِظَام ، وربما عَصَتْ
 رِجْلَ النَّاسِ ؛ وربما قَتَلَت الْإِنْسَانَ بَعْضُهَا . وَالْفَأْرُ (١) بِحُورِاسَانَ رَبِّمَا قَطَعَتْ
 أذنَ الرَّجُلِ . وَجِرْدَانٌ أَنْطَا كِيَةً تَعَجِزُ (٢) عَنْهَا السَّنَانِيرُ ، وَقَدْ جَلَا عَنْهَا قَوْمٌ ١٠٠
 وَكَرِهَهَا آخَرُونَ لِمَكَانِ جِرْدَانِهَا . وَهِيَ الَّتِي فَجَرَتِ الْمَسْنَةَ (٣) ، حَتَّى كَانَ
 ذَلِكَ سَبَبَ الْخُسْرِ (٤) بِأَرْضِ سَبَأَ ؛ وَهِيَ الْمَضْرُوبُ بِهَا الْمَثَلُ . وَسَيْلُ الْعَرَمِ مِمَّا
 تَوَرَّخُ بِزَمَانِهِ الْعَرَبُ . وَالْعَرَمُ : الْمَسْنَةُ . وَإِنَّمَا كَانَ جِرْدًا .
 وَتَقْتُلُ النَّحْلَ وَالْفَسِيلَ (٥) ، وَتَحْرَبُ الضَّيْعَةَ ، وَتَأْتِي عَلَى أَرْزَمَةِ الرِّكَابِ
 وَالْخُطْمِ (٦) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ .
 وَالنَّاسُ رَبِّمَا اجْتَلَبُوا السَّنَانِيرَ لِيُدْفَعُوا بِهَا بَوَاتِقُ الْفَأْرِ (٧) — فَسَكِيفُ
 صَارَ خَلْقُ الضَّارِّ الْمَفْسِدِ مِنَ اللَّهِ ، وَخَلَقُ النَّافِعِ مِنَ الضَّرَرِ مِنْ
 خَلْقِ الشَّيْطَانِ ؟ !

-
- (١) أَرَادَ بِالْفَأْرِ هُنَا الْجَمَاعَةَ . ط : « الْفَار » صَوَابُهُ فِي س ، ه .
 (٢) ط : « تَفْجَر » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، ه .
 (٣) الْمَسْنَةُ : السَّدُّ الَّذِي يَعْتَرِضُ بِهِ الْوَادِي لِنَتْنِظِيمِ تَدْفِقِ الْمِيَاهِ . وَفَجَرُ ، تَقَالُ بِالتَّخْفِيفِ
 وَالتَّشْدِيدِ ، بِمَعْنَى جَعَلَهُ يَنْفَجِرُ وَيَسِيلُ .
 (٤) الْخُسْرُ : مَصْدَرُ حَسَرِ الْمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ : نَضَبٌ حَتَّى يَدَامَتِ حَتَّتَهُ . وَجَاءَ فِي مَعْجَمِ
 الْبُلْدَانِ (بِرِسْمِ مَأْرَبِ) : « وَجَاءَ السَّيْلُ بِالرَّمْلِ فَطَمَهَا » . وَطَمَهَا : مِنْ قَوْلِهِمْ :
 جَاءَ السَّيْلُ فَطَمَ الرِّكِيَّةَ : أَيْ دَفَنَهَا وَسَوَاهَا . ط : « الْخُسْرُ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ .
 وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، ه .
 (٥) الْفَسِيلُ : جَمْعُ فَسِيلَةٍ ، وَهِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ . س : « النَّحْلُ وَالْعَمِيلُ » ، صَوَابُهُ
 فِي ط ، ه .
 (٦) الرِّكَابُ ، بِالْكَسْرِ : الْإِبِلُ . وَالْأَرْزَمَةُ : جَمْعُ زِمَامٍ . وَهُوَ مَقْوَدُ الْبَعِيرِ . وَالْخُطْمُ :
 جَمْعُ خُطَامٍ ، وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى خُطْمِ الْبَعِيرِ لِيُقَادَ بِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى أَقْرَحَةِ
 الرِّكَابِ وَالْخُسْرِ » . وَهِيَ عِبَارَةٌ لَا تَنْتَجِ . وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ .
 (٧) بَوَاتِقُ : جَمْعُ بَاتِقَةٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ ، أَوْ الشَّرُّ .

والسُّنُورُ يُعَدَى به على كلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) من الحَيَّاتِ ،
والعقارب ، والجعلان ، وبناتِ وِردان . والفأرةُ لا نَفْعَ^(٢) لها . ومُؤَنِّها
عظيمة .

قال : لَأَنَّ السُّنُورَ لو بالَ في البحرَ لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلَافِ سَمَكَةٍ !
فهلْ سمعتَ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أو بِحِيلَةٍ ، أو بِأُضْحُوكَةٍ ، أو بِكَلَامٍ ظَهَرَ على
تَلْقِيحِ هرة^(٣) ، يبلغُ مُؤَنَ هذا الاعتلالِ ؟ !
فالحمدُ لله الذي كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم^(٤) .
وأنشد أبو زَيْد :

والله لو كُنْتُ لهذا خَالِصاً لَكُنْتُ عَبْدًا آكلَ الأَبَارِصَا^(٥)
يعنى جماعَ^(٦) سَامٍ أَبْرَص : أَبَارِص .

(١) هذا مجازة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تَفْع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لا نعدم الرابط فى الصلة ، ومنهم
الحريرى فى درة القوس ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن
حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا :
الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجاوز أيضاً
أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء
حذفه فى قوله :

فألفيته غير مستعجب ولا ذاكر الله إلا قايلاً

بتنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى

الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سام أبرص ونحوه)

وسام أبرص ربما قتلَ أكله^(١) ، وليس يؤكل إلا من الجوع الشديد .
وربما قتلَ السنابير وبنات عرس ، والشاهمرك ، وجميع اللقّاطات^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَانَ الْقَوْمَ عُسُوا لَحْمَ ضَانٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهِمُ^(٤)
وهو شيء يعرض عن أكل دسم الضأن ، وهو أيضا يلقى على دسمه^(٥)
النعاس . وقد يفعل ذلك الحبق^(٦) ، والحشخاش .
[والحشخاش] يسمّى بالفارسيّة « أنار كَبُو »^(٧) ، وتأويله رمان الخس .
وإنما اشتقّ له ذلك إذ كان يورث النعاس ، كما يورثه الخس .

-
- (١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « اللقّاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .
(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعيج) .
(٤) فى المختص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فتقل على قلبه فهو نعيج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبي ، ولسان العرب (نعيج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالياء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ البيت بما سبّاق من الكلام . والبعج : المتسع البطن . والطل ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاه لما غلب عليه من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .
(٥) كذا فى ط ، ه . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

- (٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه اللزمان . ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السماني)

وأكل الطعام الذي فيه سماني يُورث الدُّوَار . وزعموا أنَّ صبيًّا من الأعراب فيما مضى من الدَّهر ، صادَ هامةً ^(١) على قبر ، فظنها سماني ، فأكلها فغثت نفسه ، فقال :

* نفسي تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانِي الْأَقْبَرِ ^(٢) *

(استطراد لغوى)

ويقال : غَثَّتْ نفسه غَثِيَانًا وَغَثِيًّا ^(٣) ، وَلَقِثَتْ تَلَقَّسُ لَقْسًا ، وَتَمَقَّسَتْ ^(٤) تَتَمَقَّسُ تَمَقَّسًا : إِذَا غَثِيَتْ ^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيتُ ناسًا حَوْلَ نَارٍ فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : قَدْ صَادُوا حَيَاتٍ فَهُمْ يَشْوُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا ؛ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يَنْهَشُ حَيَةً قَدْ أَخْرَجَهَا مِنَ الْجَمْرِ ، فرأيتُه إِذَا

= والثاني (كبو) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كيبو ، كيپو ، كيو ، جيو) .
وهذه الكلمة منحرفة في الأصل . فهي في ط ، هـ : «أباركو» وفي س : «أباركو» . واعتمدت في تصحيحها على معجمي بالمر وريتشاردسن .

- (١) الهامة : ضرب من البوم .
- (٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى .
- (٣) س : «عثت نفسه عثيانا وغيثا» بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .
- (٤) في الأصل : «وتمقس» . والوجه ما أثبت .
- (٥) س : «عثيت» محرف .

امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ يَمْدُهَا كَمَا يُمَدُّ عَصْبٌ لَمْ يَنْضَجْ . فَمَا صَرَفْتُ بَصْرِي عَنْهُ حَتَّى لَبِطَ
 بِهِ ^(١) ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ مَاتَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَقِيلَ لِي : عَجَّلْ عَلَيْهَا قَبْلَ ١٠١
 أَنْ تَنْضَجَ وَتَعْمَلَ النَّارَ فِي مَتْنِهَا .

(أَكَلَ الْحَوَائِينَ لِلْحَيَاتِ)

وَقَدْ كَانَ فِي بَغْدَادَ وَفِي الْبَصْرَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَوَائِينَ ، يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ أَى
 حَيَّةٍ أَشْرَتْ إِلَيْهَا فِي جُودَتِهِ ، غَيْرَ مَشْوِيَّةٍ . وَرَبَّمَا أَخَذَ الْمَرَارَةَ ^(٢) وَسَطَ
 رَاحَتِهِ ، فَلَطَعَهَا بِلِسَانِهِ ، وَيَأْكُلُ عِشْرِينَ عَقْرَبَانَةً ^(٣) نِيَّةً ^(٤) بِدَرَاهِمٍ . وَأَمَّا
 الْمَشْوِيُّ فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عُرْسٌ ^(٥) .

(شَعَرَ فِي الْحَيَاتِ)

وَقَالَ كَثِيرٌ :

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي فَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبَانِي ^(٦)
 وَتَرْقِيَنِي لَكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الْحِجَابِ ^(٧)

(١) لبط به : صرع . وفي الأصل : « لبط به » ، بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أى مرارة الحية ، أو لعلها « الحرارة » هـ : « النواه » محرفة .

(٣) كذا في الأصل . ولعلها : « عقربا » .

(٤) التيه بالكسر والهمز : اللحم الذى لم ينضج . وفي اللسان : « وقد يترك الهمز

ويقلب ياء ، فيقال : فى ، مشددا » . فاهو هنا صواب . وانظر (٣٥٦ : ٥) .

(٥) العرس ، بالضم وبضميتين : طعام الوليمة .

(٦) س : « وتخرج » . وفي الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق

في ص ٢٥٠ .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين في ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن ثروان^(٢) الخارجي ، حين [كان] صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثُمير :
 حَسِبْتَ ثُمِيرًا يَا ابْنَ ثُرَوَانَ كَالْأُلَى لَقَيْتَهُم بِالْأَمْسِ : ذُهْلًا وَيَشْكُرًا^(٣)
 كما ظَنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي
 جَمِيعِ الْكَوَى ، جَهْلًا ، فِرَاحًا وَأَطِيرًا^(٤)
 فَأَدْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرُهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)
 أراد قول رؤبة :
 كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَقِ الْأَسْوَدَا
 لَوْ مَسَّ حَرْفُ حَجَرٍ تَقْصَّدَا^(٦) . بِالشَّمِّ لَا بِالسِّمِّ مِنْهُ قَصْدَا^(٧)
 فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وهذا لا يقوله مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارًا^(٨)
 سُمُّ الْحَيَاتِ .

-
- (١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو صحنان » ، محرف .
 (٢) في الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .
 (٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قبيلتان .
 (٤) الكوى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الخرق فى الحائط .
 (٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .
 (٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال لا وجه له هنا .
 (٧) كذا فى ط ، هـ فىكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى س : « أقصدا » ، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .
 (٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى فى الصناعيتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنبرة :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدَى بِنَا مَعًا نَزَائِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا^(١)
عَوَالِي سُمُرٍ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيرِ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا^(٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي ﷺ : « اتَّقُوا ذَا الطَّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ » .
شَبَّهَ الْخَيْطَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَوْصِ الْمَقْلِ^(٣) وَأَنْشَدَتْ لِأَبِي ذُوَيْبٍ :
عَفَتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَا يَأْ أُبَيْنُهُ وَأَقْطَاعَ طُفْيٍ قَدَعَفَتْ فِي الْمَعَاقِلِ^(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بخوافرها . نزائلكم ، أى لا نزائلكم .
فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكرو يوسف »
أى لا تفتؤ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧)
والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبخته .
انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رموس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبخونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبخه ، حتى
إنه لينبج السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكمال ١٧٥ ليسك : « عوالى زرقا »
فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ،
فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبهتان من قصيدة لعنبرة يقولها فى يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبني عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :
ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخيام أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كيجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل -

والطُّفَى^(١) : خوص المقل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المِرْأَةِ الهِفَاءِ الحَمِيصَةِ البَطْنِ ، ببطن الحَيَّةِ . وهي^(٢)

الأيمن . وقال العجَّاج :

* وَبَطْنَ أَيْمٍ وَقَوَامًا عُسْلَجًا^(٣) *

(مناقضة شعرية)

وقال أَدَهْمُ بْنُ أَبِي الزَّعْرَاءِ^(٤) ، وشبَّه نفسه بِحَيَّةٍ :

١٠٢ وما أَسْوَدُ بالبأسِ تَرْتَاحُ نَفْسُهُ إِذَا حَلَبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرَقُ لِلْحِسِّ

بِهِ نَقْطُ حَمْرٍ وَسَوْدٌ كَأَنَّمَا تَنْضَحُ نَضْحًا بِالكُحَيْلِ وَبِالْوَرَسِ^(٥)

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طفى) ومعجم البلدان (المنتضى) . ويرى أيضا : « فى المناقل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضا على طفى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطوى من رقية الراقي

أى ذوات الطوى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسليج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثى ويميل .

(٤) أدهم بن أبي الزعرار الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياذ فى أوصاف الحيات ،

كما ذكر ذلك الآمدي فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة .

وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنهب ، التى كانت فى أيام مروان

ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط :

« أدهم بن أبي الزيمرى » و س : « أدهم بن أبي الزيمرى » . و ه : « ابن

أبي الزيمرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطل به الإبل ، وهو أسود اللون .

والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أَصَمُّ قَطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلِطَ الدَّمَسِ (١)
 له مَنْزَلٌ ، أَنْفُ ابْنِ قِثْرَةَ يَغْتَنِذِي بِهِ السَّمَّ ، لَمْ يَظْهَرْ نَهَارًا إِلَى الشَّمْسِ (٢)
 يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَزَلُّ الْعُقَابُ عَنْ نَفَائِفِهَا الْمَلَسِ (٣)
 بِأَجْرًا مَنِيَّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقَدِّمًا (٤) إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْلَيْسَتْ لَهَا لَيْسَى (٥)
 فَأَجَابَهُ عَنَتَرَةُ الطَّائِي (٦) ، فَقَالَ :

عَسَاكَ تَمْنَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمَ يُسْقَى السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطَفٍ (٧)

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سبه من كثرت ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ١٨) منسوباً إلى تابط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرسم *

(٢) ابن قثرة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قثرة » س : « ابن قثرة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتنى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشوايق : الجبال العالية . والنفائف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقديماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، هـ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنتره بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنتره بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآدمى فى المؤلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآق من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنتره الصابى » وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يتذكر لك ، منى الله له الشئ . قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات للراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعّل ، قال للتبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعّل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنتره :

أترجو حياة يا ابن بشر بن مُسهرٍ وقد علقَت رجلاك في ناب أسودا
أصمَّ جبالي^(١) إذا عضَّ عضَّةً تزايلَ عنه جلدهُ فتبدَّدا^(٢)
يسلَعُ صفًا لم يبدُ للشمس قبلها إذا ما رآه صاحب اليمِّ أرعدا^(٣)
له رِبْقَةٌ في عنقه مِنْ قيصِه وسائرُه عن مَتْنِه قد تَقَدَّدا^(٤)
رَقُودِ ضُحَيَّاتٍ ، كأنَّ لِسَانَه إذا سمِعَ الإِجْرَاسَ مِكَحَالَ أَرَمَدَا^(٥)
يُفِيْتُ النُّفُوسَ قبل أن يقع الرُّقَى وإن أبرق الحاوي عليه وأرعدا^(٦)

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتربدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الرِبْقَةُ ، بالكسر : الجبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظاهر .

(٥) يقول : هو ينام في الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ في الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح . وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإِجْرَاس » بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال في دقته ، وفي سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريق ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية في ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميته موت الفجأة . و « يقع الرق » كذا في الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ ^(١) وَلَا يَجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ يَنْبُو، مِنَ الْيُبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ^(٢)
لَوْ سَرَّحْتَ بِالْتَدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاةُ لَهَا وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِرُوا ^(٤)
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا نَسْكَزًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ^(٥)

= « يسمع الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .

(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .

(٢) ربداء : من الربداء ، وهى الغبرة . شابكة : مشبكة . س ، هـ : « شائكة »
وانظر ما سبق في ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر
فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه في
ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها التدى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من
جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقي .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : « فاناوا » ، صوابه في ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد في ذنبه
كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التماسح : Varanus
والبادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان
(قصد) وما سبق في ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه
ما أثبت . والنكر : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في الظلم

فمما فيه من الأعاجيب أنه يعتدى الصَّخْرَ ، ويتلج الحِجَارَةَ ، ويعمِد إلى المَرُوءِ ، [والمرؤ] من الحجارة التي توصف بالملاسة ؛ ويتلج الحصى ، والحصى أصْلَبُ من الصَّخْرِ ، ثُمَّ يُجْمِعُهُ وَيُذِيبُهُ فِي قَانَصَتِهِ ^(١) ، حَتَّى يَجْعَلَهُ كَالْمَاءِ الْجَارِي . وَيَقْصِدُ إِلَيْهِ وَهُوَ وَاثِقٌ بِاسْتِمْرَائِهِ وَهَضْمِهِ ، وَأَنَّهُ لَهُ غِذَاءٌ وَقِوَامٌ . وَفِي ذَلِكَ أَعْجُوبَتَانِ : إِحْدَاهُمَا التَّغْذَى بِمَا لَا يُتَغَذَّى ^(٢) بِهِ . وَالْأُخْرَى : اسْتِمْرَاؤُهُ وَهَضْمُهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَوْ أُلْقِيَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ طَبَخَ أَبَدًا مَا انْحَلَّ وَلَا لَانَ . وَالْحِجَارَةُ هُوَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ فِي الشَّدَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* حَتَّى يَلِينُ لِضُرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ *

وقال آخر ^(٣) :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ أَلْفَيْ حَجَرٍ تَنْبُوُ الْخَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلُومٌ ^(٤)
ووصف الله قلوب قوم ^(٥) بالشَّدة والقسوة ، فقال : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال في التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ^(٦)

(١) في الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله في س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبي مقبل ، كما في ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغني ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف في هذه الآية في النسخ الثلاث . ففي ط : « النار » وفي س ،

هـ : « نار » . وهذه الآية هي السادسة من سورة التحريم : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » . وفي سورة البقرة أيضاً : « فَإِنْ لَمْ

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » .

بِالْآيَةِ ٢٤ .

لأنه حين حذر الناس أعلمهم أنه يُلقَى العصاة في نارٍ تأكلُ الحجارة .
ومن الحجارة ما يتخذها الصفارون^(١) علاء^(٢) دون الحديد ؛ لأنه
أصبرُ على دقِّ عظام المطارق والفطيسات^(٣) .
فجوفُ النعامة يُذيب هذا الجوهر الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مرتَّعه أبو ثلاثين أمسى وهو منقلبٌ^(٤)
شخت الجزيرة مثل البيتِ سائرُهُ من المسوحِ خَدْبٌ شوقبُ خشبٍ^(٥)

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو
الأصفر . ط ، هـ : « الصائغون » ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما في ط ، هـ .
(٢) العلاء ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : « الفطيسات » س :
« العظيسات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب :
الظلم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء
مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان
(سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة
ص ٢٨ كبرذج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فا
فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطننا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ،
فهو حينئذ ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده
فى الحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته .
منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى
والديوان . ط : « مرتعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو
منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزيرة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزيرة ، كالعالة أجر
العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَانَ رَجْلِيهِ مِسْمَا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ (١)

أَلْهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرُوءِ ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ (٢)

وقال أبو النجّم :

وَالْمَرُوءُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ (٣) فِي سَرَطِمٍ مَادَّ عَلَى التَّوَائِهِ (٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كان جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والحدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه في س ، هـ والديوان والاكامل ٤٤٩ ليسك .

(١) المسالك : عود يكون في الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلوا . صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجليه كالمسكين الطويلين الخشنين . وفي الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه في س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . في الأصل : « والمرء » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . في الأصل : « سرطه » ، وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلعوم : مال واضطرب . في الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يستترك بها الرجز لما سيأتى في البيت بعده . وفي عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظليم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ ^(١) تَمْعَجَ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ ^(٢)
 * هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوْصَلَانِهِ *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظِّلِمِ إِنَّمَا يُذِيبُ ^(٤) الْحِجَارَةَ بَقِيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ
 أَخْطَأَ . وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ مَقْدَارٍ لِلْحَرَارَةِ [^(٥) وَ] نَحْوِ غَرَاوِزٍ أُخْرَى ، وَخَاصِّيَّاتٍ
 أُخْرَى . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالَى ، لَا تَذُوبُ .

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وَسَادُّكَ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْخَاصِّيَّاتِ وَالْمَقَابِلَاتِ وَالْغَرَاوِزِ حَقٌّ . أَلَا
 تَرَى أَنَّ جَوْفَ الْكَلْبِ وَالذِّبِّ يَذِيبَانِ الْعِظَامَ وَلَا يَذِيبَانِ نَوَى التَّمْرِ ،
 وَنَوَى التَّمْرِ أَرْخَى وَأَلْيَنُ وَأَضْعَفُ مِنَ الْعِظَامِ الْمُصَمَّمَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَهْضِمُ

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » ه :
 « يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت
 بما بعده . والعلاء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ،
 والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم
 العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جاده الذى يسلكه . والحية
 يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب
 فى جلدها قبل تمام انسلخه . فى الأصل : « عشا » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هادٍ بها فى
 آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » بحرفة . س : « حاد » .
 والأوفى ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلاته » : أى هو
 مهتد بحوصلاته ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلاته » .

(٤) ط ، ه : « تذيب » ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام .
والبراذين التي يُحِيلُ^(٢) أجوافها القَتَّ والتَّبنَ^(٣) رَوْنًا ، لا تستمرى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأَسنانِها على أغصانِ أمَّ غيلانَ ، وله شوكٌ كصياصي البقر^(٤) ، والقَضبانُ علكة^(٥) يابسة جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرُّها^(٦) وتجعلها ثَلْطًا^(٧) ولا تقوى على هضم الشعير المنقع . وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات .

وقد قدَّر كلُّ شيءٍ لشيءٍ . ولولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموس يهْرُبُ إلى الانغماس في الماء مرةً ومرةً يتلَطَّحُ بالطَّينَ ، ومرةً يجعله أهله ربيثَ الدكان^(٨) . ولو دفعوا إليك مسكَّةً شديدة المَثْنِ ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلُّفِ ، وإلاَّ يَبْغُضُ الاعتماد .

والذي سَخَّرَ جلدَ الجاموسِ حتَّى انفَرَى وانصدع لَطْعَةُ البعوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم ، جمعها بضع بالفتح ، وكعب ، وصحاف ، وتمرّات .

(٢) في الأصل : « يحل » .

(٣) القَت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف في مصر بالبرسيم . في الأصل : « أَلَقَت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصي البقر : قرونها ، مفردا صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرها » .

(٧) الثَلْط ، بالفتح ، البروث . س ، هـ : « ثلكا » صوابه في ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفي الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنساس .

وسخر^(١) جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخر الحجارة لجوف الظليم ،
والعظم لجوف الكلب - هو الذى سخر الصخر الصلب لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تلتقى ببعضها ، فإنها فى تلك الحال متى عمدت ذنبها فى ضاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصداعها من جهة الأسر^(٣) ، ومن قوة
الآلة^(٤) ، ومن الصدم^(٥) وقوة الغمز ، لانصدعت لما هو فى الحس أشد
وأقوى . ولكنه على جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الحلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبت
فى عمق الأرض ، وتلقاه الآجر والخزف الغليظ ، ثقب ذلك ، عند نباته
وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقر نصير .

وزعم لى ناس من أهل الأردن ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرقت
جوف القار^(٧) .

وزعم لى أبو عتاب الجرار^(٨) ، أنه سمع الأكرة يخبرون أنهم وجدوه
قد خرقت فلساً^(٩) بصرياً .

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، ه .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، ه : « ضاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، ه : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزيت . ط : « القار » س : « نمار » كذا . صوابهما فى ه .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، ه . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب

استاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد قلع

فلساً بصرياً » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملاقة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقطُ في حانوت الصَّيقل^(١) فتذيب السيوفَ بطبعها^(٢) ، وتدع الأغمادَ على شبيهِ بحالها . وتسقطُ على الرَّجلِ ومعه الدراهمُ فتسبِك الدَّراهم ، ولا يصيبُ الرَّجلُ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصَّواعق^(٣) ، لا يدعون في صُحون^(٤) دُورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقُص من أصلِ مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المكان ، فإذا كان^(٥) الصُّفر لها صاحياً ، عدلتُ إليه عن سنِّها^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النوى^(٧) في ترابِ المتوضئ ، فإذا صُهرجَ نبت^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإن قُيرَ ، وجعلَ غِلْظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النوى حتى يخرج ذلك القار .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلأؤها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل ، « كائت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنِّها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضئ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه في س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خَرَقَهُ بِمَسَارٍ أَوْ سِكَّةٍ^(١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذى سَخَّرَ هذه الأمور القويَّة في مذهب الرأى وإحساس الناس ،
هو الذى سَخَّرَ القُمَّمُ ، والطَّيِّجَن ، والمرَجَل ، والطَّسْت ، لإبرة العقرب .
فما أحصى عدَدَ مَنْ أخبرني من^(٢) الحوَّاثين ، من أهل التَّجارب ، أنها ربَّما
خرجت من جُحرها في اللَّيْلِ لطلب الطَّعم^(٣) ، ولها نشاط وعُرام^(٤) ،
فتضرب كلَّ مالمقيت ولقيها : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح - واستشهد المثنى بن بشر ، وما كان
يحتاجُ خبره إلى شاهدٍ ؛ لصدقه - أنه سمع في داره نَقْرَةً وقعت على قُمَّمٍ
- وقد كان سمع بهذا الحديث - فنهض^(٥) نحو الصوت ، فإذا هو بعقربٍ
فتعاورها هو والمثنى بنعلهما^(٦) حتى قتلاها ، ثمَّ دَعَوَا بِمَاءٍ فصبَّاه في القُمَّمِ
في عَشِيَّتِهِمَا ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شيء .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرفْ بَدِيًّا^(٧) تعجُّبه إلى الشيء الذى

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة الخراث ط : «سلة» ، وأثبت ما في س ، ه .

(٢) في الأصل : «عن» .

(٣) ط ، ه : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والاشدة . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س : «غرام» وه : «عزام» .

(٥) ه : «فناهض» ، صوابه في ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، ه : «بنعلهما» وهو وجه جائز ، وأثبت ما في ط .

(٧) بديا : أى بدءا وأولا . وجاء في س : «بدا» .

تقذفه بفتحها^(١) العقرُبُ في بدن الإنسان والحُميرِ والبغال ، فليفكّر^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العسكر^(٣) أنهم وزنوا جرّارة^(٤) بعد أن ألسّعوها^(٥) فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلم قصّرت النارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصّرت الثلج عن مبلغ عمله ؟ ! فقد وجب الآن أن السمّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلّ ما ذكرنا على أن جوف النّعامِ ليس يُذيب الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنه لا بدّ على كلّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصّيات أخرَ ، ليست^(٦) بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلّا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « بدّها » س : « بدّها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « يفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرات : « وهى تكون بمسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميرى عند ذكر الجرات : « وهى عقارب صفار على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بمسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرات . وهى ضرب من العقارب صفار تجرر أذناها وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسّعوها : أى مكنوها من لع حيوان . ط ، هـ : « ألقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف : الحد . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

وتزعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة ، وأن كل شيء غريب خالط جوف حيوان قتله . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون غريباً إذا لاقى العصب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس يقتل إلا بالجنس ، وليس تحس النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت حسهما إنما يميته لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢) لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقبيل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمداً لم يجاوزا مكانهما - لكانا^(٣) ٦٠٦ من القوائل بالغرابة .

وهذا القول دعوى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء تلك الكتب على وجه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة بعد أمة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صحيحة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسته » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلَمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

باب آخر

وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعهُ الجمرِ حتى ينفذَ إلى جوفه ، فيكون جوفه هو العامل في إطفائه ، ولا يكون الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النُّظَّام - وكنا لانرتاب بحديثه إذا حكى عن سماعٍ أو عيان - أنه شهد محمد بن عبد الله ، يلقي الحجر في النار ، فإذا عاد كالجرم قذف به قدامه ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع الجمر . وكنتُ قلت له : إنَّ الجمرَ سخيْفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقي الرُّطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيءٌ يحولُ بينه وبين النَّسيمِ خمدَ ، والحجر أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقلُ ثِقَلًا ، وألزقُ لزوقاً وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميتَ الحجارةَ ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتبت به ، فلما ثنى وثلث اشتدَّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت أواقَ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعُ رطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت : هذا أعجبُ من الأول والثانى ، وقد بقيتُ علينا واحدة ، وهو أن ننظر : أيسْتَمِرُّ^(١) الحديدُ كما يستمرى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

(١) يستمرى : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخرق^(١) أن نَتَعَرَّفَ ذلك على الأيَّام . وكنتُ عَزَمْتُ على ذنبه وتفتيش جَوْفِهِ وقانصته ، فلعلَّ الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعضُ زُدمائه إلى سِكِّين فَأَحْمَى ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز أعلى حلقة حتى طلعَ طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِهِ ، ثم خَرَّ مَيِّتاً . فَمَنَعْنَا بَحْرَقِهِ من استقصاء ما أَرَدْنَا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفي النِّعامة أُنْهَلا طائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المنسَمِ [والوظيف^(٢)] والحرمة^(٣) ، والشَّقَّ الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجنَّاحين والذَّنْبِ وَالْمِنْقَارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطَّائر أُخْرِجَهَا وَنَقَلَهَا إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يُخْرِجَهَا ولم ينقلها إلى الولد^(٥) . وسماها أهل فارس : « أَشْتَرُ مُرْغ^(٦) » ، كما تهم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

(١) الخرق ، بالضم : الحق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستند الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .
(٣) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي كل أنف خرمات ثلاث ، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار ، والثالثة الوترية التي بين المنخرين . ط : « الخرامة » ، وهي بالسكسر : ما يوضع في خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ، هـ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككسب ، وبالسكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة في الأصل . ففي جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة « الطائر » في كل من ط ، هـ : « حذقها » ، وفي س : « حذفها » وهو تحريف جد مزلزل ، وقد هداى إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكسر : جمع والد بمعنى والدته . وفي اللسان : « وشاة والدته وولود : بيعة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، هـ : « الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة ونقل =

(شعر في شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا تَصِيرُ إِلَى الْخَبِيثِ مِنَ الْمَصِيرِ^(١)
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا تَعَاطُمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي^(٢)
فَإِنْ قِيلَ أَحْمَلِي قَالَتْ فَإِنِّي مِنَ الطَّيْرِ الْمُرَبَّةِ بِالْوُكُورِ^(٣)
ثُمَّ هَجَا خَالِدًا^(٤) فَقَالَ :

وَكُنْتَ لَدَى الْمَغِيرَةِ عَيْرَ سَوْءٍ تَصُولُ ، مِنَ الْخَافَةِ ، لِلزَّئِيرِ^(٥)

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله من يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشايه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايه عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاطمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الديرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاطمه » ، أى تعاطم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطمع الماء لما جد فى الهرب
والحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرة ، وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بالإلهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والمعير : الحمار الوحشى =

لأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعِلْجٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ ^(١)
 هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ؛ ثُمَّ بُلَّتَ عَلَى السَّرِيرِ ^(٢)
 وإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ فِي النَّعَامَةِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَلَ لِلرَّجُلِ
 إِذَا كَانَ يَمُنُّ بِعَتَلٍ فِي [كُلِّ] شَيْءٍ يَكْلِفُونَهُ بَعْلَةً ، وَإِنْ اخْتَلَفَ ذَلِكَ
 التَّكْلِيفُ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « إِنَّمَا أَنْتَ نَعَامَةٌ ، إِذَا قِيلَ لَهَا أَحْمِلِي قَالَتْ : أَنَا طَائِرٌ ،
 وَإِذَا قِيلَ لَهَا طَيْرِي قَالَتْ : أَنَا بَعِيرٌ » .

(قصة أذني النعامة)

وَتَزَعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ ، فَرَجَعَتْ مَقْطُوعَةً
 الْأَذْنَيْنِ ؛ فَلِذَلِكَ يَسْمُونَهُ « الظِّلِيمُ » ^(٤) ، وَيَصِفُونَهُ بِذَلِكَ .
 وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الْعِيَالِ ^(٥) الْهَذْلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالبعير ، إِذَا سَمِعَ زَيْرَ الْأَسَدِ دَفَعَتْهُ شِدَّةُ الْجَبَنِ وَالذَّعْرِ إِلَى
 أَنْ يَهَاجِمَ هُوَ الْأَسَدَ ، مِمَّا ضَاعَ مِنْ صَوَابِهِ وَطَارَ مِنْ رَشْدِهِ ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ
 طَبَاعِ الْبَعِيرِ . وَالْبَيْتُ مُحَرَّفٌ فِي الْأَصْلِ وَفِي الْبَيَانِ أَيْضاً . فَهُوَ فِي الْأَصْلِ :
 « عَبْدُ سَوْءٍ تَصُولُ مِنَ الْخِيفَةِ لِلزَّمِيرِ » ، وَفِي الْبَيَانِ : « تَبُولُ مِنَ الْخِيفَةِ لِلزَّمِيرِ » .
 وَصَوَاهِمَا مَا أَثْبَتَ .

(١) يُشِيرُ إِلَى الْمَغِيرَةِ وَكِبَارِ أَتْبَاعِهِ . وَلِلْمَرْزُبَانِيِّ حَدِيثٌ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَوْشِحِ ٢٣٥ .

(٢) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا الْبَيْتِ مَا سَبَقَ فِي (٢ : ٢٦٧ مِنْ ١٠) وَالْحَوَاشِي .

(٣) الظِّلِيمُ ، أَيْ الْمَظْلُومُ ، كَقَتِيلٍ وَجَرِيحٍ . وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي ٣٩٨ - ٣٩٩ . وَجَاءَ
 فِي هَذَا قَوْلُ بَشَّارٍ : كَمَا فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّاعِبِ (٢ : ٢٩٨) :

وَكُنْتُ كَالْهَيْقِ غَدَا يَبْتَغِي قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأَذْنَيْنِ

وَانْظُرْ مَعَ هَذَا التَّذْيِيلَ فِي آخِرِ الْجُزْءِ .

(٤) أَبُو الْعِيَالِ ، شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ هَذِيلٍ ، مُخَضَّرٌ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ،

وَأَسْلَمَ فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنْ هَذِيلٍ ، وَعَمِرَ إِلَى خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٦٧) .

الْجَمْعِيُّ : « كَانَ رَجُلَانِ مِنْ هَذِيلٍ يَسْكُنَانِ مِصْرَ — أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ بَدْرُ بْنُ عَامِرٍ
 وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْعِيَالِ بْنُ أَبِي غَثِيرٍ . فَبَيْنَا ابْنُ أَخٍ لِأَبِي الْعِيَالِ قَائِمٌ عِنْدَ قَوْمٍ =

- وإِخَال^(١) أَنْ أَخَاكَمْ وَعِتَابَهُ^(٢) إِذْ جَاءَكُمْ بَتْعُطْفٍ وَسُكُونٍ^(٣)
يُمْسِي إِذَا يُمْسِي بَيْطَنُ جَانِعٍ صَفْرٍ وَوَجْهِ سَاهِمٍ مَذْهُونٍ^(٤)
فَعْدَا يُمْتُ^(٥) وَلَا يَرَى فِي بَطْنِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مُوزُونٍ^(٦)
أَوْ كَالنَّعَامَةِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْتِهَا لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أَذِينٍ^(٧)
فَاجْتَثَتِ الْأُذْنَانِ مِنْهَا فَانْثَنَتْ صَلَمَاءُ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ^(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه . وقد قال بدر بن عامر يرى نفسه مما قيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ . وهذا الشعر الآتي هو المجاوبة الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

- (١) س : « وأخاك » ، صوابه في ط ، ه وبقية أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعناته » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفًا ساكنًا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .

- (٤) ط : « يمشي إذا يمشي » صوابه في س ، ه والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالي الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخضب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

- (٥) يمت : يرى على سحتته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمت » .

- (٦) مِثْقَال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مِثْقَال حبة خردل من طعام . وجعله موزونًا مبالغة منه وإظهارًا للمعنى .

- (٧) بغير أذنين : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

- (٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهبَ الغُرابُ يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ العُصْفُورِ^(١) ، فلم يتعلَّمْها ، ونسيَ مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يَحْجُلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ العُصْفُورِ^(٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادة ذاتُ قَفْزٍ ، ولا تمشي مِشْيَةَ الدِّبْكِ والصقْرِ والبازي ، ولكن تمشي مِشْيَةَ المقيّد أو المَحْجَلِ^(٣) [خِلْقَةُ^(٤)] .

قال أبو عمران الأعمى^(٥) ، في تحوّل قضاعة إلى قحطان^(٦)

(١) الشعر الذي رواه اللميري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشي مشيا فأصابه ضرب من العقاب
فأضل مشيته وأخطأ مشيا فلذلك سموه أبا المرقال

(٢) هي صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً . والأسير والأعراف : نقر العصفور ينقر نقراً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « المحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهي في أصلها : « خلقتة » .

(٥) كذا في ط ، هـ ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد كما في كتاب العققة والبررة لأبي عبيدة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاعة ، هو قضاعة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في اليمن . انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضع ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاعة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من اليمن ، فلما توفي والد قضاعة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتنبأ حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أي إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاعة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .

وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حير =

عَنْ نَزَارٍ (١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ فَفَارَقُوا إِلَّا خَلِيطَ فَلَا عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كَتَارَكَ يَوْمًا مِشِيَةً مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى فَفَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَحْجِلُ (٢)
(عظام النعمامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشِدَّةِ عُدُوها ، لا مَخَّ فيها .
وفى ذلك يقول الأَعْلَمُ الهذليُّ :

عَلَى حَتٍّ الْبُرَايَةِ (٣) زَنْخَرِيٍّ (٤) سَوَاعِدٍ (٥) ظَلَّ فِي شَرِّ طُيُوَالٍ (٦)
يعنى ظليماً شَبَّهَ [بِهِ (٦)] عَدُوَّ فَرَسِهِ . وَالْحَتُّ (٧) : السَّريْع . وَالشَّرِي :

= النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكيت يعاتب قضاة في انتسابهم إلى العيين :
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل : السبى يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن نزار » وليس
شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .
(٢) المشية ؛ بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضايقين بالظرف ، وهو
جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى »
أى لمشية أخرى . وانظر العقدة والبرة لأبي عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حَت ، بجاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حث » بالمثلثة ، وهو
وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حثت ، زخر ، برى) وحاسة البحترى
٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزخري : سيفره الجاحظ . س : « ذخري » ، صوابه بالزى كما أثبت .
(٥) تقرأ بالكسر ، جعاً لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جنى
« يريد أنهن إذا كن طوالاً سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لشرح بصره ،
وطابت نفسه ، فخفض علوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمثلثة . انظر التنبيه الثالث .

«الحنظل . وبرايته : قوته على ما يبريه من السير^(١) . والسواعد : مجارى مخّه
فى العظم وكذلك مجارى عروق الضرع ، يقال لها السواعد .

قال : ونظنّ أنمّا قيل لها ذلك لأنّ بعضها يسعد^(٢) بعضاً ؛ كأنّه من
«التعاون أو من المواساة^(٣) .

قال : والزّمخريّ : الأجوف . ويقال : إنّ قصب عظم الظليم لا مخّ
له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلّ المخّ فى هوائه^(٤) *

وواحد السواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخّ إلّا فى الجوّفة^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفى بعض عظامه مخّ يسير . وكذلك المخّ قليل فى عظام الخنازير ،
وليس فى بعضها منه شيء البتّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومن أعاجيبها أنّها مع عظم بيضها تكثر عدّد البيض ، ثمّ تضع
بيضها طويلاً حتّى لو مددت عليها خيطاً لما وجدت لها منه^(٦) خروجاً عن
الأخرى ، تعطى كلّ بيضة من ذلك قسطه . ثمّ هى مع ذلك ربّما تركت

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن «حت البراية» بمعنى منحت الريش

لما ينفض عنه عفاه من الربيع . والبراية : النحاة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفى ط ، ه : «يساعده» ، وأثبت ما فى س .

(٣) ط ، ه : «المساواة» ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاوٍ تفضل الطير فى خوائه *

(٥) أى العظام المجوّفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : «منها» .

بيضا ونهبت تلتمس الطعام ، فتجد بيض أخرى فتحضنه . وربما حضنت هذه بيض تلك ، وربما ضاع البيض بينهما .

وأما عدد بيضها وراثتها فقد قال ذو الرمة :

أذاك أم خاضب بالسبي مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب^(١)
وفي وضعها له طولا وعرضا على خطٍ وسطرٍ ، يقول^(٢) :

وَمَا بَيَضَاتُ ذِي لَبَدٍ هَجَفَ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٣)
وُضِعْنَ فَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعْ جَنِينَا^(٤)
يَبِيتُ يَحْفَهُنَّ بِمَرْفَقَيْهِ وَيَلْحَفُهُنَّ هَهَافًا ثَنِينَا^(٥)

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : « أخاك » . ه : « بالشي » ط : « بالسبي » . وكل ذلك محرف . س ، ه : « فهو منقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحر الباهل ، كما سيأتى في ص ٣٤١ والكامل ٢٥ ليسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى باللبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المن . ط ، ه : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » ، صوابه في ط ، ه والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال لتواحد والجمع . و « لم تقرع » هكذا جاءت في الأصل ، ورواية البرد : « قد وسقت » ، بمعنى حلت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك اللوم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصن وهم أيضاً في شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الآمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما هو في صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاء بالحاف . ههفاها ، يعنى به الجناح . ونحنينا : أى =

وقال الآخر (١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ فِي مِرَاقِهَا قُتِلَ صِلَابٌ مَيَاسِيرٌ مَعَاجِلُ (٢)
يَدَا مَهَاةٍ ، وَرَجُلَا خَاضِبٍ سَنَقِ كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولُ (٣)
هَيْقِ هِجَفٍ وَزِفَانِيَّةٍ مَرَطَى زَعْرَاءُ ، رِيشُ جَنَاحِهَا هَرَامِيلُ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها وتلحفهن هفهافا تخينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظلم . ورواية اللسان في مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقيهن » . وفي مادة (قفف) : « فقل يحفهن بقفقيهن » .
ووقفقا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشهاخ ، من قصيدة له في ديوانه ٧٧ - ٨٢ مطلعها :

بانئت سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر من عهدا طول

(٢) تهوى بها : أي تصرع . والضمير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعني أن أذرعها مشدودة بمرفقيها . وقتل : جمع أقتل وقتلاء ، بمعنى مندحجة شديدة . ط ، هـ : « ملزومات » ، س : « مكربات » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظلم احمرت ساقه . والسق : الذي أصابه السق واليشم من الشيع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يحنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل يجعل في لسانه عود لينمه من الرضاع . جعل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، مما شيع ، كالفصيل المخلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل تحريفاً كبيراً ، ففي الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود لها في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » هـ : « من حناه » صوابه في ط والديوان . س : « مخلول » صوابه في ط ، هـ والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفي الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما في التاموس (زفف) - السريعة . ط ، هـ : « زفانية » س : « زفانية » . محرفتان . وضبطت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في المخصص واللسان . (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والمخصص واللسان .

- كأَنَّمَا مُنْثَى أَقْصَاعِ مَا هَصَرَتْ مِنْ الْعِصَاءِ بَلِيَّتَيْهَا ثَالِثُ^(١)
 تَرَوْحًا مِنْ سَنَامِ الْعِرْقِ فَالتَّبَطَّا إِلَى الْقِنَانِ الَّتِي فِيهَا الْمَدَاخِيلُ^(٢)
 ١٠٩ إِذَا اسْتَهْلًا بِشَوْبُوبٍ فَقَدْ فَعَلَتْ بِمَا أَصَابًا مِنَ الْأَرْضِ الْأَفَاعِيلُ^(٣)
 فَصَادَفَا الْبَيْضَ قَدْ أَبَدَتْ مَنَاكِهَا مِنْهَا الرِّثَالُ ، لَهَا مِنْهَا سَرَائِيلُ^(٤)
 فَكَغَبَا يَنْقُفَانِ الْبَيْضَ عَنْ بَشَرٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ مَغْسُولُ^(٥)

(١) يقول : كَانَ رُمُوسٌ مَغَارِزُ الرِّيشِ الَّتِي هَصَرَتْ تِلْكَ النِّعَامَةَ وَزَعَتْهُ ، بِشُورٍ ظَاهِرَةٍ . وَاللَّيْتُ ، بِالْكَسْرِ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . فِي الْأَصْلِ : « مِنْ الْفَقَارِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَالْعَفَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الرِّيشُ . س : « بَلِيَّتَيْهَا » ه : « بَلِيَّتَيْهَا » هَذَا الْإِهْمَالُ . وَصَوَابُهُمَا فِي ط وَالدِّيَوَانِ .

(٢) تَرَوْحًا : أَيْ سَارًا فِي الرُّوْحِ . وَسَنَامُ الْعِرْقِ : أَعْلَاهُ . وَالْعِرْقُ ، بِالْكَسْرِ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ ، أَوْ الْحَبْلُ الرَّقِيقُ الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الرَّمْلِ . س : « الْعِرْفُ » بِالْفَاءِ ، وَهُوَ بِالضَّمِّ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ . وَأَثْبِتْ مَا فِي ط ، ه وَالدِّيَوَانِ . وَالتَّبَطَّا : تَوَجَّهَا . وَالْقِنَانُ : جَمْعُ قَنَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ الْجَبَلُ السَّهْلُ الْمُسْتَوِيُّ الْمُنْبَسِطُ عَلَى الْأَرْضِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْفَقَارُ » وَأَثْبِتْ مَا فِي الدِّيَوَانِ . وَالْمَدَاخِيلُ : الْمَدَاخِلُ ، وَعَنِ يَمِينِهَا الْمَدَاخِلُ الَّتِي تَحْتَ الْجُرْفِ ، الَّتِي تَسْمَى الدِّحَالُ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « الْمَدَاخِيلُ » بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٣) أَيْ إِذَا اشْتَدَّ فِي الْجَرَى بِدَفْعَةٍ مِنْهُ فَإِنَّهَا يَخْدُدَانِ الْأَرْضَ بِمَنَاكِهِنَّ . وَأَصْلُ الْاسْتِهْلَالِ شِدَّةُ انْصِبَابِ الْمَطَرِ . وَالشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنْهُ . فِي الْأَصْلِ : « إِذَا اسْتَهْلَ بِمَا أَصَابَ » وَصَوَابُهُ مَا أَثْبِتَ مُوَافَقًا لِمَا فِي الدِّيَوَانِ .

(٤) أَيْ وَجَدَا الْبَيْضَ وَقَدْ أَخْرَجَتْ مِنْهُ الْفَرَاحُ الصَّغَارُ مَنَاكِهَا ، وَقَدْ عَلَاهُنْ بَعْضُ قَشَرِ الْبَيْضِ وَمَائِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهَا كَالسَّرَائِيلِ . فِي الْأَصْلِ : « فَصَادَفَا » وَصَوَابُهُ مَا أَثْبِتَ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَفِي الدِّيَوَانِ أَيْضًا : « مِنْهَا الرِّثَالُ لَهَا مِنْهُ » وَهِيَ وَجْهَانِ جَائِزَانِ ؛ إِذْ أَنَّ كُلَّ جَمْعٍ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِهَاءٌ نَحْوُ بَقَرٍ وَبَقْرَةٍ ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ . الْمَصْبَاحُ ص ٩٦٨ وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ . وَلَا بَيْنَ سَيِّدِهِ تَفْصِيلٍ طَيِّبٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى . الْمُخْتَصَصُ (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يَقُولُ : مَا لَا إِلَى ذَلِكَ الْبَيْضِ يَنْزَعَانِ قَشَرُهُ عَنْ بَشَرِ تِلْكَ الْفَرَاحِ ، وَكَأَنَّ بَشَرَهَا وَرَقٌ ذَلِكَ النَّبْتُ حِينَ يَغْسَلُ . مَكَانُ « عَنْ بَشَرٍ » فِي ط : « أَعْيِنَهَا » وَفِي س : « عَنْ » فَقَطْ ، وَفِي ه : « عَنْهَا » وَتَصْحِيحُهُ وَإِكْمَالُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَالْبَشَرُ : جَمْعُ بَشَرَةٍ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ ، كَمَا فِي التَّنْظِيهِ السَّابِقِ . وَالْبَسْبَاسُ : نَبْتُ لَهُ أَوْرَاقٌ مِتْرَاكَةٌ شَقْرٌ . تَذَكُّرَةٌ دَاوُدَ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُعراء يشبّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بِمَنْزِلِ الْعَظِيمِ وَأَشْبَاهِهِ
من الأجواد ، بالنعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مِيَادَةَ^(١) :

وقلت لها لانهجلى كذلك تقرى الشوك مالم تردد^(٢)

إلى جامع^(٣) مثل النعامة يلتقى عوازيه^(٤) فوق

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثل النعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد :

نتاج العشار المنقيبات إذا شئت^(٥) روابدُها مثلُ النعامِ العواطفِ^(٦)

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء
الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تردد » . وفى هذا البيت والذى بعده
نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة
وجماع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة .
وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، هـ : « عوازيه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيبات : ذوات الشحم . والتقى ، بالكسر :
الشحم . وشئت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيبات شئت » ، هـ : « العشار إذا شئت »
س : « العشار إذا تثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد غنى بهن القدور المقيمة على النار .
والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال (١) الفرزدق (٢) :

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت (٣) بأجدال حُشب زال عنها هشيمها (٤)

(الذئب والنعامة)

وضحك أبو كلدة (٥) حين أنشد شعر ابن النطاح (٦) ، وهو قوله :

* والذئب يلعب بالنعامة الشارد *

قال : وكيف يلعب بالنعامة والذئب لا يعرض لبيض النعامة وفراخه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقية إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يُعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقوَ عليه . قال : فكيف يقول :

(١) قبل هذا في هـ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحش القدر وأحش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحشمت » ، صوابه في س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجدال : جمع جدل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجدال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرتضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الحشب وأبقاه ناراً . والحشيم : المتشهم . ط : « هيشما » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت ما في سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

* والدَّثْبُ يلعبُ بالنَّعامِ الشَّاردِ *

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعامتين اعتورتا ذئباً فهزمتاه^(١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ،
هنقره أحدهما ، فتناول الذئب رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر
فساوره فهزمه .

(جبن الظليم ونفاره)

والظليم يُوصف بالجبين ، ويوصف بالنفار والتوحش .

وقال سهم بن حنظلة^(٢) ، في هجائه بني عامر :

إذا ما رأيت بني عامرٍ رأيتَ جفَاءً ونوكاً كثيراً^(٣)
نعامٌ تجرُّ بأعناقها ويمنعها نوكها أن تطيرا^(٤)

(ضرر النعامة)

والنعامة تتخذها الناس في الدور^(٥) ، وضررها شديد ، لأنها ربما
رأت في أذن الجارية أو الصبيّة قرطاً فيه حجرٌ ، أو حبة لؤلؤ ، فتخطفه

(١) اعتورتاه : تداولته . ه : « فهرتناه » .

(٢) في الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان — صوابه حلوان — بن خويلد
ابن حرمان — كذا — الغنوى . قال المرزباني : شاعر شامى مخضرم » . وذكره
صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفي عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية في عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ في الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرقتها ! وربما رأيت ذلك في لبّة^(١) الصبي أو الصبيّة .
فتضر به بمنقارها ، وربما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظلم)

ومما يشبه به الفرسُ ممّا في الظلم ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :
وخذُ أسيلُ كالمسنِّ وبركةُ كجوجو هَيِّقِ دُفُه قد تموراً^(٢)
وقال عَقْبَةُ بن سَابِقٍ^(٣) :
وله بركة كجوجو هَيِّقِ ولبانٌ مضرجٌ بالخضابِ^(٤)
وقال أبو دُوَادٍ^(٥) الإياديُّ :

(١) اللبّة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجوجو : الصدر أيضاً . والهيّيق : الذكر من النعام .
والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما
يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط
عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد
سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عقبه بن سابق الهزاني ، شاعر من شعراء الأصمعيّات (٦ - ٧) . وفي
الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء
الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء
الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ
بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره
بدم ما يسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣) :
(١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛
فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة
أبي دواد تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المجيدتين .

يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ^(١)
وقال آخر^(٢) :

كَانَ حَمَاتِهِ كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقٍ ظَلِيمٍ^(٣)
وقال أبو ذؤاد الإيادي :

كَالسَّيِّدِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلَّى تَقُولُ مُلْمَلَمٌ ضَرْبٌ^(٤)
لَأَمْ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَابِعاً مَا خَانَهُ عَقْبٌ^(٥)
يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَةً تَبَعَتْ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبٌ

القولُ فيما اشتقَّ له من البَيض اسم

قال العدبَسُ^(٦) الكِنَانِي : باضت البُهْمَى^(٧) : أى سقطت نِصَالُهَا^(٨)

(١) أشق : معنى ظليماً واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت في (١ : ٢٧٤) .

(٢) في (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بانضم : واحد الكراديس ، وهى رموس العظام . وفى الأصل : « نخل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شئ » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .
(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العدبس الكنانى : أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عدبس) ، أن العدبس رجل كنانى . وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً) ، « ومنه سمي العدبس الأعرابى الكنانى » . وفى الأصل : « العدبس » بالياء ، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٨) البهيمى ، كحبل : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكره داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبله البهيمى .

وباض الصَّيْف ، وباض القَيْظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأسديّ :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا ^(١) قَتَّى مِنْ عُيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسْلَمًا ^(٢)
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

رَكِبْتُ بَيْضَةَ الْبَيَاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحِسُّوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا ^(٣)
وقال الرَّاعِي ، يهجو ابنَ الرَّقَاعِ ^(٤) :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ
يَا ابْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا زَرَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أَنَا بَيْضَةُ الْبَلَدِ »
ومنه بَيْضَةُ الْإِسْلَامِ . وبَيْضَةُ الْقَبَّةِ : أَعْلَاهَا ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ ^(٥) .
والبَيْضُ : قِلَانِسُ الْحَدِيدِ .

(١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجيناً ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم في الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، ه .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصوامة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمي بذلك لدقة في رأسه .

وقال أبو حية النُميرى^(١) :

وصدَّ الغانياتُ البيضُ عني وما إن كان ذلك عن تَقَالِي^(٢) ١١١
رَأَيْنَ الشَّيْبَ بَاضَ عَلَى لِدَائِي^(٣) وَأَفْسَدَ مَا عَلَيَّ مِنَ الْجَمَالِ^(٤) !
وَبَيْضُ الْجُرْحِ وَالْخَرَجِ وَالْحَبْنِ^(٥) : الوعاء الذي يجمع فيه الصَّديد ،
إِذَا خَرَجَ بَرٌّ وَصَلَحَ .

وقد يُسمُّون ما في بطونِ إناثِ السَّمَكِ بَيْضاً ، وما في بطونِ الجرادِ
بيضاً ، وإن كانوا لَا يَرَوْنَ قِشْراً يَشْتَمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يَكُونُ لما
فيه حِضْناً^(٥) .

وَالْخِرْشَاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسلَخَ الحِيَّةَ يقال له
الخِرْشاء .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من
مُخَضَّرِي الدَّوْلَتَيْنِ ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكني
البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ،
ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغاني
١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النمرى » بحرف .

(٢) التَقَالَى : المبالغسة . هـ : « ثَقَالَى » مصحفة .

(٣) لدائى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحَبْن ، بالكسر : الدمل . ط : « الحَبْن » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
وصوابه في س ، هـ .

(٥) القَيْض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحَضْن ، بالكسر :
بمعنى ما يحيط بالشئ . وأصله من حَضَنَ الجبل ، وهو ما يطفئ به .

(شعر فى التشبيه بالببيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللّفاء ^(١) الحسناء بالببيضة :

أو بيضة فى الدّعص مكنونةٍ أو دُرّةٍ سيقَتْ إلى تاجرٍ ^(٢)
وقال فى ببيض الحديد :

كأنّ نعامَ الدّوّ بأصّ عليهم إذا شام يوماً للصّريخ المنددٍ ^(٣)
وقال الأعشى :

أَتَتْنَا مِنَ البطحاء يَبْرُقُ بَيْضُهَا وقد رُفِعَتْ نيرانها فاستقلت ^(٤)

(١) فى الأصل : « اللّفاء » ، وهى القصيرة الأنف الصغيرة. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللّفاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدّعص : مخبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جلّيت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » .

والبيت فى صفة كتيبة . جعل الببيض الذى يحمى رموس الرجال شيها بببيض النعام ؛ لكثرة . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللطليم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بلمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفى أو لصوت مند » ، وفى الأصل : « الممدد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل : « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) . ورواية الديوان : « أتهم » . س ، ه وحامسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « ييضا » صوابها فى ه وأملى وحامسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَاقُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ^(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تَقَيَّضَتِ البَيْضَةُ ، والإِنَاءُ ، والقارورة ، تَقَيُّضًا^(٢) : إذا انكسرت فِلَقًا . فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ^(٣) [فِلَقًا] وهي^(٤) متلازمة ، فهي مُنْقَاضَةٌ انْقِيَاضًا . وقَيْضُ البَيْضَةِ : قشرتها اليابسة . وغَرَقْتُهَا : القشرة الرقيقة التي بين اللحم وبين الصَّمِيمِ . قال : والصَّمِيمُ : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :

فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجلت
نحاسهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت
ومثله للأعشى في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :
لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازمة من الأعاجم في آذانها النطف
من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجرى مدامعها أكبادها وجلا بما ترى تجف
وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذي قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميداني (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمعمر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقأت البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقئة^(١) .

قال الرَّدَاد : غرقأت الدَّجاجة بيضا ، فالبيضة مُغْرَقَاة^(٢) . والخرشاء : القشرة الغليظة^(٣) من البيضة ، بعد أن تُثَقَّب فيخرج ما فيها من البلل ، وجماعها الخراشي ، غير مهموز .

قال : وقال رَدَاد : خرشاء الحية : سلخها حين تنسلخ^(٤) .
قال : وتغدى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبت على حلقه قلةٌ ، فتناولها فقصعها بإبهامه وسبَّابته ، ثم قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت ؟ ! فقال : بأبي أتم وأُمي ، ما بقي إلا خرشاؤها !

وقال المرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لَذَا كَمَا يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ^(٥)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي بَيْضِ الْحَدِيدِ^(٦) :

قال : ويقال في الحافر نزا^(٧) ينزو . وأما الظليم [فيقال^(٨)] قعا يقعو ،

١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الفرق » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقأت » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقأت الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما في س .

(٤) ط ، هـ : « يسليخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفصليات ٢٤٠ والمقصود والممدود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، هـ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتم بعد إلى شعر لدريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوُعُ قَوْعاً^(١) وقِياعاً ، وقَعاً يَقْعُو قَعَوًا . فهذا مايسوون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفَّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسَمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنعامِ .

وقال الراعي :

ورجل كرجل الأخدرى يُشِيلُها وَظِيفٌ على خُفِّ النّعامِ أروحُ^(٢)

وقال جران العود :

لها مثل أظفار العقاب ومنسَمُ أَرْجُ كظُنُوبِ النّعامِ أروحُ^(٣)

قال : والزَّاجِلُ^(٤) : ماء الظليم ؛ وهو كالسكراض من ماء الفحل . وأنشد لابنِ أحرمر^(٥) :

وما يبيضات ذى لبَدٍ هِجَفٌ سُقَيْنَ بزَاجِلٍ حَتَّى رَوِينَا^(٦)

وقال الطِّرِمَاح :

سَوْفَ تُذْنِيكِ مِنْ لَمِيسَ سَبْنَدَا ةٌ أَمَارَتِ بِالْبَوْلِ ماءَ الكِرَاضِ^(٧)

(١) كذا على الصواب في هـ . وفي ط : « قعيا » و س : « قيعا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستند الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كمخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعام . والأزج : المقوس . والظنوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحرمر » ، صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبنداء : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاء » وهما لغتان يقال بالتاء وبالذال . أمارت : أسالت . وماء السكراض : مائى جوفها =

وربما استعاروا المناسم : قال الشاعر :

توعدنى بالسُّجْن والآدَات^(١) إذا عَدَّتْ تأظبت أدات^(٢)

* تربط بالحبل أ كَبَرِ عَاتِ *

قال : ويقال لولد النعام : الرَّال ، والجمع رِثَال ورِثْلان ؛ وَحَفَّانٌ .

وَحَفَّانَةٌ للواحدة ، والجمع حَفَّان ؛ وَحِسْكَل . ويقالُ : هذا خَيْطُ نَعَامٍ

وخيْطَان^(٣) . وقال الأسود بن يَعمُر^(٤) .

وكانَ مرجعهم مَنَاقِفُ حَنْظَلٍ لِعِبِ الرِّثَالُ بهاوَ خَيْطِ نَعَامٍ^(٥)

ويقال : قَطِيعٌ من نَعَامٍ ، ورَعْلَةٌ من نَعَامٍ .

= من ماء الفحل . س ، هـ : « سوف ينيك » ، وأثبت ماني ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في هـ والديوان . والبيت من قصيدة للطرماح ، مظهرها :

قل في شط نهروان اغتاضى ودعاني هوى العيون المراضى

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفي ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكرر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وكان ينادم

النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه في أعاشي

العرب : أعشى بنى نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس

سمعت روبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر »

صوابه في س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مربعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج

حبه المسمى بالهبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعْلَةُ : الفِطْعة من النَّعَام . والسَّرْب من الظُّبَاءِ
والقَطَا . والإِجْل (١) من الظَّلْف .

وقال طَفِيلُ الغَنَوِيِّ في بيضة الحَيِّ (٢) وما أشبه ذلك :

ضَوَابِعُ تَنْوِي بَيِضَةَ الحَيِّ بعدما أذاعتْ بَرِيْعَانِ السَّوَامِ المعزْبِ (٣)

قال : ويقال : للظلم إذا رعى في هذا النبات ساعة وفي هذا ساعة :
قد عَقَّبَ يَعْقُبُ تعقيباً (٤) . وأنشدني لذي الرِّمَّة :

أَهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَانِحِ المَرْوِ والمَرْعى لَهُ عَقْبٌ (٥)

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتين بالرأس : أصمِع ؛
وامرأة صَمْعَاء . ويقال : خَرَجَ السَّهْمُ متصمِّعاً (٦) : إذا ابتَلَّتْ قُدْذُهُ (٧) ١١٣

(١) الإِجْل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه في ط ، ه .

(٢) في الأصل : « الحلي » ، صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) ضَوَابِعُ : تمد أضعابها في سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوائغ »
ه : « صوائغ » صوابها من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، ه :
« تنبى » س « تنبى » صوابها من الديوان . وفي الأصل : « الحل » موضع
« الحلي » تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحلي : معظمهم »
أذاعت : فرقت . وريعان كل شيء : أوله . « والسوام ، كسحاب : ما يصرح من
إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزَّب
عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » ه : « السقام المغرب » ،
تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « غضب يعضب تعضيياً » صوابه في س ، ه .

(٥) سبق شرح هذا البيت في ٣١٢ . ط ، ه : « آ . آ » بالتكرار . صوابه
في س .

(٦) ط : « أصمِع » ه : « صمعاء » س : « صمعا » صوابه ما أثبت من القاموس
واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .

(٧) قُدْذُ السَّهْمِ : جمع قُدْذٍ بالضم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضمت . وقال أبو ذؤيب :

* سَهْمًا فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعٌ ^(١) *

ويقال : أتانَا بِرِيْدَةٍ مُصَمَّعَةٍ ^(٢) : إِذَا دَقَّقَهَا ^(٣) وَحَدَّدَ رَأْسَهَا :

وصومعة الرَّاهِبِ منه ؛ لِأَنَّهَا دَقِيقَةُ الرَّأْسِ . وَفُلَانٌ أَصَمَعَ الْقَلْبَ : إِذَا كَانَ

ذَكِيًّا حَدِيدًا [مَاضِيًّا] . وَقَالَ طَرْفَةُ :

لِعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ عَوَاطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظَبْيٌ مُصَمِّعٌ ^(٤)

أَرَادَ : مَاضِيًّا .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد ^(٥) :

(١) عجز بيت في صفة صائِد رى أتانَا بِسَهْمٍ فَنَفَذَ فِيهَا بَرِيْشَهُ ثُمَّ سَقَطَ . وَصَدْرُهُ :

* فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نَحْوِصٍ عَاطِطٍ *

فِي الْأَصْلِ : « رِيْشَةٌ » ، وَصَوَابُهُ مِنَ اللَّسَانِ (مَصْع) وَدِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ٨) ،
وَالْمُفَضَّلِيَّاتُ ٤٢٥ حَيْثُ تَجِدُ الْقَصِيدَةَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مُتَصَمِّعَةٌ » صَوَابُهُ مِنَ اللَّسَانِ وَالْقَامُوسُ . وَيُقَالُ أَيْضًا :
« مَصُومَةٌ » كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « رَقَّتْهَا » بِالرَّاءِ . وَلَيْسَتْ مُرَادَةً ، وَالْمُرَادُ دَقَّةُ الرَّأْسِ . وَانْظُرِ
اللَّسَانَ وَالْقَامُوسَ (مَصْع) .

(٤) الْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ ثَلَاثَةِ قَالِهَا طَرْفَةُ ، فِي أَثْنَاءِ رَحْلَتِهِ الْمَشْهُورَةِ إِلَى عَامِلٍ عَمَرُو بْنِ هَنْدٍ
بِالْبَحْرَيْنِ ، وَكَانَ قَدْ سَنَحَتْ لَهُ فِي الطَّرِيقِ ظَبَاءٌ وَعُقَابٌ . انْظُرْ دِيَوَانَهُ ٩ - ١٠ .

وَالْعَوَاطِسُ : جَمْعُ عَاطِطٍ ، وَهُوَ مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنَ الظَّبَاءِ . وَرَوَايَةُ اللَّسَانِ (مَادَّةُ
عَطَسَ) : « عَوَاطِيسُ » : جَمْعُ عَاطُوسٍ ، وَهِيَ دَابَّةٌ يَتَشَامَمُ بِهَا . وَفِي مَادَّةِ

(مَصْع) : « عَوَاطِسُ » كَمَا هُنَا . وَالْمَصْعُ : بِكَسْرِ الْمِيمِ الْمَشْدُودَةِ : الذَّاهِبُ السَّرِيعُ
كَأَفْسَرِهِ الْجَاحِظُ . وَيُرْوَى : « مَصْعٌ » بِفَتْحِ الْمِيمِ الْمَشْدُودَةِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ

الْأَذْنَيْنِ . وَفِي الْأَصْلِ بَدَلُ : « وَرَمَى » : « وَفَى » تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنَ
اللَّسَانِ فِي مَوْضِعِيهِ وَالدِّيَوَانِ .

(٥) هَذِهِ السَّكْلَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ س . وَانْظُرْ لِبَيْضَةِ الْبَلَدِ مَاسِقِي (٢ : ٣٣٦) .

أَقْبَلْتُ تُوَضِّعُ بَكْرًا لَا خِطَامَ لَهَا حَسِبْتُ رَهْطَكَ عِنْدِي بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
ويشبهه عظام جهاجم الرءوس ببيض النعام . وقال الأعرج القيني^(٢) :

بَكَيْنَا بِالرَّمَا حِ غَدَاةَ طَرَقَ عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةِ كِرَامِ^(٣)
جَهَاجِمَ غُودِرَتْ بِحِمَامِ عَرَقَ كَأَنَّ فَرَاشَهَا بَيْضُ النِّعَامِ^(٤)
وقال مقاتل بن طلب^(٥) :

رَأَيْتُ سَحِيحًا فَاقَدَ اللَّهُ بَيْنَهَا تَذِيكَ بِأَيْدِيهَا وَتَأَنَّى أُيُورُهَا^(٦)
وقال السُّحَيْمِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ :

مُقَاتِلُ ، بَشَّرَهَا بِبَيْضِ نَعَامَةٍ وَإِنْ لَمْ تَبَشِّرْهَا فَأَنْتَ أَمِيرُهَا
وقال أبو الشَّيْصِ الْخَزَاعِيُّ^(٧) فِي بَيْضَةِ الْخَدَرِ :

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التي ولدت بطناً واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع في سيرها ، أى تعدو عدوا خفيفاً . وفي الأصل : « ترضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأعرج المعنى ، نسبة إلى معن طيىء . واسمه عدى بن عمرو .

ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تَرَكْتُ لِلشَّعْرِ وَاسْتَبَدَلْتُ مِنْهُ إِذَا دَاعَى صَلَاةَ الصُّبْحِ قَامَا

كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَوَدَعْتُ الْمَدَامَةَ وَالْتَدَامَا

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر في

البيان (١ : ٢٤٦) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، صوابه في ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلب^(٥) بن قيس بن عاصم ، كما في عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلبة ،

بالتحريك . انظر للقاموس واللسان . هـ : « كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضها . ورواية

عيون الأخبار : « وتعا » موضع : « وتأني » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن علي الخزاعي . وكان معاصراً =

وَأَبْرَزَ الْخِلْدُرُ مِنْ ثِنْيَيْهِ بَيْضَتَهُ وَأَعَجَلَ الرَّوْعُ نَصْلَ السَّيْفِ يُخْتَرَطُ^(١)
خَفْمٌ تَفْدِيكَ مِنَّا كُلُّ غَانِيَةٍ وَالشَّيْخُ يَفْدِيكَ وَالْوِلْدَانُ وَالشَّمْطُ^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كَأَنَّ فَلَاقَ الْهَامِ تَحْتَ سَيُوفِنَا خَذَارِيفُ بِيضُ عَجَلِ النِّقْفِ طَائِرُهُ^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخدر :

وَتَجُولُ بِيضَاتُ الْخِلْدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسُخُنَ فَضْلَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ^(٤)

وهو وما قبله يدلان^(٥) على أنهم لا يشبهون ببيض النعام إلا الأبقار .

قال الشاعر^(٦) :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفي في نكت الحميان ٢٥٧ وذكر أنه توفي سنة مائتين أو قبلها .

(١) اللثى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهي الحافى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف في كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه في ط ، هـ . يختلط : أى يستل من غمده . يقول : استعمل الخوف نصل السيف في حال اختراطه . في الأصل : « مختلط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشط وشطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهي القطعة . والهام : الرؤوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهي كل شئ مبعثر من شئ . س : « خذاريف » صوابه في ط ، هـ . ونقف الطائر البيضاء : ثقبها ليساعد الفرخ في الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رهوسن . وفي الأسميات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما في الخزاعة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيويه (١ : ٥٦) .

هَبَيْضُ أَفْقَنًا ^(١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةٌ بَيْضٌ ^(٢) كَالْحَبَاءِ الْمَقْوُضِ ^(٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرْمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ يَنْهَضُ ^(٤)
يعنى بِالْبَيْضِ بَيْضُ النَّعَامِ . وَسَمَاوَةُ الشَّيْءِ : شَخْصُهُ . لِأَنَّ الظِّلْمَ لَمَّا
رَأَاهُمْ فَزِعَ وَنَهَضَ . وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرُوقَةٌ ^(٥) . ١١٤

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي بَيْضِ النَّعَامِ :

تَرَاهُ إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَابِيبُ مِنْ بَيْضِ هَجَانٍ دَرَدَقُ ^(٦)
قَالَ : وَالصَّبَا وَالْجَنُوبُ تَهَيَّانِ فِي أَيَّامِ يُبْسِ الْبَقْلِ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط : « فَلَقْنَا » . وَفِي مَخَاضَاتِ الرَّاغِبِ : « كَشَفْنَا » وَرَوَايَةُ
الْقَتَالِ (٢ : ٢٩٤) : « رَفْنَا »

(٢) كَذَا . وَلَعَلَّهَا : « هَيْق » وَهُوَ الظِّلْمُ . وَرَوَايَةُ الْقَتَالِ : « جُون » بِمَعْنَى ظَلِيمٍ
أَسْوَدَ .

(٣) الْحَبَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْبَيْتُ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرِ . س ، هـ : « كَالْحَبَاءِ »
صَوَاهِبُهُمَا فِي ط ، وَالْمَخَاضَاتِ وَالْأُمَالِ . وَالْمَقْوُضُ : الْمَهْدُومُ . وَجَعَلَهُ كَذَلِكَ حِينَ
حَضَنَهُ لِلْبَيْضِ وَرَقُودِهِ عَلَيْهِ .

(٤) هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ : أَيْ يَهْجُمُ عَلَى الْبَيْضِ نَفْسُهُ وَيَلْقِيهَا حَاضِنًا لَهَا . وَقَدْ أَنْتَ الْبَيْضُ
هَذَا . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَيُوبِيُّهِ عَلَى إِعْمَالِ صِيغَةِ فَعُولٍ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« هَجُومٌ عَلَيْنَا » وَصَوَابُهُ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَرَوَى الْقَتَالُ وَسَيُوبِيُّهِ : « بِالشَّيْخِ »
مَكَانَ : « بِالشَّخْصِ » ، وَهِيَ بِمَعْنَى . وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ، لَفْتَانِ .

(٥) الْفَرُوقَةُ ، بِالْفَتْحِ : لِلْكَثِيرِ الْفَرْعُ ، يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . وَلَهُ نَظَائِرُ فِي
الْمَزْهَرِ (٢ : ١٣٤) وَانْظُرْ شَوَاهِدَ ذَلِكَ فِي اللِّسَانِ (فَرْق) . وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ
يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ « فَرُوقٌ » بِزَعِ الْمَاءِ . وَفِي أَصْلِ الْكِتَابِ : « رُوحُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ . « ذَرَفَتْ بِهِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ دِيوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٣٩٨ وَمِنْ الشَّرْحِ
الْآتِي لِلْجَاخِظِ . وَ « دَرَدَقٌ » صِفَةٌ لِكَلِمَةِ « غَرَابِيبُ » فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَالْبَيْتُ
مِنْ قَصِيدَةِ لَذَى الرُّمَّةِ ، أَوْهَا :

أَدَارًا بِجَزْوِي هَجْتَ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَأَاءَ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقَّقُ

وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

بِمَشْتَبِهِ الْأَرْبَاءِ يَرْمِي بَرَكْبَهُ يَبْسُ الْتَرَى نَائِي الْمَنَاهِلِ أَخُوقُ

يَتَقَبُّ النَّعَامُ فِيهِ الْبَيْضُ . يقول : درجت به رِثْلَانِ سَوْدٌ غَرَابِيبُ ، وهى
من بَيْضٍ هَجَأْنِ : أى بَيْضُ . والدَّرْدَقُ : الصَّغَارُ ، وهو من
صَغَرَ^(١) الرِّثْلَانِ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوف الغنوى^(٢) ، وذكر كيف يأخذون بيض النعام :
عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ جَرَمٍ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعَقَّرٍ أَغْنَى مِنَ الْخَنَسِ الْمُنَاحِرِ تَوَامٍ^(٤)

- (١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه :
يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالالف واللام » .
(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهل فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب الخيل .
ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المخبر الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .
(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت
بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت حدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم
والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون .
يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، ه :
« نبوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . ه :
« حمامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القائل :
« نُبُوحٌ مُقَامَةٌ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم
الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبلى عوازب ، لعز أربابها ، ترقى حيث شئت
لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر نارا سنة كاملة سوى
نار بيض نعام يصيبه راعيا فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معقر : مقتول يمرغ فى العفر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه
غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ،
والأماك . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
لضوؤك وصغر جسمه .

هذه إبلٌ راعٍ معزِبٍ^(١) صاحب بوادٍ^(٢) وبدوةٍ ، لا يأتي المحاضر والمياه حيث تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فيله لا ترى ناراً سوى نارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نار الصيد)

وهذه النارُ هي النارُ التي يُصطاد بها الظباء والرثلان وبيض النعام^(٤) لأن هذه كلها تعشى إذا رأت ناراً ، ويحدث لها فكرة فيها ونظر . والصبي الصغير كذلك . وأوّل ما يعاتب^(٥) الرضيع ، أوّل ما يناغي ، المصباح^(٦) . وقد يعترى مثل ذلك الأسد ، ويعترى الضفدع ؛ لأن الضفدع ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكّت . وهذه الأجناس قد تغتر^(٧) بالنار ، ويختال لهاها .

(١) هـ : « معرب » ، صوابه في ط ، س .

(٢) كتبت في الأصل بإثبات الياء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازي وراي وعي . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « النيران » بالثاء . صوابه بالنون كما في س .

(٤) تسمح الجاحظ في التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد ، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها بالنار . جاء في ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها » .

(٥) يعاتب ، من المعابطة ، وهي الملاعبة . وفي الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هي في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .

(٧) تغتر : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابطة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تغتر » ، صوابه في هـ .

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيوم المتراكمة ^(١) بأن عليها نعاماً . قال الشاعر ^(٢) :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ ^(٣)
وقال آخر :

خَلِيلٌ لَا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَيْعٌ
حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلَهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاةٍ صُدُوعٌ ^(٤)
بِمَنْتَصِكَ ^(٥) عَر ^(٦) النَّشَاصِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَقُوعٌ ^(٧)

(١) المتراكمة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المتراكمّة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما في اللسان (ربب) — عن الأصمعي — ومعجم الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي عبيد . ونسبه الحصري في زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا في شرح المفصليات ٢٤٨ (عن الأصمعي) إلى المازني . قلت : المازني الذي عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازني ، كما في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما في اللسان . وقله :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكِرَامَ فَاسْقِ وَجْوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
أَجَشْ مَلْثَاغِزِرِ السَّحَابِ هَزِيزِ الصَّلَاصِلِ وَالْأَزْمَلِ
تَكَرَّرْهُ خَضْخَضَاتِ الْجَنُوبِ وَتَفَرَّغْهُ هَزَةُ الشَّمَالِ

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .

والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفي الفطم في شطاه

صدوع » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاةٍ

صُدُوعٌ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاه . ووعى

العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه في الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك » وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكاً لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرَّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظَلٍّ^(١)
والنعائم في السماء^(٢) . والنعائم والنعامتان من آلات البئر^(٣) .
و [النعامة^(٤)] : بيت الصائد^(٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلي^(٦) :

- (١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، وربما استظل به وربما اعتلى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الثاني من الجبل . في الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبهه بلفظه قوله :
- لا شيء في ريدها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باقى
- و « مظل » هى فى الأصل « مضلل » وصوابه فى المخصص .
- (٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .
- (٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتي النعامتين . قلت :
- فقد يضم إلى النعامتين ثلاثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « المر » وقد كشفت سر هذا اللبس حيف بما أثبت .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) ط ، ه : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .
- (٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات فى زمن عمر . الأغاني (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزائن (١١ : ٤٠٠ . سلفية) .

وَذَاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ اللَّفَاسِ مُشْرِفَةٍ طَرِيقَهَا سَرِبٌ بِالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١)
 ١١٥ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَرَسِهَا إِلَّا نَعَامُهَا حَالَانِ مِنْهَزَمٌ مِنْهَا وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مَسْكَنُ النِّعَامِ)

وفى المثل : « مَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامِ »^(٣) ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَى تَسْكُنُ
 الْجِبَالَ وَلَا تُسَهِّلُ^(٤) ، وَالنِّعَامُ تَسْكُنُ السَّهْلَ وَلَا تَرْقَى فِي الْجِبَالِ . وَلِذَلِكَ
 قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

(١) الرِّيد : مَا شَخَصَ مِنَ الْجَبَلِ : ط . « وَذَاتِ فَرْنَدٍ » س ، هـ : « وَذَاتِ
 زَنْدٍ » صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنَ اللِّسَانِ ، وَأَنْظُرِ الْبَيْتَ السَّابِقَ . وَالزَّنَقُ ، بِالتَّخْرِيكِ :
 أَصْلُهُ أَسْلَةُ نَصْلِ السَّهْمِ . وَالْأَسْلَةُ : مُسْتَدَقُ النَّصْلِ . فَيَكُونُ قَدْ أَسْكَنَ النَّوْنَ
 لِنُضْرُورَةِ الشَّعْرِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ الرِّيدَ يَشْبَهُ حَدَّ النَّاسِ . ط ، هـ : « بَزْلَفٍ »
 س : « بَدْلَفٍ » . وَفِي اللِّسَانِ : « كَزَلَقِ الرَّخِ » . وَصَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أُثْبِتَ .
 وَأَمَّا كَلِمَةُ « الرَّخِ » فِي اللِّسَانِ فَصَوَابُهَا « الزَّجِ » . وَالْأَرْضُ الْمَشْرِفَةُ : الْعَالِيَةُ
 تَشْرَفُ عَلَى مَا حَوْلَهَا . وَالطَّرِيقُ الْمَرْبُ — كَسَكْتَفَ — : الَّذِي يَتَتَابَعُ فِيهِ
 النَّاسُ . فِي الْأَصْلِ : « طَوِيلُهَا » تَصْحِيحُهُ مِنَ اللِّسَانِ . وَالْمَجْبُوبُ : كَأَنَّهُ الْمَهْمَدُ
 مِنْ قَوْلِهِمْ : سَنَامٌ مَجْبُوبٌ ، أَيْ مَقْطُوعٌ . ط ، س : « مَجْنُوبٌ » صَوَابُهُ فِي هـ .
 وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ : « دَعْبُوبٌ » بَضْمُ الدَّالِ ، وَهُوَ الْمَذَلُّ الْوَاضِعُ الَّذِي يَسْلُكُهُ
 النَّاسُ

(٢) العَرَسُ ، بِالْفَتْحِ : حَائِطٌ يَجْعَلُ بَيْنَ حَائِطِي الْبَيْتِ الشَّتْوَى لَا يَبْلُغُ بِهِ أَقْصَاهُ ثُمَّ يَسْقُفُ
 لِيَكُونَ الْبَيْتُ أَدْفَأَ . وَالنِّعَامَةُ : الظِّلَّةُ . حَالَانِ أَيْ تِلْكَ النِّعَامَةُ لَهَا حَالَانِ فَبَعْضُ أَجْزَائِهَا
 مِنْهَزَمٌ أَيْ مُتَكَسِرٌ . تَقُولُ هَزَمْتَ الْقُرْبَةَ فَأَنْهَزَمَتْ : إِذَا غَزَزَتْهَا فَتَطَامَنْتَ . وَمَنْصُوبٌ :
 أَيْ قَائِمٌ . أَنْظُرْ مِثْلَ هَذَا الْبَيْتِ فِي حَوَاشِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ . فِي الْأَصْلِ : « مَصْبُوبٌ »
 وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ .

(٣) نَصُّ الْمَثَلِ فِي الْمِيدَانِ (١ : ١٢٦) وَكُنَايَاتُ الْجُرْجَانِ ١١٨ وَالْمِصْبَرِ : « تَكَلَّمَ
 فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامِ » . وَقَالُوا : أَيْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ . وَفِي اللِّسَانِ .
 « وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامَةِ ؟ ! » . وَالْأَرْوَى : جَمْعُ
 أَرْوِيَّةٍ ، أَوْ اسْمُ جَمْعٍ ، وَهِيَ أَنْثَى الْوَعُولِ .

(٤) أَسْهَلُ : نَزَلَ فِي السَّهْلِ مِنَ الْأَرْضِ .
 (٥) هُوَ مَهْلَهْلٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (ظَهَرَ ، كَدَسَ) أَوْ عَمِيدٌ بِنِ الْأَبْرَصِ ، كَمَا فِي مُخْتَصَرِ
 تَهْذِيبِ الْأَلْفَاظِ ١٧١ وَاللِّسَانِ (كَدَسَ) . وَالْبَيْتُ يَدُونُ نِسْبَةً فِي الْمُقَابِيصِ (كَدَسَ) .

وَحَيْلٍ تَكْرُدُسُ بِالْدَّارِ عَيْنَ كَمْشَى الوُعُولِ عَلَى الظَّاهِرَةِ (١)
وقال كثير :

يَهْدِي مَطَابِيَا كَالْحَنِيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَاطٍ أَغْبَرَ شَاخِصَ الْأُمَيَالِ (٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسَمًّا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بِرِثَالِ (٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتدلَّى من السحاب من قطع
الرباب :

(١) ط : « وتبلى » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والمختص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكردس : تمشى مشية المقيد . ط :
« يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صوابها من سادس الحيوان .
والرواية في المختص واللسان والمختصر : « تَكْرُدُسُ » أى تتكدس . والتكدس :
أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة :
أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه من المختص
واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كفى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسي فى نحوها . وانظر
الاستدراكات . ونباط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأيمال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو
المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشيء : علاه . س : « متسما » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعن تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهدى فوهدى » صوابها ما أثبت .
وناعق : هو من نعى الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هَلْ تَرى بَرَقاً على الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهُ (١)
 مِنْ ساقِطِ الأَكْثافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ به سَحَابُهُ (٢)
 مِثْلِ النِّعَامِ مُعَلَّقاً لَمَّا زَقَا ودنا رَبَابُهُ (٣)
 وقال وَشَبَّهَ نَاقَتَهُ (٤) بِالظَّلِيمِ :

وإذا أَطَافَ لِبَابِهِ بِسَدِيسِهِ (٥) وَمَسَافِراً وَلِجَابِهِ وَتَزَيَّدَا (٦)
 شَبَّهَتْهُ هِقْلاً يُبَارَى هِقْلاً رَبْدَاءُ فِي خَيْطِ نَقَانِقِ أَرْبَدَا (٧)

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » . فى قراءة الكسافى ، وكقوله :

يالىعة الله والأقوام كلهم والصالحين على سيمان من جار
 برقع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلا
 طيسى : أجأ وسلمى . وانجيايه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح
 الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتاً » . ط ، س : « انجيايه »
 تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكتاف : أى من سحاب ساقط النواحي . وفى الأصل : « مقساقط » .
 و « الأكتاف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين
 من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقاً ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من
 الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
 وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى ما لا يحس فقالوا : زقت
 البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت مافى س . ورواية الديوان :
 « لما دنا قرداً ربابيه » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيه » أو « جلّه » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثنى فهبَّ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شهبته صملا » . والصلل ،
 بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » .
 والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهير^(١) الظلم وأولاده ، حتى^(٢) شبه ناقته بالظلم :

كأننى وردنى والقربابَ وتمرقى على خاضبِ السَّاقينَ أرعنَ نِقْنَقِ^(٣)
 تَراعى به حبُّ الصَّحارَى وقد رأى سَماوةَ قَشْرَاءِ الوُظَيفَيْنِ عَوْهَقِ^(٤)
 تحنُّ إلى مثلِ الحبايرِ جُمِّمَ لَدَى سَكَنٍ مِنْ قَيْضِهَا المتفلِّقِ^(٥)
 تحطَّم عنها [قَيْضُهَا] عَنْ خَراطِمِ وعن حَدَقِ كالنَّبْخِ لم يتفلَّقِ^(٦)
 النَّبْخُ^(٧) : الجُدْرَى^(٨) .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س :
 « نيط » هـ : « نيط » تصحيحه من الديوان . والنقنق : جمع نقنق ونقنقة ،
 وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا »
 صفة لحيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . هـ والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان
 زهير ٢٤٥ أن زهيرا وكعبا اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقرباب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى :
 « والفتان » وهو غشاء الرحل . والفرق : ما يوضع فوق الرحل يقعد عليه الراكب . خاضب
 الساقين : عنى به ظليما احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغاني : و « تراخى » ، أى تطاول . ط ، هـ : « وقد أرى » . وأثبت
 مائى س ، والديوان والأغاني ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البيئة
 القشر ، وهو شدة الحرارة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف :
 مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » وهـ : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت .
 والعوهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيق » هـ : « عبق »
 محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغاني . والحباير : جمع
 حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجائمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث
 تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغاني . والقيض :
 قشر البيض .

(٦) التكلمة من الديوان والأغاني . وفى ط ، هـ : « خراطم أسيج » . والنبيخ : الجدرى .
 س ، ط : « كالمح » ، هـ : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغاني واللسان (نبيخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، هـ : « السيج » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ما أثبت .

(النعامة فرس خالد بن فضلة)

وكان اسمُ فرس خالد بن فضلة^(١) : « النعامة » . قال :

تَدَارَكَ إِرْخَاءُ « النَّعَامَةِ » حَذَرًا وَدُودَانٌ أَدَّتُهُ إِلَى مُكْبَلَا^(٢)

(تشبيهه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد^(٣) :

أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أُدِبَّ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسَامَنِي أَهْلِي^(٤)

رَهِينَةً قَعَرَ الْبَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِالْوِلْدَانِ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ^(٥)

(١) خالد بن فضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأصبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحشاء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه مأثبت ، كما في بلوغ الأرب . و « حنثراً » هي في الأصل : « جيداً » صوابه في بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : « أردته » صوابه مأثبت . وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصماليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورائي إن سالت الناس ، وتركت مخاطر التصمك ، أن يلحقني الكبر فأهون ويضجر مني أهلي ؟ ! فهو يحتاج للتصمك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « ويأس بي » ، هـ : « ويأس أهلي » ، صواب ذلك في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أمي ملازم لا يبرح . وهديج الشيخ في مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شَبَّهَ هَدَجَانَ ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيَّتِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وقال أبو الزَّحَفِ ^(٢) :

أشكو إليك ^(٣) وَجَعًا بِرُكْبَتِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مِشْيَتِي ^(٤)

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ الْهَيْقَتِ ^(٥) *

وقال آخر ، ولست أدري أيُّهما حَمَلَ عَلَى صاحبه :

أشكو إليك وَجَعًا بِمِرْفَقِي ^(٦) وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِي

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقْنَقِ *

ولم يفضحه إِلَّا قوله :

* أشكو إليك وجعاً بِمِرْفَقِي *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أَنَّ وجعه في المكان الذي يصيبُ الشُّيوخَ ، ووجع

المرفق مثلُ وجعِ الأذنِ ، وضربانِ الضَّرْسِ ، ليس من أوجاعِ الكِبَرِ

في شيء .

(١) في الأصل : « وشبهه بهذا أن » ، تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته في (٢ : ١٩٧) . وفي الأصل : « أبو المرفق » ،

محرقة . والرجز في الشعراء ٦٦٩ في ترجمة أبي الزحف . وقد نسب في نوادر

أبي زيد ٢٥٥ إلى (ابن عُلقَةَ التَّيْمِيّ) ، برواية أخرى . وأراه رجزاً آخر

اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة في أمالي القالي (١ : ١٨٩) . ونسب

في العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابي .

(٣) في العقد : « إلى الله » .

(٤) في الشعراء والنوادر والامالي : « من مشيتي » .

(٥) الحقيقة : النعامة الطويلة . وقد أراد : « الحقيقة » فصيهاه التأنيث تاء في المرور

عليها . في الأصل : « النقنق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان

(هنج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً .

وروي : « خلف » مكان « حول » في جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كنبه ومجلس : موصل الذراع في المضد .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميادة ، وذكر بني نعامة من بني أسد - وقد كان قطري
ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة^(١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ ببلدةٍ نَعَامَةٍ ، مِفْتَاحُ الْخَازِي وَبَابُهَا
وهجا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ رَجُلًا فَعَجَلَ الْبَيْضَةَ الْفَاسِدَةَ مِثْلًا لَهُ ، ثُمَّ الْحَقَّ
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكَرَامِهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِنَسْرٍ - فَقَالَ :
فَأَنَّنِي عَلَى رَغْمِ الْعَدُولِ لَنَازِلٌ بِحَيْثُ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرٍ^(٢)
أَيَا حَكَمِ السَّوَاءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعْ

فهل أَنْتَ إِنْ هَاجَيْتَ إِلَّا مِنْ الْخَضِرِ
وهل أَنْتَ إِلَّا بَيْضَةٌ مَاتَ فَرَّخُهَا ثَوَتْ فِي سُلُوكِ الطَّيْرِ فِي بِلَدٍ قَفْرٍ^(٤)
حَوَاهَا بَغَاثٌ : شَرُّ طَيْرٍ عَلِمْتُهَا وَسُلَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ عُقَابٍ وَلَا نَسْرِ^(٥)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهي نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجاءة فلقب بذلك . واسم قطري جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته في الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذاه فأتى برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة : « فقللوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي الحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الخضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ما سبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمات : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع ^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخف^٢
والمنسم^٣ ، والخرمة ^(٤) ، وغير ذلك .

قال عنتره :

تأوى له قُلُوصُ النِّعَامِ كما أوتَ حِزْقُ يَمَانِيَةٍ لأعْجَمَ طِمْطِمٍ ^(٥)
وقال شِمْاخ بن ضِرَار ^(٦) :

* قلوص نعام زفها قد تمورا ^(٧) *

(وصف الرئال)

ووصف لبيد الرئال فقال :

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخزيمة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم
وفي الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقة واللسان (قلص) . والقلوص
الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ — ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، هـ : « زحها » محرفة . وتمور :
سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فَأَضَحَتْ قَدْ خَلَتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزَفًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حَلَالٍ (١)
 ١١٧ وَخَيْطًا مِنْ خَوَاضِبِ مُؤَلَفَاتٍ كَأَنَّ رِثْلَهَا وَرَقُ الْإِفَالِ (٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رضى الله عنه (٣) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَكَ فِي قُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عريعر عراراً ، وعار يعار معارة وعراراً . ط : « غراراً » ، صوابه في س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفي الأصل : « عرفاً » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون ، يتجاوزون . ينمت تلك الديار بعد مارحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والسكر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مؤلفات » صوابه من الديوان . ورثلها : فراخها . والورق : جمع أورك ، وهو مالونه كلون الرمد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه ٤٠٧ - ٤٠٨ . وبعده :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام
 وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
 فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللثام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س ، هـ : « السيف » صوابهما مأثبات من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمال القتال (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشبهه هذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلَكَ من قريش كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الحيوان (١ : ١٤٦) ، ٢٣٥ : ٢) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنُّوا أنَّه أراد التبعيد ، فذكر
شيتين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانٌ لم يردَّ هذا ، وإنما أراد ضعفَ
نسبه في قريش ، وأنه حينَ وجدَ أدنى نسبٍ ^(١) انتحل ذلك النسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ - وذكرَ الفرسَ الذي يقال له : « النعامة » ، وهو
فرسُ الحارث بن عباد ، التي يقول فيها :

قرباً مربطَ النعامةِ مِنِّي لَقِحتَ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالٍ ^(٢)
وقولُ الفرزدقِ ^(٣) :

تُريكِ نجومَ الليلِ والشمسُ حَيَّةً ^(٤)

كرامُ ^(٥) بناتِ الحارثِ بنِ عبادٍ

نساءُ أبوهنَّ الأغرَّ ، ولم تَكُنْ من الحِتِّ في أجبالها وهَدَادٍ ^(٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حِيال ، أى بعد حِيال . والحِيال ، بالكسر : ألا تحمل الذاقة بولد . وقد قال
الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها في (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقول له لنوار زوجة ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :
تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت في الموشح ١٠٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :
« أرتك » في الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » في الديوان ١٥٩ . ويقول
لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها .
والمباراة مثل ، كما جاء في قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقسد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى في الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرzbاني كلام .
في هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحِت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزْد . ط : « من الأزْد في جاراتها ،
وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩ : ٩) =

أَبُوها الذي آوى النّعمة بعد ما أَبَتْ وَأَتَلَتْ في الحَرْبِ غَيْرَ تَمَادٍ (١)
وقد مدحوا بناتِ الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله (٢) :

جَاءُوا بِحَارِشَةِ الضَّبَابِ كَأَتَّهِمْ جَاءُوا بِبِنْتِ الحارثِ بن عُبَاد (٣)
ويلحق (٤) هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيْفُ (٥) ،
وباضَ القَيْظُ (٦) . وقال مضرّس :

بِلَمَاعَةٍ قَدْ بَاكَرَ الصَّيْفُ مَاءَهَا وَبَاضَتْ عَلَيْهَا شَمْسُهُ وَحَرَارُهُ (٧)

= لكن في س ، هـ : « من الحب في إحاطها » ، وتصحيح هذا التحريف من
الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النّعمة » إشارة إلى قوله : قربا مربوط
النّعمة . ط : « قاد النّعمة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية
الأغاني (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتمادى : اللّجاجة .
ووائل هو والد بكر وتغلب التّين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما
تحارب الأخرى .

(٢) في (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه في
نحر القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيدها . وقد عدت هذه
حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئا . انظر
تفصيل هذا الخلاف في (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثقل في
الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدأ هذا إلى نهاية بيت مضرّس سساقط من س . وربما دل هذا
على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ما سبق
في ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) في الأصل : وهو هنا ط ، هـ : « السيف » . وانظر ما سبق في ٣٣٦ .

(٦) في الأصل : « ومن باض القَيْظُ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلعب فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه في هـ ، واللسان
(حرر) . وفي اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والخراثر : جمع
حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية
اللسان : « فاضت » .

(ابن النعمامة ، فرس خُزَز بن لُوذَان)

وابن النعمامة : فرس خُزَز بن لُوذَان^(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين
أنكرت عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٌ إِنْ كُنْتُ سَائِلَتِي غَبُوقاً فَادْهَبِي^(٢)
إِنِّى لَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي^(٣) هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ^(٤)

(١) خُزَز بزايين وبوزن عمر ، ابن لُوذَان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خُزَز ، لُوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشمر الآتى إلى خُزَز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى حنْزرة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحامسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة (١٣٠ : ١) :

أرى أم سهيل ما تزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهيل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهري الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلاً غريبان من أمثلة الإغراء ، لكنه جاء مسموعاً كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحليلته زوجته . ط ، س : « خليل » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ^(١) إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي^(٢)
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِذْجَهُ^(٣) وَابْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي^(٤)

(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهذلي :

١١٨ وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرَّجَالُ بِرَيْدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَشَعٍ وَمَهْلَلٍ^(٥)
وقال ذو الإصبع العدواني :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخَالَفٌ لِي أَقْلَبِيهِ وَيَقْلِبُنِي^(٦)
أُزْرِي بَنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا فَخَالَانِي دُونَهُ بَلْ خِلَّتُهُ دُونِي^(٧)

= وأثبت مافي هـ والبيان واللسان (لب) . ورواية ابن الشجري في الحماسة :

« ظميتي » . والظمينة : المرأة . والغبار الساطع الذي تضي : هو مايتطاير من
جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمل : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حذف الخافض ، أي في أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ
مسبية ، فلذلك قال : تكحلي وتخضبي » .

(٢) أي يحملك الأعداء حين تسين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحديج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو
فرسي المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أحدها .

(٣) « وضع » هي في الأصل : « وقع » و « بريدها » هي في ط ، س « بريدها »
وفي هـ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ٣٥١ . و « يرفعن »
هي في الأصل : « يدفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أي أبغضه ويبغضني .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان
من قصيدة في المنفصليات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادِيُّ في ذكر الصَّيْدِ ، وَذَكَرَ فَرَسَهُ :

وَأَخَذْنَا بِهِ الضَّرَارَ وَقَلْنَا بِحَقِيرٍ بَنَانَهُ أَضْمَارُ^(١)
 غَاتَانَا يَسْعَى تَفَرُّشَ أُمِّ الْبَيْضِ شَدًّا وَقَدْ تَعَالَى النَّهَارُ^(٢)
 غَيْرَ جَعْفٍ^(٣) أَوَابِدٍ وَنَعَامٍ وَنَعَامٍ خِلَالِهَا أَثْوَارُ
 فِي حَوَالِ الْعُقَارِبِ^(٤) الْعَمْرِ فِيهَا حِينَ يَنْهَضُ^(٥) بِالصَّبَاحِ عَذَارُ
 ثُمَّ قَالَ :

يَتَسَكَّفُنْ مِنْ صَرَائِعِ سِتِّ قَسَمْتُ بَيْنَهُنَّ كَأْسُ عُقَارُ
 بَيْنَ رَبْدَاءَ كَالْمِظَلَّةِ أَفْقٍ وَظَلِيمٍ مَعَ الظَّلِيمِ حِمَارُ^(٦)
 وَمِهَاتِينَ حَرْبِينَ وَرِثَالٍ وَسَيُوبٍ كَأَنَّهُ أُوتَارُ^(٧)

(١) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ مُحَرَّفًا فِي الْأَصْلِ . س : « الْفَرَا » . هـ : « فَلَسْنَا » مَوْضِعُ

« وَقَلْنَا » . س : « بِحَقِيرٍ » مَوْضِعُ : « بِحَقِيرٍ » .

(٢) أُمُّ الْبَيْضِ ، عَنَى بِهَا النِّعَامَةُ . وَالتَّفَرُّشُ : أَنْ تَرْفُفَ بِجَنَاحِهَا . فِي الْأَصْلِ :
 « وَأَنَّى يَبْتَغَى تَفَرُّشَ » ، صَوَابُهُ فِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٥ وَاللَّسَانُ وَالْمَقَائِيسُ (فَرَشَ) .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلِ .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي س ، هـ : « فِي حَوَالِ الْقَارِبِ » ، مُحَرَّفَتَانِ .

(٥) س ، هـ : « يَنْهَضُ » .

(٦) رَبْدَاءُ : أَى نِعَامَةٍ رَمَادِيَةِ اللَّوْنِ . وَالْمِظَلَّةُ : بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، الْكَبِيرُ مِنَ الْأَخْبِيَةِ ،

وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ ص ٣١١ :

* شَخَتْ الْجَزَارَةَ مِثْلَ الْبَيْتِ سَائِرُهُ *

وَسَيُنْقَى مِثْلُهُ لِذِي الرِّمَّةِ ص ٣٦٨ . ط : « كَالْمِصْلَةِ » س ، هـ : « كَالْمِظَلَّةِ »

صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَالْأَفْقُ ، بِضَمَّتَيْنِ : الرَّائِعُ ، يُقَالُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَقَدْ سَكَنَ
 الْفَاءُ لِلشَّعْرِ .

(٧) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط :

وَمِهَاتِينَ حَرْسٍ وَرِثَالٍ وَسَيُوبٍ كَأَنَّهُ أُوتَارُ

وَالنِّصَانُ مُحَرَّفَانِ . وَفِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٦ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ فَقَطْ « كَأَنَّهُ أُوتَارُ » .

بِإِثْنَاءِ الْمَشَافَةِ . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : « قِيلَ هُوَ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ الْحَشْوُ ، وَقِيلَ : الْبَرْذَعَةُ » .

(شعر في تشبيه الناقة بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبَّهها بأشياء منها^(١) ثمَّ أظنَّ
في تشبيهه إيَّاهَا بالظَّليم :

تلاحظ السَّوطَ شَرْراً وهي ضامزة كما توجَّس طاولي الكشح مَوْشُومٌ^(٢)
كأنَّها خاضب زُعرٌ قوائمه أجنى له باللَّوى شَرىً وَتَنُومٌ^(٣)
يظلُّ في الحنظل الخطبان ينقُّه وما استطفَّ من التَّنوم مخذوم^(٤)
فوه كشقَّ العصا لأياً تبينُّه أسكُّ ما يسمع الأصوات مصلُومٌ^(٥)
يكاد منسه يَحْتَلُّ مقلته^(٦) كأنَّه حاذِرٌ للنَّخس مشهومٌ^(٧)

- (١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .
(٢) نظر شزرأ : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاي : أى ساكنة خائفة . س ، هـ
والديوان ١٣٠ : « ضامزة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود .
والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، هـ : « تزجر » ، محرف عما أثبت
من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به
الثور الوحشى . س ، هـ : « مرشوم » ، محرف .
(٣) الخاضب : الظلم قد احرث ساقاه . والزعر : القليلات الريش . هـ : « زعر » .
مصحفة . روى فى المفضليات : « قواده » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت .
وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : « أجنى » صوابه فى ط :
والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) ، والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .
(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط
خضر . فى الأصل : « الخطبان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طقف) .
ينقُّه : يشقه ليستخرج ليه . واستطف : أى بدا للاخذ . والمخذوم : المقطوع .
هـ : « مخدوم » وأثبت ما فى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان :
« مخدوم » وهو المقطوع قطعاً وحيّاً .
(٥) لأيا تبينه ، أى لا تبينه إلا بعد جهده ومشقة . ط : « لا يأتينه » . س ، هـ :
« لا يأتينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم :
الصغير الأذنين أو المقطوعهما .
(٦) المنسم ، كجلس : طرف خف النعامة . يَحْتَلُّ مقلته : ينفذ فيها وينظمها .
(٧) المشهوم : الفرع . س ، هـ : « موسوم » س : « حازم النحيين » هـ :

حَتَّى تَذْكُرَ بَيِّنَاتٍ وَهَبَّجَهُ يَوْمُ رَذَاذٍ ، عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغْيُومٌ^(١)
 فَلَا تَزِيدُهُ فِي مَشْيِهِ نَفَقٌ^(٢) وَلَا الرَّفِيفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْثُومٌ^(٣)
 يَأْوِي إِلَى حِسْكِلٍ زَعَرٍ حَوَاصِلُهَا^(٤) كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومٌ^(٥)
 وَضَاعَةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جُوجُوهٌ كَأَنَّهُ بِنَاهَى الرَّوْضِ عُلْجُومٌ^(٦)
 حَتَّى تَلَافَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ أُدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ^(٧)

= « حارم التبخر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

- (١) في المفضليات : « عليه الدجن » . ه : « معثوم » .
 (٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرج : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ه :
 « ولا تزيد وفي مشيه » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
 (٣) الرفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل .
 « مشثوم » صوابه في المصدرين السابقين . س ، ه : « إلا الرفيف دون
 السك » ، محرف .
 (٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ه : « درحق » صوابها :
 « دردق » . في الديوان : « حرق » .
 (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، ه : « إذا ركن
 مرثوم » .
 (٦) الوضاع : الذى يعدو وضما . والوضع : عدو سريع من عدو الإبل . وقد زاد
 التاء للمبالغة ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ،
 وهى وتر القوس أو العود . والجوجو : الصدر . والتناهى : جمع تنهى ، وهى
 الأماكن المظلمة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع
 روضة . والعجوم : البعير الطويل المطلق بالقطران . ولعمري لقد دار علقمة على
 رأسه ، فشبه ناقته بالظليم ثم عاد فشبه الظليم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه
 في الاستطراد . س ، ه : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه .
 ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .
 (٧) تلاقى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، ه والمفضليات .
 واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى .
 س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ه :
 « محجوم » ، ولا وجه له .

- ١١٩ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظُنُّ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ^(١)
 صَعْلٌ ، كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُوجُوهُ بَيْتٍ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومُ^(٢)
 تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِبَةٌ تَجِيبُهُ بَرَمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمُ^(٣)

(رُؤْيَا النِّعَامَةِ)

الأصمعيّ ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل^(٤)
 شيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلّمه
 بكلام ، وأمّ ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنّها تَفْطِنُ ، فقال له : يا بنيّ اذهب
 إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنّ له نعمةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما في
 الديوان والمفضليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت
 الدجاجة للبيض . وتراظن الروم : تكلموا برطاتهم . ويصح أن يكون حذف من
 الفعل إحدى التائين تخفيفاً ، فيكون أصله : تتراظن . والأفدان : جمع فدن ،
 بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرايها » س : « أقرأئها » ، صوابهما
 في ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم
 على حال في هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٤٩ : « وخرقاء :
 التى لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازنى في قوله :
 أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتنا انهدم سريماً » .
 وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهلوم . وهو من صفة البيت
 الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الثنية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه . هقلة » محرف .
 والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صعتاء » محرفة . والزمار ،
 بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلنى » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فحَبَّأَهَا في بَنِي حَنيفَةَ ^(١) . قال : فَجِئْتُ أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ ، فَنَافَرْتُهُ أُمِّي ، وما زالت به حتى اعترف أنَّ له جاريةً في بَنِي حَنيفَةَ .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنَّه من حديث الأصمعي مشهورٌ ما ذكرته في كتابي .

(مسيِّمة الكذاب)

وأما قول الشاعرِ الهذليِّ في مسيِّمة الكذاب ، في احتياله وتمويهه وتشبيهه ما يَحْتال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

بَيْضَةُ قَارُورٍ وَرَأْيُهُ شَادِنٌ وَتَوْصِيلُ مَقْصُوصٍ مِنَ الطَّيْرِ جَادِفٍ ^(٢)

قال : هذا شعرٌ أنشدناه أبو الزُّرقاء سَهْمٌ الخثعمي ، هذا [منذ ^(٣)]

أكْثَرَ من أربعين سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفظُ منها إلَّا هذا البيت .

فذكر أنَّ مسيِّمة طاف ، قبلَ التَّنْبِئِ ، في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات ^(٤) ، كَنَحْوِ سُوقِ الْأَبْلَةِ ، وسُوقِ بَقَّةٍ ^(٥) ، وسوق الأنبار ، وسوق الحيرة .

(١) أي في حى بني حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفي الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه : « للسوق » ، محرفتان عما في ط . والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة .

(٥) بقعة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلغت الرأي » . ط ، ه : « لفة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتبس تعلم الحيل والنيرجات^(١) ، واختيارات النجوم والمتنبئين . وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء^(٢) وأصحاب الزجر والخط^(٣) ، ومذهب الكاهن والعياف^(٤) والساحر ، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعه^(٥) .

قال : فخرج وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنه صب على بيضة من خل قاطع^(٦) - والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخل لأن قشره الأعلى ، حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك ، أو على قريب من ذلك - قال : فلما تم له فيها ما حاول وأمل ، طولها ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويديست . فلما جفت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرجات » فهما مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنگت » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه في ط ، ه . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الخازي فيعطيه حلوانا ، فيقول : أقعد حتى أخط لك . وبين يدي الخازي غلام له معه ميل له - أي قضيب - ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجاح ، وإن بقي واحد كان ذلك أمانة للخبية ، وبينما الخازي يمحو يقول الغلام للتفاؤل : ابني عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهي زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها وعمرها .

(٥) هـ : « تابعة » ، أي جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أي شديد الحموضة .

انضمت ، وكلما انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَة ^(١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادّعى بها أعجوبة ، وأنها جعلت له آية . فآمن به في ذلك المجلس مُجَاعَة ^(٢) . وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام ، وقد كان يراها في منزل مُجَاعَة مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجَاعَة : إلى كم ١٢٠ تعذب خلق الله بالقص ؟ ! ولو أراد الله للطير خلاف الطير أن لما خلق لها أجنحة ، وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام ! فقال له مُجَاعَة كالمعتن : فسلك الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن يُنبت لك جناح هذا الطائر الذكور الساعة !

فقلت لسهم : أما كان أجود من هذا وأشبه أن يقول : فسلك الذي أدخل لك هذه البيضة فم هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأن ^(٣) القوم كانوا أعراباً ، ومثل هذا الامتحان من مُجَاعَة كثير . ولعمري إن المتنبئ ليخدع ^(٤) ألفاً مثل قيس بن زهير ^(٥) ، قبل أن يخدع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي اليماني ، صحابي جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزباني في المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم النجادة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليوم بذنب الأصيفر الكذاب

لم ندع ملة النبي ولا نحن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، كان يلقب بقيس الرأي ؛ لمودة =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسيله .

قال مسيلمة : فإن أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا ^(١) : نعم . قال : فإنى أريد أن أناجى ربى ، وللمناجاة خلوة ، فانهضوا عني ، وإن شئتم فأدخلوني هذا البيت وأدخلوه معي ^(٢) ، حتى أخرجهم إليكم الساعة وافى الجناحين يطير ، وأنتم ترونه . ولم يكن القوم سمعوا ^(٣) بتغريز ^(٤) الحمام ، ولا كان عندهم باب الاحتياط في أمر المحتالين . وذلك أن عبداً السكيس ^(٥) ، فإنه ^(٦) المقدم في هذه الصناعة ، لو منعه السر والاختفاء . لما وصل إلى شيء من عمله جلّ ولا دقّ ؛ ولكان واحداً ^(٧) من الناس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذي قد هيأه ، فأدخل طرف كل ريشة مما ^(٨) كان معه ، في جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقص . وقصب ^(٩)

= رأيه . وهو صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء في الجاهلية .

(١) في الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .
(٢) ط : « فأدخلوه . هذا البيت وأدخلوني معه » ، وأثبت ما في س ، ه . ومؤداهما واحد .

(٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، ه .
(٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش في جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف في اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغريز » ه : « بتغريز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا في الأصل . وفي أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط : « فاته » س : « فاته » ، وصوابه في ه .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٩) قصب الريش : أنابيه . في الأصل : « قضيب » محرفة .

الرَّيشُ أَجْوَفُ ، وَأَكْثَرُ الْأَصُولِ حَدَادٌ وَصَلَاب . فلما وَفَّى الطَّائِرُ رَيْشَهُ صَارَ فِي الْعَيْنِ كَأَنَّهُ بِرِذْوَنُ مَوْصُولُ الذَّنْبِ ، لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ ارْتَابَ بِهِ . والحمام بنفسه قد كان له أصولٌ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ تَمَتْ (١) فلما أُرْسِلَهُ مِنْ يَدِهِ طَارَ . وَينبغي ألاَّ يَكُونَ فَعَلَ ذَلِكَ بِطَائِرٍ قَدْ كَانُوا قَطُوهُ (٢) بعد أن ثَبَتَ عِنْدَهُمْ . فلما فَعَلَ ذَلِكَ ازْدَادَ مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ بِصِيرَةٍ وَآمَنَ بِهِ آخَرُونَ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بِهِ ، وَنَزَعَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِهِ (٣) كُلُّ مَنْ كَانَ مُسْتَبْصِرًا فِي تَكْذِيبِهِ .

قال : ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ — وَذَلِكَ فِي مِثْلِ لَيْلَةٍ مُنْكَرَةِ الرِّيَّاحِ مُظْلَمَةٍ فِي بَعْضِ زَمَانِ الْبُورَاحِ (٤) — إِنَّ الْمَلِكَ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَى (٥) ، وَالْمَلَائِكَةُ تَطِيرُ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَجْنَحَةٍ ، وَلِحْيَةُ الْمَلِكِ زَجَلٌ وَخَشْخَشَةٌ (٦) وَقَعْقَعَةٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ظَاهِرًا فَلْيَدْخُلْ مَنْزِلَهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ اخْتِطَفَ بَصَرُهُ ! ثُمَّ صَنَعَ رَايَةً مِنْ رَايَاتِ الصَّيَّيَانِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنَ الْوَرَقِ الصَّيْنِيِّ (٧) .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أى صار في مذهبه ، وسار في نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها في القيظ .

(٥) أى على وشك أن ينزل على .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « حشخشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والركة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبى سبياه زياد بن صالح في وقعه أطلع - سنة ١٣٤ - من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر : « الورق الصيني ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وَتُجْعَلُ لها الأذنانُ والأجنحة ، وتعلّق في صدرها الجلالجل^(٢) ، وترسل يوم الرّيح بالخيوط الطّوال الصّلاب .

قال : فبات القوم يتوقّعون نزول المَلَك ، ويلاحظون السّماء ، وأبطأ عنهم حتّى قام جلُّ أهلِ النّيامة ؛ وأُظنّبت^(٣) الرّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يبرّون الخيوط ، واللّيلُ لا يُبينُ عن صورة الرّق^(٤) ، وعن دقّة الكاغد . وقد توهّموا قبل ذلك الملائكة . فلمّا سمِعوا ذلك ورأوه تصارّخوا وصاح : من صرّف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أطبقوا على نصرته والدّفِع عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وتوصيل مقصوصٍ من الطيرِ جادِف^(٥)
فقلت لسهم^(٦) : يكون مثلُ هذا الأمرِ العجيب ، فلا يقولُ فيه شاعرٌ ، ولا يشيعُ به خبرٌ ! قال : [أ^(٧)] وكلّما كان في الأرض عجبٌ ، أو شيء

(١) الكاغد ، بفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه . والكاغد لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : χαρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلالجل : جمع جلمجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أظنّبت الرّيح إطناباً : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط : « طلبت » ، وفي س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الرّيح الطيبة هي اللينة غير الشديدة .

(٤) الرّق ، بالفتح ، ويكرر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجبَ أن يشيع ذكرُهُ ، ويقالَ فيه الشَّعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نَزْعُماً أنَّ كسرى أبرويز ، وهو من أحرارِ فارسَ ، من الملوكِ الأعظمِ ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو ملوكٍ ، مع حَزْمِهِ ورأيه وكِمالِهِ ، خطبَ إلى النُّعْمانِ بنِ المنذرِ ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأَتُهُ خِثْراً لبعضِ ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمُّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلكَ أَحْيَمِرُ أَقْيَشِرُ ، إمَّا من أَشْلاءِ قِصَى بنِ معد ، وإمَّا من عُرضِ نخم . وهو الذى قالوا : تَزَوَّجَ مومسَةً — وهى الفاجِرَةُ ؛ ولا يقالَ لها مومسَةٌ إلاَّ وهى بذلكَ مشهورة — وعَرَفَهَا بذلكَ ، وأقامَ عليها ، وهُجِيَ بها ولم يَحْفَلْ بهجائهم . ومَّا زادَ فى شهرتها قصَّةُ المرقش^(١) . وناكها قُرَّةُ بنُ هُبيرة^(٢) حينَ سبَّها . فعلمَ بذلكَ وأقامَ عليها ، ثمَّ لم يَرْضَ حتَّى قالَ لها : هل مَسَّكَ ؟ قالتَ : وأنتَ واللهُ لو قَدَرَ عليكَ لَمَسَّكَ ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قالَ لها : صِفِيهِ لِي . فوصَفَتْهُ حتَّى قالتَ : كأنَّ شَعْرَ خَدَيْهِ حَلَقُ الدَّرْعِ ! وبالِ على رأسِهِ خلفَ بنِ نوالَةَ الكِنَانِي عامَ حَجٍّ ، ونَصَّرَهُ عَدِيُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغاني (٥ : ١٨٣ - ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا أسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً مادام وصلك دائماً

(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بني قشير ، وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحق سبب^(١) . وخطب أخوه المنذر إلى عبدة بن همام ، فردّه
أقبح الردّ ، وقال^(٢) :

أَتَوْنِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا^(٣) وَقَدْ طَرَقُونِي بِأَمْرِ نُكْرٍ
لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرٌّ لِحُرٍّ^(٤)

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتّى
كان ذلك سببَ هربه وعِلَّةَ لِقَتله — فهل رأيت شاعرًا في ذلك الزّمان
مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذّي^(٥) كان منهم في يوم جُلُولي^(٦)
ويوم ذى قار ، وفي وقائع المثنّى بن حارثة ، وسعد بن أبي وقاص — فهل
سمعت في ذلك بشعرٍ صحيحٍ طريف^(٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم
مما لا يداني هذا المفخر^(٨) ؟ !

(١) نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر
في الأغاني (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٤٦ ليبسك . ونسباً في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلاً . هـ : « بينوا » ، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التي
خطبها . في الأصل : « حراً بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذّي » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول التّعقاع
ابن عمرو :

ونحن قتلنا في جلولا أثاراً ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولاء الوقعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج
السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من زرار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمَّ النعمان سلمى بنت الصَّائغ^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثمَّ كان نَجْلُهُ^(٣) لِفِعْلِ غير محمود .

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيهم^(٤) ، لحَسَّان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عَلَى ورأيتنى ، فأين أنا من النعمان ؟ قال : والله^(٥)

[فالنعمان^(٦)] مع هذه المثالب كُلِّها قد رَغِبَ بنفسه^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أُنْبَه الكسور^(٨) . وكما^(٩) كان أَبْرَوِيزُ أعْظَمَ خَطَرًا ،

(١) ط ، ه : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، ه : « نجله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغساني ، آخر ملوك الفساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والحزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأملك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجيلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغّب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم للملك الفرس ، معرب « خَسْرَوُ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلما » .

كَانَتْ أَنْفَتُهُ^(١) أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ ، وَأَدْلَ عَلَى مَا يَدَّعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النِّسْبِ .
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُودًا ظَاهِرًا ، وَمُرَدَّدًا^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِضًا . فَإِذَا قَدْ
تَبَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَفْخَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ - فَشَأْنُ مُسَيْلِمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأُنْشِدُنِي يَوْسُفُ لِبَعْضِ شُعْرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ
وَيُكْنَى أَبَا مُثَمَّامَةَ :

لَهْفَى عَلَيْكَ أَبَا مُثَمَّامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ^(٤)

كَمْ آيَةٍ لِأَبِيهِمْ - مُ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةِ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصْلَ
« مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ ») وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُتَنَبِّئِينَ ، وَشَأْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حِدَتِهِ ، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ احْتِيَالَاتِهِمْ ،
« وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا مَخَارِقُهُمْ »^(٦) . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاطْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ؛ فَإِنَّهُ مُوجُودٌ .

(١) أَى أَنْفَةِ النِّعْمَانِ مِنْ مِصَاهِرَةِ كَسْرَى . ط ، هـ : « أَلْفَتَهُ » ، س : « الْفَتْنَةُ » .
وَالْأَوْضَحُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَمُورُودًا » . وَلَا تَتَجَهَّ .

(٣) أَى كَانَ مُسَيْلِمَةَ .

(٤) فِي الْمَعَارِفِ ١٧٨ : « عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ » .

(٥) كَذَا . وَرَوَايَةُ الْمَعَارِفِ : « كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمْ » .

(٦) الْمَخَارِقُ : يَرَادُ بِهَا تِلْكَ الْأَعْيَابُ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْمُشْعُودُونَ . وَاحِدَاهَا مَخْرَاقٌ .

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْمَعْلَقَاتِ ٢٢١ : « قِيلَ الْمَخَارِقُ : مَا مِثْلُ بِالشَّيْءِ وَلَيْسَ بِهِ

نَحْوُ مَا يَلْعَبُ بِهِ الصَّبِيَّانِ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ وَالْإِشْرَافَ ٢٤٠ س ١٩ وَالْحَيَوَانَ

(١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبد القيس بن خُفَافٍ الْبُرْجُمِيَّ^(١) ، النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ ،
في الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصَّائِغِ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللَّهُ ثُمَّ ثَنَّى بِلَعْنٍ ابْنَ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُومَ الْجَهُولَا^(٣)
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتَيْلَا^(٤)

(سَهْمُ الْحَنْفَى)

وكان سَهْمُ الْحَنْفَى^(٥) يلي طَبْرِستان^(٦) ، لمعن بن زائدة^(٧) ، مع حداثة
سنه يومئذ ، وكان له مروعةٌ وَقَدْرٌ في نفسه .

« (١) عبد القيس بن خفاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله
خبران مع حاتم الطائي والناطقة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (٧ : ١٤٥ - ١٤٦)
ومعجم المرزبان ٣٢٥ . وأما خبره مع الناطقة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجا في النعمان على لسان الناطقة - وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما - فأفسد
ذلك على الناطقة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزبانى باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
ونوادير أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والخامسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

« (٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

« (٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

« (٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزء » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

« (٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

« (٦) معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدَّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتَحُومهم وَسَطُ أعدائهم ، حتى كأنهم وَخَدَهُمْ (١) يعدلون بَكْرًا كُلها - ومع ذلك لم نَرِ قَبِيلَةً قَطُّ أَقَلَّ شعراً منهم . وفي إخوانهم ١٢٣ عَجَلٍ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشِعْرَاءُ وَرَجَّازُونَ . وليس ذلك لمكان (٢) الخِصْبِ وأَهمُّ أهلُ مَدَرٍ ، وَأَكْأَلُو تَمْرٍ (٣) ؛ لِأَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزَرَجَ كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عَبْدُ الْقَيْسِ النَّازِلَةُ قَرَى الْبَحْرَيْنِ (٤) ، فَقَدْ تَعَرَّفُ أَنَّ طَعَامَهُمْ أَطْيَبُ (٥) مِنْ طَعَامِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ .

وثَقِيفٌ أَهْلُ دَارِ نَاهِيكَ بِهَا خِصْبًا وَطِيْبًا ، وهم وإن كان شعْرُهُمْ أَقَلَّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى طَبْعٍ فِي الشَّعْرِ عَجِيبٍ . وليس ذلك مِنْ

= متنقلاً في الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هيرة الفزارى ، أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسناً . فلما قتل يزيد هرب معن خوفاً من المنصور ، ثم دخل معن في شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان والياً عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبي حفصة بمرثية ، هى من عيون الشعر العربى . وفيات الأعيان والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » ، صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « المسكان » ، صوابه في س ، ه .

(٣) أَكْأَلُو تَمْرٍ : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكألو تمر » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) في الأصل : « أخيب » . وهو عكس المراد .

قَبِيلِ رِداةِ الغِذاء ، ولا من قِلَّةِ الخِصْبِ الشَّاعِلِ والغِنَى ^(١) عن النَّاسِ ؛
وإنَّمَا ذلك عن قَدَرٍ ما قَسَمَ اللهُ لهم من الحِطَوطِ والغِرائِزِ ، والبِلادِ
والأَعراقِ مِكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يَجرون مِجارِيَ ملوكِ اليَمَنِ ،
ومِجارِيَ ساداتِ أعرابِ أَهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم في الجاهليَّةِ كَبِيرُ حَظٍّ
في الشعر . ولهم في الإسلامِ شعراءُ مَفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرِ كانوا مَفْحَمِينَ ^(٢) ، وكان ما أَطْلَقَ اللهُ بِهِ ألسنةَ العربِ ^(٣)
خيراً لهم من تَصْيِيرِ الشعرِ في أَنفُسِهِمْ .

وقد يَحْطِئُ ^(٤) بالشعرِ نَاسٌ وَيُخْرِجُ ^(٥) آخَرُونَ ، وإن كانوا ^(٦) مثلهم
أو فَوْقَهُمْ . ولم تُمْدَحْ ^(٧) قَبِيلَةٌ في الجاهليَّةِ ، من قُرَيْشٍ ، كما مُدِحَتْ

(١) في الأصل : « والغنا » .

(٢) في القاموس : « المضم ككرم : المعنى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا
جاءت العبارة .

(٣) أى ما أَطْلَقَ بِهِ ألسنةُ الشعراءِ في مديحِهِمْ ، فن ذلك قول حاتم الطائي (الأغاني ١٦ : ١٠٤)
والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فعلى فى بنى بدر
جانورتهم زمن الفساد فنعـم الحى فى الموصاء واليسر
فسقت بالماء النير ولم ينظر إلى بأعين خزر
انضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيثهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر
وانظر مديح دريد بن الصمة لهم فى ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يحظا » ، س : « يخطأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا فى س ، ط ؛ وفى هـ : « يجرح » ، وربما كانت : « يجد » أى
يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه فى ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهياً من الشاهد والمثل لمادح في أحدٍ من العرب ، ما تهياً
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مروانَ أخطى^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم . ولم يكن أحدٌ من أصحابنا ، من خلفائنا وأئمتنا ، أخطى

(١) هو زُرارة بن عدس ، بضمّتين ، ابن زيد . جد جاهلي . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم رحرحان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

ياليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتخلق القرون أم تميم لابل تميمس لأنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاني

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » .

ه : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على

الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على

مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ

الأرب (١ : ١٢٥) فهي ممتعة . وثمن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار

ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتمال للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله

الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد

(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس

الرقيات . ط ، س « أخطأ » ، ه : « أخطأ » ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨)

حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيّد^(٢) وعمه^(٣) ، ممن أحظاه^(٤) الشعر .

وما أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً .

الصّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات . وذلك عام في الإفاعى والنعام .

واعتد من ادعى للنعام الصّمّ بقول علقمة :

فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أظن في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلمي ، ومنصور النخعي ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ه : « أحظأ » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيّد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، نذبه هارون الرشيد لقتال الوليد . ابن طريف الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظى يزيد بن مزيّد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النخعي . ورثاه أبو موسى التيمي بمراثية سمها الرشيد فسكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملاها من دموعه . الأغاني (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عمه فقد حظى بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أخطأ » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جمعه . ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . ه : « يبينه » . س : « أسد » ه : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال ^(١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذكر ^(٢) لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنَّار حارَّة . [و ^(٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسمَع هذا الصَّوت ؛ لأنه لا مسموعَ إلَّا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال علقمة بن عبدة

حَتَّى تَلْفَى وَقرْنُ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ أَدْحَى عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ ^(٤)
يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَتَقْنَنَةٍ كَمَا تَرَاظُنْ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ ^(٥)

ثم قال : ١٢٤

تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَفْعَاءُ خَاذِلَةٌ تَجِيهٌ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ ^(٦)
وَاحْتِجٌّ مَن زَعَمَ أَنَّهَا تَسْمَعُ ، بِقَوْلِهِ ^(٧) :
وَصُخْمٌ صِتَامٌ بَيْنَ صَمَدٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضٌ تُوَامٌ بَيْنَ مِثٍّ وَمِذْنَبٍ ^(٨)

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « في موضع الذي » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع لذي ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ه .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرحى » محرفتان .

(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أندائها » . وهي صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبداؤها » ، محرفة عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . ه : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو ليبيد . اللسان (صح) .

(٨) الصخم : جمع أصخم ، وهو مافى لونه غبرة . وقد عني بها الحمير ، كما في اللسان . ط ، ه : « صخيم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صنم » بالنون . وفي اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ نَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يُجِيبُ زِمَارًا كَالْبِرَاعِ الْمُثْقَبِ^(١)
وقال الطَّرِمَاح :

يَدْعُو الْعِرَارُ بِهَا الزَّمَارَ كَأَنَّهُ أَلِمَّ تَجَاوِبُهُ النَّسَاءُ الْعُودُ^(٢)
قال : وَصَوْتُ النِّعَامَةِ الذَّكَرُ : الْعِرَارُ^(٣) . وصوت الأنثى : الزَّمَارُ .
وأشدُّ الذي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ^(٤) ، قولُ أَسَامَةِ بْنِ الْحَارِثِ
«الهُذَلِيُّ»^(٥) :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهَّدًا كَمَا ذَكَرْتُ بَوًّا مِنَ اللَّيْلِ فَاقْدُ^(٦)

= « صِيَام » . وأثبت تصحيح ما في الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة »
بالكسر : موضعان . وفي الأصل : « بين ضمير ورجله » تصحيحه من اللسان .
وبيض قوام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة .
والمذنب ، ككبر : مسيل الماء .

«(١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفي الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار
بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت .
وسيماء البيت فى ص ٤٠٠ .

«(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار »
صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما
كفروح - وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .

«(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

«(٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لا تسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .

«(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابة ٤٤٢ .

«(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبر : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت
ولدها . س : « ذكر برأ » ه : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا »
وفى الجميع : « فاقدأ » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا
لما بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمري لقد أمهلتُ في نهْيِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ. إِمَّا يَعْصِيَنَّكَ خَالِدٌ^(١)
وَأَمَهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٢)
وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾. ولو عني أَنَّ عَمَاهُمْ كعمى العُمَيَّانِ ،
وصمَّهم كصمَّ السَّامَانِ ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى
قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ وإنما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا
تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾. وكيف تسمعُ المدبرَ عنك !
ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمَى وَيُصَمُّ » . وقد قال الهذلي :

* تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٣) *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْيِ ،
وسكت - كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَسْمَعُ
الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :
رِدِي رِدِي وَرِدَ قِطَاةٍ صَمًّا^(٤) كُذْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَاءِ^(٥)

(١) في الأصل : « خالدًا » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
الشَّامِ » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ :
« وإني قد أمهلت » . وأمهلْتُ : بالغت . يقول : إن عصافى فقد بالغت في نهيه .

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرّد لا يصغى إلا ريثما
يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : « المشرّد » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « المشرّد » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز في الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبي سرق
منه قوله : * ورود قطا صم تشايجن في ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غبر الألوان ، رقص
الظهور ، صفر الحلق . س ، هـ : « كدرية » ، تحريف طيب ، صوابه في ط =

أى لأنها [لا ^(١)] تسمع صوتاً يثنيها ويرُدُّها ^(٢) .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خَلِيدًا دَعْوَةً فَسَكَنَا ^(٣) دعوت به ابن الطَّودِ أَوْ هُوَ أَمْرَعُ

وَالطَّودُ : الجبل . وابْنُهُ : الحجر الذى يَتَدَهَّدُهُ ^(٤) منه ، كقوله ^(٥) :

* كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ ^(٦) مِنْ عَلِيٍّ *

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ ^(٧) بَصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمِّ الْأُذْنَيْنِ ^(٨)

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندى لشواهد الكشاف .
استشهد به للزخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من
سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان : « لسلكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندى
بأنها لا تسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ،
ط : « وكأنا » ، وأثبت مافى ه واللسان والاساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ه : « يعد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن
« يتدهلى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب فى س ، ه .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إححدى العينين : أى فيه بئران
غاضت إحدهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه
من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس
يسمع فيه صدى الصوت . فى الأصل : « أصم » بدون واو ، وهى ضرورية لوزن الشعر .
والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْلِ بَيْرَانٌ ^(١) ، وَالْآبَارُ أَعِينٌ ، فَغَوَّرْتُ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ ^(٢) وَتَرَكْتُ الْأُخْرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأُذْنَيْنِ » لِمَا ^(٣) أَنْ كَانَ عِنْدَهُ ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً ^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنْ ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا أَصَمٌّ ؟ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شَاهِدُ مِنَ الشُّعْرِ لِسَمْعِ النِّعَامَةِ)

قال : وَقَدْ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ^(٧) قَوْلًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَسْمَعُ ^(٨) ،
حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَسْتَعِينُ يَوْمًا عَلَى اللَّهِ مَّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ الثَّوَاءُ ^(٩)

(١) كَذَا جَاءَتْ فِي الْأَصْلِ ، بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ .

(٢) كَذَا بِالتَّسْهِيلِ .

(٣) ط : « لَا » ، وَصَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٤) أَيْ عِنْدَ الْمَهْلِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَضْلٌ وَخَلَا » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٦) أَيْ لِأَنَّ . وَحَذَفَ الْجَارُ مَطْرَدٌ فِي مِثْلِ هَذَا . ط : « إِذَا » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، ه .

(٧) الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ . وَالْأَبْيَاتُ الْآتِيَةُ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، الَّتِي قَالَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدَةَ : « أَجُودُ الشُّعْرَاءِ قَصِيدَةً وَاحِدَةً طَوِيلَةً ، ثَلَاثَةَ نَفَرٍ : عَمْرُو بْنُ كَلْفُومٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ، وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « لَا تَسْمَعُ » ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُرَادِ .

(٩) الثَّوِي : الْمَقِيمُ . وَالثَّوَاءُ ، هَكَذَا جَاءَتْ بِالْأَصْلِ . وَالصَّوَابُ : « النَّجَاءُ » ، وَهِيَ السَّرْعَةُ . وَأَمَّا « الثَّوَاءُ » فَهِيَ قَافِيَةُ الْمَطْلَعِ الْمَعْلُوقَةِ :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمْلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ

زَفُوفٍ كَأَنهَا هِقْلَةٌ أَمْ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(١)
 ثُمَّ قَالَ :

آنَسْتُ نَبَأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٢)
 فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَشْيِ مَنِينًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)
 وَلَوْ قَالَ : « أَفْزَعَهَا »^(٤) الْقُنَّاصُ « وَلَمْ يَقُلْ : « آنَسْتُ نَبَأَةً » - وَالنَّبَأَةُ
 الصَّوْتُ - لَكَانَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمُّ صِلَابٌ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَانَ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والحقلة : النعامة . والرثال : أولادها .
 دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المتراصة الأطراف . والسفعاء : السوداء .
 س : « صماء » هـ : « صفعاء » بحرفتان . ورواية المعلقات : « سفعاء »
 أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،
 فحمل الضمير على المعنى » . والمئين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى
 بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء :
 أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك القرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى :
 أن يجد القرس فى حافره وجعا يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .
 ط ، س : « تعين » هـ : « تعين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان
 (وقى) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرجا » صوابهما من المصدرين
 السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أَنَّهَا مُصَمَّمَةٌ غير جَوَاء . وقال الآخر :

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ
يريد أَنَّ حِلْمَهُ ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
مصممت . وقال الشاعر :

* وَأَسْأَلُ ^(١) مِنْ صَمَاءٍ ذَاتِ صَلِيلِ *

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشافةً ، تسأل ^(٢) الماء : أى تريده
وتبتلعه ، وهى فى ذلك صماء .

(ذكر الصَّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ^(٣)﴾
وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ^(٤)﴾ . وذلك
كله على مافسرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فذلك شبهها بعمز الرأى . والرأى ، أصله الهمز ، وخففه لمكان
القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل للشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
(١) س ، هـ : « وأسأل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ،
وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلٌ لَا ، وَلَكِنْ أَنْتَ أَلَامٌ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسأل » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعَمِيَانًا^(١) ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ^(٢) 》 .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنتره :

ظَلَلْنَا نَكْرُ الْمَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ وَخُرُصَانَ صُمِّ السَّهْمَرِيِّ الْمُثَقَّفِ^(٣)
وقال العجير السلولي :

وقد جَذَبَ الْقَوْمُ الْعَصَائِبَ مُؤَخَّرًا فَفِيهِنَّ عَنْ صَلْعِ الرِّجَالِ حُسُورُ^(٤)
فَظِلَّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقًى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٌ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرُ^(٥)
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورُ^(٦) ١٢٦
وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السهوف ، منسوب إلى مشارف الشام . وخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسهري من الرماح : هو الصليب المود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . هـ : « المثقف » تحريف ، صوابه في س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فظلنا نكر المشرفية فيهم وخرصان لدن السهمري المثقف

(٤) حصور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « فداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالالف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفي البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمن صوتنا الشديد في تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والتسواحى . ورواية الأغاني (١١ : ١٥٠) :

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها لمدن وقد بازت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا في ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلْأَبَدِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ (١)
لَا تَشْكِي (٢) شَرَّ جَارَتِهَا خُلِقَتْ غَلِيظَةً الْكَبَدِ
وَقَالَتْ جُمْلُ بِنْتُ جَعْفَرٍ :

بَنِي جَعْفَرٍ لَا سِلْمَ حَتَّى تَزُورَكُمُ بِكُلِّ رُدْبِيٍّ وَأَبْيَضَ ذِي أَثَرٍ (٣)
وَحَتَّى تَرَوْا وَسَطَ الْبَيْتِ مُغْيِرَةً تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ (٤)
تَبِينُ لِيذِي الشَّكِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُ هَا أَلَا عَمِي وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ (٥)
وَقَالَ دَرِيد :

مَتَى كَانَ الْمُلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا (٦) عَلَى وَلَايَةِ صَمَاءَ مِنِّي (٧)
(مثل وحديث في الصمم)

وَمِنَ الْأَمْثَالِ قَوْلُهُمْ : « صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ » (٨) ، قَالَ : فَأَصْلُهُ أَنْ

-
- (١) كَيْدٌ ، بَفَتْحٍ فَكسر : اسم جبل . في الأصل : « كَبْدَى » !
(٢) في الأصل : « تَشْكِي » ، وبذلك يَنْكسرُ الْوِزْنُ ؛ إِذَ الْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الْمَدِيدِ .
(٣) الرَّدْبِيُّ : الرِّيحُ الْمَاسُوبُ إِلَى امْرَأَةٍ تَدْعَى رَدْبِيَّةً ، كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا سَمْعَرُ يَقُومَانِ الْقِتْلَةَ بِحُطٍّ هَجْرٍ . وَعَنْتُ بِالْأَبْيَضِ : السَّيْفُ . وَالْأَثَرُ ، بِالْفَتْحِ : فَرْثُ السَّيْفِ . ط ، س :
« أَثَرٌ » هـ : « أَسْرٌ » ، صَوَاهِمَا مَا أَثْبِتَ .
(٤) مُغْيِرَةٌ : أَيْ غِيْلًا مُغْيِرَةٌ هَاجِمَةٌ بِأَرْبَابِهَا . ط : « حَاشِيَةُ الذُّعْرِ » . وَأَثْبِتَ صَوَابَهُ
مِنْ س ، هـ . وَلِلْعَرَبِ مَجَازٌ فِي مِثْلِ هَذَا . يَقُولُونَ : حَتَّى الرَّجُلُ غِيظًا ، وَكِبْرًا ،
كَأَقَالِ الْمَرَارِ :

وَحَشَوْتُ الْغِيظَ فِي أَضْلَاعِهِ فَهُوَ يَمْشِي حِظْلَانًا كَالنَّقْرِ
وَكَمَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :

وَلَا تَأْتِنَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلَمَا فَا حَتَّى الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنَ الْكَبَرِ

- (٥) تَبِينُ : تَطْهَرُ هـ . وَالْوَقْرُ ، بِالْفَتْحِ : ثِقَلُ الْأُذُنِ ، أَوْ ذَهَابُ السَّمْعِ كُلِّهِ .
(٦) الْقَطِينُ : تَبِعَ الرَّجُلُ وَمَا لِيكَهْ وَخُدْمُهُ .
(٧) كَذَا جَاءَ هَذَا الشَّطْرُ .
(٨) يُضْرَبُ مِثْلًا فِي الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ وَكَثْرَةِ الدَّمِ . الْمِيدَانِي (١ : ٣٥٩) .

يَكْثُرُ الْقَتْلُ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ ، حَتَّى لَوْ وَقَعَتْ حَصَاةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا صَوْتُ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَلْقَى صَلَابَةَ الْأَرْضِ .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحم بلغت الدماء الثَّنَّ (١) » ، يعنى ثُنَّ (٢) الخيل ، وهو الشعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزبير بن عبد المطلب (٣) :

وَيَذِي نَخْوَةً الْمُخْتَالُ عَنِّي جُرَّازُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ (٤)
لَأَنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعِظَمِ مَرًّا (٥) سَرِيعاً فَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ - كَانَ فِي مَعْنَى الصَّامِتِ (٦) .

(١) الثَّنَّ ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التى فى مؤخر رِسع الدابة . ط ، هـ : « السن » س : « الس » ، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت فى أمثال الميداني فى أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثَّنَّ » فى أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهى الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن » ، س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن - وكان من رجالات قریش فى الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة .. وهو القائل :

ولولا الحمى لم يلبس رجال ثياب أئزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) ..

(٤) يذى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . وانظر ما ساقى فى (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

ويذى الجاهل المختال عني رفاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عني رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر » ، صوابه فى هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه فى الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم .. انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

سوقال ابن ميادة :

متى أدعُ في قَيْسِ بنِ عَيْلَانَ خائفاً إلى فَرْعٍ تُرَكَّبُ إِلَى خِيُولِهَا^(١)
بلمومة كالطَّودِ شهباء فيلقِي رَدَاحَ يَصُمُّ السَّامِعِينَ صليلُهَا^(٢)
لأنَّ الصَّوْتِ إِذَا اشْتَدَّ جَدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، وإن كان صاحبه أراد أن
يخبر عن شيء . ومتى كثرت الأصواتُ صارت وَغًى^(٣) ، ومنع بعضها بعضاً
من الفهم . فإذا لم يفهمها^(٤) صار في معنى الأصمِّ ، فجاز^(٥) أن يسمَّى
بجسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع ، حين آذوه^(٦) بنو سعدٍ فتحول من
جوارهم في آخرين فأذوه ، فقال : « بِكَلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ^(٧) » .

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه في الحديث : « ياخييل
الله اركبى » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول
فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ،
لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ،
بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : للصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما للرغاء ، بالضم : صوت
ذوات الخلف . هـ : « وها » ، صوابها ما أنبت .

(٤) س : « نفهمها » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . عل لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعَيْسُ صُعْرٌ مِنَ الْبَرَى وَأَخْفَافَهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَقْدِفُ^(١)

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صمم شئ من الخلق : اعتلتم فى صمم النعام بقول

زهير :

[أَصْلَكُ مُصَلِّمٌ الْأَذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسَّى تَنُومٌ وَآءٌ^(٢)]

ويقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى دَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزَمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرق^(٤) أنفه ، وهو فى موضع الحرمة^(٥) من البعير :

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فإنما خص بذلك النعام لأنها تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموق وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي للحمير والدواب لكان كذلك . والمصلحة : السك التى ليس لأذانها حجم .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : موائل من جذب البرى :

جمع برة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبتته اعتماداً على ما سياتى

فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفى اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل

له خزم لثقب فى منقاره . » وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبه بها . والحرمة ، بالتحريك ،

سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى

الحلقة التى توضع فى الحرمة . وانظر ما سبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ تسمع وتَفهم الزَّجر ، وتجبب الدُّعاء . بل لو قال : وأرفع صوتي للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفع صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفع والوضع^(٣) عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلماً ، وجعل آذان النعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْم فالطيء كله كذلك إلا الخفاش^(٤) . وكلُّ شئٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْم آذان . ففي قصدهم بهذه الكلمة إلى النعام ، بين جميع ما ليس لأذنيه حَجْم ، دليلٌ على أن تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

فوه كَشَقَّ العصا لَأَيًّا تَبَيَّنُهُ أَسَكُّ مَا يَسْمَعُ الأصواتَ مَظْلُومُ^(٥)
وقالت كبشة بنت معديكرب^(٦) :

- (١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم للكلام .
(٢) في الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لا وجه لوجودها .
(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .
(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الألفاش » . وأثبت الوجه من هـ .
(٥) كذا على الصواب في هـ . وفي س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه في ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك في ٣٨٣ .

- (٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حاضرة أبي تمام (١ : ٧١) والبحرئى ٣٠ وأما القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ربحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماء . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، ففضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهُمْ دِمِي^(١)
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْمٍ^(٢)
جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ^(٣) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ^(٤)
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارُوا لِأَخِيكُمْ فَشُوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ^(٥)
فلو كانت إنما تريد أنه ليس لمسامعها حججٌ ، كانت الدنيا لها مُعرضة .
وقال عنبرة :

«(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « ألا تغلوا » بحرفة .
وفي ط : « لا تغلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمي عقلا . والعقل ، بالفتح :
الدية . وهي رواية الحماسة وأمالى القائل (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى في الأمالى
(٣ : ١٩٠) : « ألا تغلوا » . وفي حماسة البحترى : « ألا يعلوا » تحريف
رواية هـ .

«(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أقي عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره
مظلمًا لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاع قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته
أنظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
من معنى تحقير الدية .

«(٣) جدعتم : قطعتم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلتهم قومكم . ورواية الأمالى :
« قومه » ، وفي الخزائنة : « سيد قومه » .

«(٤) بنى مازن ، أى يابنى مازن . والخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاي . وكذا في الأمالى .
لكن ضبطه صاحب الخزائنة بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهملة . ومهما يكن فهو ،
كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرمى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن
فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زيد ، فطمه عبد الله
وسبه ، فنادى الحبشى : يلمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغاني
(١٤ : ٣٢) . والرواية في الأغاني :

أَيَقْتُلُ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدَ قَوْمِهِ بَنُو مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ
«(٥) هـ : « لم تغلوا » بحرفة . وروى : « لم تثاروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » .
و : « لم تثاروا بأخيكم » .

وكأنما أقصُ الإكامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمُنْسِمِينَ مُصَلِّمٌ^(١)
تَأْوِي لَهُ حِزْقُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لَأَعْجَمَ طَمْطَمِ^(٢)
ولو كان عنبرةً لِنَمَّا أَرَادَ عَدَمَ الْحَجْمِ ، لَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ مَعْرُضَةً .
وقال زُهَيْرُ :

بَارِزَةُ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنَهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءٌ^(٣)
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظَّلَامِ جُجُؤُهُ هَوَاءٌ^(٤)
أَصْلَكَ مُصَلِّمَ الْأُذُنِينَ ، أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّ تَنُومٌ وَآءٌ^(٥)

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فَإِنَّا لَا نَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ فِي أَمْثَالِهَا تَقُولُ : إِنَّ
النَّعَامَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَقَطَعُوا أُذُنَيْهَا^(٦) . لِيَجْعَلُوهَا مِثْلًا فِي الْمَوْقِ
وسوء التدبير . فَإِذَا ذَكَرَ الشَّاعِرُ الظَّلِيمَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مُصَلِّمُ الْأُذُنِينَ ،

(١) يقول : كأنما أكرس الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كيجلس :
الظفران المقدمان في الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً . و « بين »
تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه
ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزو : متداخلة مدحجة .
س : « ببارزة » ، هـ : « الفقارة لم يجبا » ، صوابه في ط وديوان
زهير ٦٧ واللسان (أَرَز ، قُطِف ، خَلَا) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من باق ضرب ودخل - :
أسادت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت
من غير علة .

(٤) جُجُؤُهُ هَوَاءٌ : أي صدره فارغ لا قلب فيه ، فهو كالمدعور يسرع المدو هرباً .

(٥) الأصلك : المتقارب العرويين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثير ذلك حتى صار قولهم : مسلم الأذنين ، مثل قولهم صكّاء . وسواء قال صكّاء ، أو قال نعامه ، كما أنه سواء قال خنساء أو قال مهاة ونعجة وبقرة وظبية ؛ لأن^(١) الطباء والبقر كلها فطس خنس . وإذا سموا امرأة خنساء فليس الخنس والفطس يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مهاة وظبية . ولذلك قال المسيّب بن علس^(٢) في صفة الناقة :

صكّاء ذِعْلَبَةٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهَا هُلُوعٌ^(٣)
فنفهم هذا البيت ، فإنه قد أحسن فيه جدّاً .

والصكّاء في الناس ، والاصطكاك في رجل الناقة عيب^(٤) . فهو لم يكن ليصفها بما فيه عيب^(٥) ، ولكنه لا يفرق بين قوله [صكّاء ، وبين

(١) من مبدا : « قال صكّاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيّب ، كمعظم ، بهذا ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيّب ، حين أوعد بني عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريمة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وصواب إنشاده ، كما في اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكّاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع
إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هي أعرضت بخميصة سرح اليمين وساع
(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .
(٥) كذا على الصواب في ط ، س . وفي هـ : « فلم يكن يصفها » . الخ .

قوله^(١) [نعمة^(٢)] ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :
بغير^(٣) . قال الراجز :

إني لمن أنكر أو توسما أخو خناير يقود الأعلما^(٤)
كأنه يقول : يقود بغيراً . وهو كقول عنزة :

وحليل غانية تركت مجذلاً تمكو فريسته كشدق الأعلم^(٥)
(رد مدعى الصمم)

فقال من ادعى للنعم الصمم : أمّا قولكم : من الدليل على أن النعمة
تسمع قول الشاعر :

* تدعو النعم به العرار^(٦) *

وقوله :

متى ماتشأ^(٧) تسمع عراراً بقفرة يجب زماراً كاليراع المثقب
وقوله^(٨) :

آنست نبأة وأفزعها القنص عصراً وقد دنا الإماء
فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرس من الناس - والأخرس أصم -

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخناير : الدواهي . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (٣ : ٣٠٩) . هـ : « وحليل »
بالحاء المعجمة .

(٦) سبق للبيت بتمامه في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) في الأصل : « متى تأتينا » . وصوابه ما سبق في ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة الليشكري ، من معلقته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورَةِ حَرَكَتِكَ^(١) ، كما يعرف معانيك من إشارتك ، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمعَ صوتك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولّد الصوت ، أَرادَه هو أو لم يردَه^(٢) . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدَ إلى الصّياح ، ولكنه متى أدار لسانَه في جَوْبَةٍ^(٣) الفم بالهواء الذي فيه . والنفس الذي يُحضِرُه جُماع الفم^(٤) ، حدثَ الصوت . وهذا إنما غايَتُه الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى^(٥) النَّاسَ يصفّقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحدِّ^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول ترّدادها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجّبَ ضربَ يديه كما يضربون . فالنعامة تعرف^(٧) صورة إشارة الرّتلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التفاهم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يردَه » .

(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريل .

(٤) الجماع ، كمرمان : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .

(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفي الأصل ، « الجد » بالميم ، محرف .

(٧) ط : « تعرق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتفعل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالهما » .

(شم النعامة)

والعرب تقول : « أَشْمٌ مِنْ نَعَامَةٍ » و : « أَشْمٌ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الراجز :

* أَشْمٌ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ ^(١) *

وقال الحرّمازى ، فى أرجوزته :

* وهو يَشْتَمُّ اشْتِامَ الهَيْقِ ^(٢) *

قال : وأخبرنا ابن الأعرابى أن أعرابياً كلم صاحبه ، فرآه لا يفهم عنه

ولا يسمع كلامه فقال : « أَصْلَحْ كَصَلَحِ ^(٣) النِّعَامَةِ » !

(شم الفرس والذئب والذّر)

وقد يكون الفرسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غلوتين ، حَجْرٌ أو

رَمَكَةٌ ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ ^(٥) تحت راحيه ، من غير أن تكون صهلت .

والذئب يشتم ويستروح من ميل ، والذرة تشتم ما ليس له ريح ، مما

لو وضعته على أنفك ما وجدت له رائحة وإن أجذت التشمم ، كرجل

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : اللظيم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكان الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسى واهتدى أفى ونهى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط :

« أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرفونة

تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س ٨) .

ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأوفى ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا (١) من يدك في موضعٍ لم ترفيه ذرّة قط ، فلا تلبث أن ترى الذرّ إليها كالخيط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استبرواح الناس :

وجاء كمثل الرّأل يتبع أنفه لعقبه من وقع الصّخور قعاقع^(٢)
فإنّ الرّأل يشتم^(٣) رائحة أبيه وأمه والسبع والإنسان من مكان بعيد .
وشبه به رجلاً جاء يتبع الريح فيشتم .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضب لمطلب أنفه أو عرسه لكريمة لم يغضب^(٤)
ومطلب أنفه : فرج أمه ؛ لأنّ الولد إذا تمت أيامه في الرحم ، قلّا مكانه^(٥) وكرهه ، وضاق به موضعه ، فطلب بأنفه موضع المخرج ممّا هو فيه من الكرب ، حتّى يصير أنفه ورأسه على فم الرحم ، تلقاء فم المخرج .
فالأناء^(٦) والمكان يرفعانه في تلك الجهة ، والولد يلتبس تلك الجهة بأنفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : ه : « ينفذها » ، صوابه في س وفي أمثال الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرّأل : فرخ النعام . ه : « لعقبه » محرفة .

(٣) س : « يشتم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كتيابات الجرجاني ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب أنفه » ، وكتيابات الثعالبي ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان (أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجاني « من أمه أو عرسه » ، والثعالبي : « أو عرسه لكريمة » أى كاعند الجاحظ . واللسان : « أو عرضه لكريمة » .

(٥) قلّا ، كرماء ورضيه ، قلّى وقلّاء ومقلية : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشيء .

ولولا أَنَّهُ يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَهُ من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّي فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السمكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لَمَّا كَانَ قابلاً لطباعِ السمكِ [غاذياً ^(١)] لها ، والسمكُ ^(٢) [مريداً له ، كان فى مفارقتِهِ له عطْبُهُ . وكان فى مفارقة الولد لجوفِ البطنِ واغتذائه فضلاتِ الدَّمِ ، [مَا لَا يَنْقُضُ ^(٣)] شيئاً من طباعِهِ وطباعِ المكانِ الذى كان له مرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهلى :

والمرءُ لم يغضبِ لمطلبِ أنفه أو عِرسِهِ لكريمةٍ لمْ يغضبِ ^(٤)

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّهِ وامرأته ، فليس يَمْنُ يغضبُ من شيء يؤول إليه .

(قول المتكلمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلمون أَنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنَّه لم يُوتَ من العجزِ عن المنطقِ لشيءٍ فى لسانه ، ولكنَّه إنما أتى فى ذلك ؛ لأنَّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كَيْفِيَّتَهُ فيقصدُ إليه . وأنَّ جميع الصُّمِّ ليس فيهم مُصَمَّتٌ ^(٥) ، وإنما يتفاوتون ^(٦) فى الشَّدَّةِ واللَّيْنِ ؛ فبعضهم يسمع الهدَّةَ والصَّاعِقَةَ ، ونهيق ^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه فى ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، ه كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .

(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، ه : « ونهيق » ، وإنما النهيق للغراب والبوم . وصوابه فى س .

والرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، لا يَسْمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسْمَعُ السَّرَّارَ ^(١) ، وإذا رَفَعَتْ له الصَّوْتُ لم يَسْمَعُ . ومتى كَلَّمْتَهُ وَقَرَّتِ الشُّكَايَةُ ^(٢) في أذنه ، فَهَمَّ عَنْكَ كُلَّ الْفَهْمِ . وإن تَكَلَّمْتُ على ذلك المقدارِ في الهواءِ ، ولم يكن يَنْفُذُ في قَنَازَةٍ تَحْصُرُهُ وتَجْمَعُهُ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إلى دِمَاغِهِ - لم يفهمه .

فالأَصَمُّ في الحقيقة إِنَّمَا هو الأَخْرَسُ ، والأَخْرَسُ إِنَّمَا سُمِّيَ بذلك على التشبيه والقِرابَةِ . ومتى ضَرَبَ الأَصَمُّ من النَّاسِ إِنْسَانًا أو شَيْئًا غَيْرَهُ ، ظَنَّ أَنَّهُ لم يَبَالِغْ ، حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ الضَّرْبَةِ . قال الشَّاعِرُ ^(٣) :

أَشَارَ بِهِمْ لَمَعَ الْأَصَمِّ فَأَقْبَلُوا عَرَانِينَ ، لا يَأْتِيهِ لِلنَّصْرِ مُخْلَبٌ ^(٤)
وقال الأَسَدِيُّ :

وَأَوْصِيكُمْ بِطِعَانِ الْكُمَاةِ فَقَدْ تَعْلَمُونَ بِأَنْ لَا خُلُودًا ^(٥)

(١) السَّرَّارُ ، بالكسر : مصدر سارَه يساره : حدثه في أذنه .

(٢) كَذَا في ط . وفي س : « وطرت السكابة » ، هـ : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما في اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبي خازم . وهو شاعر جاهل قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاي المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) في اللسان : « ويقال للنذير إذا أُنْذِرَ قوما من بعيد ، وألَمَحَ لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرفهم ، مأخوذ من عرنين الأنف ، وهو رأسه . والمخلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . في الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما في اللسان (صمم) وفي اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالخاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

وَضَرَبَ الْجَاجِمَ ضَرْبَ الْأَصِّ مَّ حَنْظَلَ شَابَةً يَجْنَى الْهَبِيدَا^(١)
وقال الهذلي^(٢) :

فَالطَّغْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرَبَ الْمُعْوَلُ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَصْدَا^(٣)
وإنما جعله تحت الدِّيمَةِ ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصيرُ أُلْدَنَ
وأَعْلَكَ ، فيحتاج الذي يضربُ تلكَ الأصولَ قبلَ المطرِ ، إلى عشرِ ضَرَبَاتٍ
حَتَّى يَقْطَعَ ذلكَ المضروبَ ؛ فإذا أصابه المطرُ احتاجَ إلى أكثرَ من ذلك .

(١) وضرب الجاجم : أى وأوصيكم بضرب رهوس الأعداء . والأصم الذى غنى ، هو الظلم
من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجربي ، شاعر جاهل من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بعدها باء موحدة ساكنة . والجربي ، كقرشي : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادي فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير
الهذلي . وليس بذلك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعاني (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيع . صوابه « ربيع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ،
عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذلي » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة :
« شغشغة » . وفى الأصل وديوان المعاني : « شعشة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمة
أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقعة » وأثبت ما فى س . والرواية
فى جميع المصادر : « هيقة » . واهيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو
المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الراى فيستظل به من المطر .
« ضد ، بالتحريك : ما قطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعري)

وأنشدني يحيى الأغر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيُونِ سَبِيكَ الْحَدِيدِ يَوْمَ الْجَنَائِبِ ضَرْباً وَكَيْدًا^(٢)
فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّيَاقِلَةِ فقال : نعم ، هذا بَيْنُ معروف .
إِذَا أَخْرَجْنَا الْحَدِيدَةَ مِنَ الْكَبِيرِ فِي يَوْمِ شَمَالٍ^(٣) ، واحتاجت في القطع
إلى مائة ضربةٍ ، احتاجت في قطعها يومَ الجنوبِ إلى أكثر من ذلك ،
وإلى أشدَّ من ذلك الضَّرب ؛ لَأَنَّ الشَّمالَ يُيَسِّسُ وَيَقْصِفُ ، والجنوب
يرطَّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أْخْرَسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبين الأصوات التي
تخرج من فيه ، على معناه^(٤) . ويقال في غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثيرٌ :

أَلَمْ تَسْأَلِي يَا أُمَّ تَحْمُرُو فَتَخْبِرِي سَلِمْتِ وَأَسْقَاكِ السَّحَابُ الْبَوَارِقُ ١٣١
بُكْيَا لَصَوْتِ الرَّعْدِ خُرْسُ رَوَائِحِ وَنَعَقُ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ صَوَاعِقُ^(٥)

(١) هـ : « الأعر » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التي
تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيقي للخرس .

(٥) هـ : « روامج » بدل : « روائح » . ونعق ، كلما وزدت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « مازلت تحت عين خرساء » . والعين : السحابة
تبقى أليماً تمطر . وإذا كثر ماؤها وكثف ، ولم يكن فيها مخارق لم
تمدح ببرق^(١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في الأصل قبله
ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ؛ لأنّ البارق والبصر أشدّ
تقارباً من الصوت والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رحله فيضرب
بعضاً إما حجراً ، وإما دابةً ، وإما ثوباً ، فترى الضرب^(٢) ثمّ تمكث وقتاً
إلى أن يأتيك الصوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوت السحابة لم تبشّر بشيء ، و [إذا^(٣)] لم يكن لها رز^(٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصخرة في هذه الصفة سميت صماء . قال الأعشى :
وإذا تجيء كتيبة ملمومة مكروهة يخشى الكماء نزالها
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأنى أنادى صخرة ، حين أعرضت ، من الصم لو تمشى بها العضم زلت

(١) انظر الامتدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قول زهير :

وتَنُوفَةٌ عَمِيَاءٌ لَا يَجْتَازُهَا إِلَّا الْمَشِيعُ ذُو الْفَوَادِ الْهَادِي^(١)
قَفَرٍ هَجَعْتُ بِهَا ، وَلَسْتُ بِنَائِمٍ ، وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي^(٢)
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قَتُودٍ عَنِسٍ ضَامِرٍ لِحَاطَةِ طِفْلِ الْعَشْيِ سِنَادِي^(٣)
فَجَعَلَ التَّنُوفَةُ عَمِيَاءَ^(٤) ، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أُمَارَاتٌ .

(الزَّبَابَةُ)

ودَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزَّبَابَةُ^(٥) ، عَمِيَاءٌ [صَمَاءٌ^(٦)] ، تُشَبِّهُ الْفَأْرَةَ ؛ وَلَيْسَتْ

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لِأَن قَلْبَهُ لَا يَخْذَلُهُ ، فَكَأَنَّهُ يَشِيعُهُ . وَالْفَوَادِ : الْهَادِي : الْمَهْتَدِي ، أَو الَّذِي يَهْدِي صَاحِبَهُ .

(٢) قفر ، يُقَالُ أَرْضٌ قَفْرٌ ، وَمَفَازَةٌ قَفْرٌ وَقَفْرَةٌ أَيْضًا . فَهِيَ مِمَّا يُوصَفُ بِهِ الْمُؤَنَّثُ ، صِفَةُ التَّنُوفَةِ . وَالْهَجُوعُ ، هُنَا ، بِمَعْنَى الْاضْطِجَاعِ ، نَوْمًا كَانَ ، أَوْ غَيْرِ نَوْمٍ . الْمَخْصَصُ (٥ : ١٠٤) . وَمُلْقِيَةُ الْجِرَانِ ، عَنِ يَمَانِهَا نَاقَتُهُ . أَلْقَتْ جِرَانَهَا : وَضَعَتْ بَاطِنَ عُنُقِهَا عَلَى الْأَرْضِ ، تَسْتَرِيحُ بِذَلِكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ فِي مَعْنَاهُ قَوْلُ الْآخَرِ (الْخَزَانَةِ ٤ : ٤٨٠ بُولَاق) :

يَارِبُ سَارِ بَاتٍ مَا تَوْسَدَا إِلَّا ذِرَاعُ الْعَنِسِ أَوْ كَفُ الْيَدَا

(٣) التَّقْتُودُ : جَمْعُ قَتَدٍ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ أَدَاةُ الرَّحْلِ . وَالْعَنِسُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالنُّونِ السَّاكِنَةِ : النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ . وَوَقَعْتُ ، هُنَا ، كَأَنَّهُ مِنَ الْوُقْعَةِ ، بِالْفَتْحِ : وَهِيَ النَّوْمَةُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ . وَطِفْلُ الْعَشْيِ : آخِرُهُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَاصْفَرَارِهَا . وَإِنَّمَا تَكَثَّرَ اللَّحْظُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمَّا يَدَاخِلُهَا مِنَ الْحَنِينِ إِلَى وَلَدِهَا ، فَتَتَعَجَّلُ الْاُوبَةُ وَيُظْهِرُ نَشَاطُهَا . وَالسِّنَادُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّدِيدَةُ الْخَلْقُ ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

جَالِيَةٌ حَرْفٍ سِنَادٍ يَشْلُهَا وَظِيفٌ أَزْجُ الْخَطَلُ ظِمَانٌ سَهْوَقُ

وَفِي الْأَصْلِ : « سِنَادِي » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَمِيَاءُ » ، تَحْرِيْفٌ .

(٥) الزَّبَابَةُ بِفَتْحِ الزَّيِّ ، بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . ط ، س : « الزَّبَابَةُ » هـ : « الذَّبَابَةُ » صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ .

(٦) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ . وَأُثْبِتَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَقَارَنَةُ الْآتِيَةُ .

بالحلدة ؛ لأنَّ الحُلْدَ أعمى وليس بأصمّ .

والزَّبَابُ ^(١) يكون في الرَّمْلِ .

وقال الشاعر ^(٢) :

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا ^(٣)

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ في الأرض يُولد أعمى ، إن كان تأويل العمى ^(٤) أنّه

لا يبصر إلا بعد أيام . فنه ما يفتح عينيه بعد أيامٍ كالجُرِّ ^(٥) ؛ إلا أولادَ

الدجاج ؛ فإنَّ فرايجها تخرُجُ من البيض كاسية كاسية .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمْقَمَق - وجعل الأثير أعمى أصمّ على التشبيه - فقال :

فَسَلَّمْ عَلَيْهِ فَاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وَصَوَّتْ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ

(١) ط ، هـ : « الزَّبَاب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :
والسان (زبب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو زباب » ط : « فهو ذباب » ، وفي الجميع : « لا يسمع » و هـ : « الأذنان » مكان : « الأذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون الأخبار والسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س :

« كالجرذ » ، صوابها ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى

عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلَعٍ مِثْلِ الْجُرْوِ جَهْمٌ غَضَنْفَرٍ مَعَاوِدٍ طَعْنٍ جَائِفٍ وَسَنَادٍ^(١)
أَصَمٌّ وَأَعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرُ رَأْسَهُ يَسِيرُ عَلَى مِيلٍ بَغِيرٍ قِيَادٍ^(٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعمامة تسمع ، ورد عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعْمَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَوَلَّ طَرَفَةً :
هَلْ بِالدِّيَارِ الْغَدَاةِ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَنْسٍ^(٣)
سِوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَسْرَتَهُ وَجُوذُرٍ يَرْتَعِي عَلَى كُنُسٍ^(٤)
أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهَقْلَتِهِ مَتَى تَرْعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ^(٥)
فَقَدْ قَالَ طَرَفَةً كَمَا تَرَى :

* مَتَى تَرْعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ *

وقال الآخر : جوابنا في هذا هو جوابنا فيما قبله .

(١) الطعن الجائف : الذي يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . في الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة .
ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما في هـ ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهامة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجوذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات في القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما في فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبي . وفي شرح التبريزي للمعلقات ١٣٠ : « وهو شيء يتخذ الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعي بهقلته : يرتعي مع أنشائه الفتية . يهتجس : في القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه في اللسان . فلعل يهتجس ويهتجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاهة)

وروى الهيثم بن عديّ ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيان عند خالد بن عبد الله ^(١) ، أحدهما تيمى والآخر أزدى ،
فضرط الأزدى ضرطّة ضئيلة ، فقال التيمى :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحْتَلًّا وَلَوْ أَنَّنِي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشَرَّدَا ^(٢)
فَرَّ كَرَّ الْمُنْجَنِقِ وَصَوْتُهُ يَبْذُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدْءًا عَمَرَدَا ^(٣)

(مَنْ لَقَبَهُ : نَعَامَةً)

وزعم أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب ، أن كلّ عربيّ [وأعرابيّ]
كان يلقّب نعاماً ، فإنما يلقّب بذلك لشدة صَمَمِهِ . وأنه سأله عن الظلم :
هل يسمع ؟ فقال : يَعْرِفُ بِأَنْفِهِ وَعَيْنِهِ ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْعٍ .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الْهَقْلِ يَشْتُمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمَهَا ^(٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحتل ، بالحاء
المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « محتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيّتها : من
جه نيك ، أى أناما أجودنى . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ،
بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « بدء » هـ : « بدءا » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفي
ط ، هـ : « شوءها » س : « ثوءها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أن لَقَبَ بيهس^(١) نَعامة ، وأنه لَقِبَ بذلك لأنه كان في خلق
نَعامة ، وكان شديد الصَّمَم مائثاً^(٢) . فأنشد لعدى بن زيد^(٣) :
وَمِنْ حَذَرِ الْأَيَّامِ مَاحَزٌّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيَهْسٍ^(٤)
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَعَ الْقَوْمُ رَهْطُهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ^(٥)
وقال المنتخل الهذلي^(٦) ، وذكر سَيِّمًا :
مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذْعِلِ^(٦)

(١) بيهس : رجل من بني فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ -
١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزانة في (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني
في مثل : « ثكل أرامها ولدا » .
(٢) مائثاً : أى أحق . والموق بالضم والفتح : الحق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما
سمى نَعامة بقوله :

فَلَا طَرْقَنُ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكَنُ بِرَكَّةَ النَّعَامَةِ

(٣) الحق أن قاتل الشعر هو المتلمس الضبى ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكما في الأغاني
وحامسة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبهتري ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٣٨ ، ٢١٦)
ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر
الجاحظ البيتين في البيان (٤ : ١٧) ولم ينسبهما .
(٤) قصة قصير متداولة في الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمي .
ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزانة ، والميداني :
« ورأى الموت » . رام : طلب .
(٥) المنتخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلي شاعر
من شعراء هذيل . وهو جاهل كما في الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفي الشعراء من
يقال له : (المنتخل السعدي) ذكره الآمدي في المؤلف ١٧٩ .
(٦) منتخب اللب : أى متزعم العقل ، فهو في هوجه كالمجنون . ورواية اللسان :
(خذعل) : « تنتخب اللب » . والخذباء ، بفتح الخاء : الهجاء . وفي الأصل :
« خدباء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل
وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيفُ أهْوَجُ لَاعْقَلُ له . والحَدَبُ ^(١) في هذا الموضع :
الهَوْجُ ^(٢) ، وتهاوى الشيء لَأَيْتَمَالِكَ . ويقال للسَّيف : لَأَيْتَبَالِي مَا لَقِيَ .

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي جَرِيهَا إِذَا جُلِيَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا ^(٣)

« كحوصلة الرأل » يصف الخمر بالحمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو ١٣٣

مأخوذ من جلوة العروس القاعدة ، إِذَا قَعَدَتْ عَنِ الطَّلَبِ ^(٤) . ومثله
في [غير ^(٥)] الخمر قولُ علقمة :

تَأْوَى إِلَى حِسْكِلِ خُمُرِ حَوَاصِلِهِ كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومُ ^(٦)

وقال الأخنس بن شهاب ^(٧) :

تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النِّعَامِ كَأَنَّهُا إِمَاءٌ تُزَجَّى بِالمَسَاءِ حَوَاطِبُ ^(٨)

= لتتحمل عبثهم وحقهم . ط ، ه : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما في
س ، واللسان .

(١) في الأصل : « الحدب » بالحاء ، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحق والرعونة . ه : « الهنج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصاته
جرأ ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهل قبل الإسلام بدر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق)
نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أريد وربداء ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك .
وهى المملوكة . والحواطب : اللاتي يجمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزَجَّى : تَذْفَعُ ^(١) ، وذلك أَنَّهُ يَثْقُلُ حِمْلُهَا فتمشى مِشْيَةَ النِّعَامَةِ .

وقال الرَّاجِزُ ^(٢) :

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَنِيفِ الْعَرْفَجِ ^(٣)

وَالرَّتْكَ : مَشَى سَرِيعًا . يَقُولُ تَبَادَرُ إِلَى الْكَنِيفِ ^(٤) تَسْتَرُّ بِهِ ^(٥)

مِنَ الْبَرْدِ . وَقَالَ :

رَتَكَ النِّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ ^(٦) *

= المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعين ، فهن يمشين على تودة . انظر شرح
المفضليات . ورواية المفضليات : « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى :

« تَزَجَّى » بنزع إحدى التامين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكري ، من قصيدة مفضلية .
٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدا بأرحلنا ولم يتعرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتي يشهد لصحة هذا النص عنده هو ،
وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما في
المفضليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللَّقَّاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَنِيفِ الْعَرْفَجِ

وبعده :

الْفَيْتِنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت في آخر
النهار راجعة إلى مأواها . رتك للنعام : أى مثل رتك للنعام . ولرتك ، بالفتح
والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف . وأما الكنيف ، بالنون ، فهو حظيرة
تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفي الكلام نقص ، أهله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انمرب الوحشى : دخل في كناسه .

(٦) طريق حام : أى حى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أحد لرتك النعامة .

(استقبال الظالم للريح)

وليسَ لقولٍ مَنْ زعمَ أنَّ الظَّليمَ إذا عدا استقبلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك مخافة أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكبته ^(١)] - معنى ؛ لأننا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعونه ^(٢) باستقبال الرِّيحِ [. قال عبدة بن الطَّيِّب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو مبركٌ لسانُه عن شِمالِ الشَّدقِ مَعْدُولُ ^(٣)
ووصف الذَّيْبَ طُفيلُ الغَنَوَى ، فقال :

كسيدر الغضا العادي أضلَّ جِراءَهُ على شرفٍ مُستقبلِ الرِّيحِ يلحِب ^(٤)

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبتاً فاذكبت . ومن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسبتها وألقها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يسترعونه » ، أى يعدونه سريعاً . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشَبِّهُ مُنْخَضُها وَالْحَيْلُ تَهْفُو هُفْواً ظِلٌّ فَتَحْخَأُ الْجَنَاحُ

وابترك : انتحى على أحد شقيه في عدوه . ط : ه : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشدق هى فى س : « السدق » ه : « السدف » صوابهما فى ط والمفضليات . وأول البيت فى كل من ط ، ه : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تاجاً إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب . ط : « العاوى » ه : « العارى » ، صوابهما فى س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جِراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع فى عدوه مجتهداً ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الميوان : « عللاً شرفاً » . يلحِب : =

(استطراد)

وَيُلْحَقُ ^(١) بموضع ذِكْرِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ ، قولهم في المثل : « ضَرَبْنَاَهُمْ
ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ » . قال أبو حِيَّةَ :
جَدِيرُونَ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا
وَأَنْ يَتْرَكُوا الْكَبْشَ الْمَدَجَّ ثَاوِيَا ^(٢)
ضَرَبْنَاَهُمْ ضَرْبَ الْحَسَامَا غَرَائِبِ

وإذا جاءك عطاشا لعسا حاراً ضواريًا ^(٣)
وإذا جاءت عطاشاً قد بلغ منها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءتْ تَصِلُ

= يمر مرا سريعاً . وفي الأصل : « يلهث » ، ضوابة ما أثبت . والبيت من قصيدة بائنة
لطفيل ، أولها :

تَأَوَّبَتِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ

وهو قد نعت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَلِجَامِهِ سَنًا ضَرَمَ مِنْ عَرَفِيجٍ يَتْلَهُبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبي العجوز » ، استطراد
من الجاحظ لاعلاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى يدماء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس .
المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . هـ : « الكيس » س : « الكبش »
س ، هـ : « المحدد » مكان : « المدجج » ، هـ : « قاويا » . و صواب
رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . هـ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشياً ،
لم أجده مرجعاً يعين على تحقيقه .

أجوافها صليلا . قال الراعي :

فَسَقَوْا صَوَادِي يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجَوَافِهِنَّ صَلِيلًا

قال : وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة ، لمزاحم العَقِيلِي (١) :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَاتَمَ ظَمُؤُهَا تَصِلُ ، وَعَنْ قَبِيضٍ بَزِيرَاءَ تَجْهَلُ (٢)

قال : الزَّيْرَاءُ (٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمْ يَأُمَّ حَسَّانَ أَنَّنِي إِذَا عَبْرَةٌ نَهَهْتُهَا فَتَجَلَّتْ (٥)

١٣٤ رَجَعَتْ إِلَى صَدْرٍ كَجَرَّةٍ حَنَمَ إِذَا قُرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتْ (٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بلوى إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أي أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارَتْ لذلك عند تمام ظمئها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردتين . وروى في الكامل والمختصر (١٤ : ٥٧) : « تم خسمها » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد في الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلال) . ط : « يعدما » تحريف . والقيض . بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيراء ، بالكسر والفتح : ما غلظ من الأرض . هـ : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غداة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حنم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هي زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعم ابن أبي العجوز الحوَّاء ، أَنَّ الأفاعى صُمِّمٌ ، فلذلك لا تجيب الرُّقى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس^(١) أَنَّ أمير المؤمنين المنصور ، أراد امتحان رُقى حيَّة^(٢) وَأَنْ يتعرَّفَ صحتَّها من سُقمها ، وأَنَّهُ أَمَرَ^(٣) فصاغوا له أَفْعَى من رصاص ، فجاءت ولا يَشْكُ النَّاظِرُ فيها ؛ وأَنَّهُ أَمَرَ^(٤) بالزاقها فى موضعٍ من السَّقْفِ ؛ وأَنَّهُ أَحْضَرَهُ وقال [له] : إِنَّ هذه الأفعى قد صارت فى هذه الدَّارِ ، وقد كرَّهْتُها لمكانها ؛ فإنَّ اختَلَّتْ لى برُقىة ، أو بما أَحَبَبْتَ^(٥) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . قال : إنَّ أَرَدْتُ أَنْ آخذها هَرَبْتُ^(٦) ولكنْ أَرِقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لا تتحرَّكُ زَادَ فى رَفْعِ صوته وألقى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لا تتحرَّكُ نَزَعَ عِمَامَتَهُ وزاد فى رَفْعِ صوته ، فلما رآها لا تتحرَّكُ نَزَعَ قَلْبَسَوْتَهُ وزَادَ فى رَفْعِ صوته . فلما رآها لا تتحرَّكُ نَزَعَ ثِيَابَهُ ، وزاد فى رَفْعِ صوته^(٧) ، حَتَّى أَزِيدَ^(٨) ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الختم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبي العجوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » ، صوابهما ما أثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدل : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . هـ : « أزيد » ، صوابهما ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر منه الزيد على جانبى الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلك المنصورُ بجوْدَةِ رُقِيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أنَّ الأفاعيَّ لا تجيب الرُقَى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى نفار النعامة)

وقال الشاعرُ :

ورَبْداء يَكْفِيها الشَّمِيمُ ومالها سوى الرُّبْدِ من أنسٍ بتلك المِجَاهِلِ
يُخبر أنَّ النِّعامة لاتستأنسُ بشيءٍ من الوحشِ ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها فى فهم
ما تحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النَّاسِ ، فليس معها من الوحشة
منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها ^(١) مالا يأنس . وقال كثير :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ مَاعِشْتُ لَيْلَةً وَإِنْ شَحَطْتُ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُهَا ^(٢)
وما استنَّ رَقراقُ السَّرابِ وما جَرَتْ بييض الرُّبَا أنسيُّها ونَوَارُهَا ^(٣)

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علل العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالاً مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهمزة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلاداً قفاراً^(١) غيرَ مأنوسة فقال :

مَا تَرَى الْعَيْنُ حَوْلَهَا مِنْ أَنْيْسٍ قُرْبَهَا غَيْرِ رَابِدَاتِ الرِّثَالِ^(٢)
خَصَّهَا بِالذُّكْرِ ؛ لِأَنَّهَا أَنْفَرُ وَأَشْرَدُ ، وَأَقْلُ أَنْسَاءَ مِنْ جَمِيعِ الْوَحْشِ .
وَقَالَ الْأَحْمِرُ^(٣) : كُنْتُ أَتَى الطَّبِيَّ حَتَّى أَخْذَ بِذِرَاعِيهِ ؛ وَمَا كَانَ شَيْءٌ
مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ يَنْكَرُنِي إِلَّا النَّعَامُ^(٤) .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

وَكَلَّ أَحَمَّ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٥)

= وَالْأَنْسَةُ بِالْتَحْرِيكِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الْإِتْنَاسِ . وَيُقَالُ بِكُسْرِهَا نِسْبَةً إِلَى الْإِنْسِ ،
بِالْكَسْرِ ، وَهِيَ بَنُو آدَمَ . وَيُقَالُ بِضَمِّهَا نِسْبَةً إِلَى الْإِنْسِ ، بِالْفَعْمِ ، وَهِيَ ضِدُّ
الْوَحْشَةِ . وَأَوَّلُ هَذِهِ اللَّغَاتِ أضعفها . وَقَدْ أعَادَ الضَّمِيرُ فِي « أَنْسِهَا » إِلَى الْحَيَوَانِ ،
وَلَمْ يَذْكُرْهُ ، وَلَكِنَّهُ مَفْهُومٌ ضَمْنًا . وَالنَّوَارُ ، بِالْفَتْحِ : النَّافِرُ الَّذِي لَا يَسْتَأْنِسُ
مِنَ الْحَيَوَانِ . وَالرَّوَايَةُ فِي دِيْوَانِ كَثِيرٍ (١ : ٩١) : « وَحْشِيهَا وَنَوَارِهَا » .
(١) س : « أَقْفَارًا » .

(٢) الرَّابِدَاتُ : الْمُقِيمَاتُ . رِبْدٌ رِبُودًا : أَقَامَ . وَالرِّثَالُ : جَمْعُ رَأْلٍ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ وَلَدُ
النَّعَامِ . وَفُسِّرَتْ « الرَّابِدَاتُ » فِي شَرْحِ دِيْوَانِ كَثِيرٍ (١ : ١٤٨) بِأَنَّهَا « صِفَةُ بِمَعْنَى
الرَّيْدِ جَمْعُ رِبْدَاءٍ ، وَهِيَ الَّتِي فِي سَوَادِهَا نَقَطٌ بَيْضٌ أَوْ حُمْرٌ » . وَلَعَلَّ مَا فُسِّرَتْ بِهِ أَقْرَبُ
إِلَى الْإِشْتِقَاقِ . فَلَيْسَ فِي الْمَعَاجِمِ الَّتِي بَأْيَدِينَا « رَابِدٌ » بِمَعْنَى « أَرَبَدٌ » .
(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ١٣٣) . وَالْخَبَرُ فِي الْعَقْدِ (٤ : ٢٣٨) وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ
(٢ : ٨٨) .

(٤) كَذَا أوردَ الْجَاهِظُ الْخَبَرَ مُقْتَضِبًا ، وَهُوَ بَنَاهُ ، كَمَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨٨)
« كُنْتُ حِينَ خَلَعْتُ قَوِي ، وَأَطْلُ السُّلْطَانِ دُمِي ؛ وَهَرَبْتُ وَتَرَدَّدْتُ فِي الْبَوَاقِي
ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ جَزَتْ نَخْلَ وَبَارٍ ، أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا . وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَى النَّوْصَ
فِي رَجْعِ اللَّذْثَابِ . وَكُنْتُ أَغْشَى الطَّبَاءَ وَغَيْرَهَا مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ فَلَا تَنْفَرُ مِنِّي ؛
لِأَنَّهَا لَمْ تَرِ أَحَدًا قَبْلِي . وَكُنْتُ أَمْشِي إِلَى الطَّبِيِّ السَّمِينِ فَسَأَخْذُهُ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ رَأَيْتُ
جَمِيعَ تِلْكَ الْوَحْشِ ؛ إِلَّا النَّعَامَ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرَهُ قَطُّ إِلَّا نَافِرًا فَرَعَا » .

(٥) أَحَمٌ : أَسْوَدٌ . وَالْمَقْلَةُ ، بِالضَّمِّ : حُدُقَةُ الْعَيْنِ . لَا وَأَرَادَ بِهِ الطَّبِيَّ . وَالْخَلَاءُ الْمَغْفَلُ :
الَّذِي لَا عَلَامَةَ فِيهِ وَلَا أَثَرَ . وَضَبِطَ « كُلٌّ » بِالنَّصْبِ ؛ لِأَنَّ قَبِيلَ الْبَيْتِ كَلَّ
فِي الدِّيْوَانِ ٥٥٥ :

(نِفَارِ الْوَحْشِ وَهَرَبِهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قدرٍ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصَّحَارَى
الْأَغْفَالِ^(١) ، التي لم يُذْعَرْ صَيْدُهَا ، وَلَا يَطْوُهَا النَّاسُ ، فَيَأْتُونَ الْوَحْشَ
فَوْضَى كَمَلًا ، وَمَعَهُمْ كَلَابُهُمْ وَفُهْوُهُمْ تَتَلَوَّى^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى
الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَوْ كَانُوا ابْتَدَعُوا الصَّيْدَ مِنْ جِهَتِهَا لَأَخَذُوا مَا أَخَذُوا . فَإِذَا نَفَرَتْ
وَحُوشُ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَمَرَّتْ بِالْأَرْضِ الْمَجَاوِرَةِ لَهَا ، نَفَرَتْ سُكَّانُ
تِلْكَ الْأَرْضِ مَعَ هَذِهِ التَّوَافِرِ ، وَلَا تَعُودُ تِلْكَ الصَّحَارَى إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ
عَلَيْهِ ، مِنْ كَثَرَةِ الْوَحْشِ حِينَئِذٍ :

ومَتَى لَمْ تَنْفَرْهَا الْأَعْرَابُ بِالْكَلابِ وَالْقِسِيِّ ، وَنَضَبِ الْحَبَائِلِ ، رَتَعَتْ
بِقُرْبِهِمْ ، ثُمَّ دَنَتْ مِنْهُمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، حَتَّى تَطَأَ أَكْنَافَ بَيْوتِهِمْ .
وَهِيَ الْيَوْمَ فِي حَيْرٍ^(٣) الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ^(٤) وَالْوَائِقِ بِاللَّهِ^(٥) عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ .

= دَعَتْ مِثْلَ الْأَعْدَادِ فَاسْتَبَدَلَتْ بِهَا خَنَاطِيلَ آجَالٍ مِنَ الْعَيْنِ خُذِلَ
وَبَعْدَهُ سَبْعَةُ آيَاتٍ ، ثُمَّ :

وَكُلُّ مُوشَاةٍ الْقَوَائِمِ نَعْمَةٌ لَهَا ذَرَعٌ قَدْ أَحْرَزَتْهُ وَمُعْطَلٌ
تَرْتَعٍ لَهُ رِيحُ الْمُهْجَانِ وَأَقْبَلَتْ لَهَا فَرْقُ الْأَجَالِ مِنْ كُلِّ مَقْبَلٍ
ثُمَّ الْبَيْتُ : « وَكُلُّ أَحْمَ الْمُقْلَتَيْنِ » .

(١) الْأَغْفَالُ : الَّتِي لَا عِلَامَةَ فِيهَا وَلَا أَثَرَ .

(٢) س : « مَلَوَى » ! .

(٣) الْحَيْرُ ، بِالْفَتْحِ : الْبَسْتَانُ ، أَوْ الْمَوْضِعُ الْمَطْمِنُ الْوَسْطُ الْمُرْتَفِعُ الْحُرُوفِ . وَهِيَ
الْحَاثِرُ . جَاءَ فِي السَّانِ : « وَبِالْبَصْرَةِ حَاثِرُ الْحِجَابِ » ، مَعْرُوفٌ ، يَابِسٌ لِأَمَاءٍ فِيهِ .
وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَسْمِيهِ الْحَيْرَ ، كَمَا يَقُولُونَ لِعَايِشَةٍ : عَيْشَةُ . يَسْتَحْسِنُونَ التَّخْفِيفَ

وَطَرَحَ الْأَلْفَ . فِي ط ، س : « حَيْزٌ » هـ : « حَدٌ » صَوَاهِمَا مَا أَثْبَتَ .

(٤) الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ ، بَويعَ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٢١٨ بَعْدَ وَفَاةِ
الْمَأْمُونِ ، وَهُوَ فَاتِحُ عُمُورِيَّةٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَضَافَ مِنَ الْخُلَفَاءِ اسْمَهُ إِلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى .
تَوَفَّى بِسَامَرَا سَنَةَ ٢٢٧ .

(٥) الْوَائِقُ بِاللَّهِ ، هُوَ هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَهُوَ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ . وَلى
بَعْدَ أَبِيهِ سَنَةَ ٢٢٧ وَتَوَفَّى بِسَامَرَا سَنَةَ ٢٣٢ .

(هجرة الأطباء إلى الناس)

وخبرني إبراهيم بن السندی^(١) قال : خبرني عبد الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحب الموصل ، أن خالد بن برمك ، بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغذون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خراسان إلى الجبل . قال : وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال . قال : فينا خالد يتغذى معه . وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علقوا على دوابهم^(٥) ، ونصبوا قدورهم ، وقربوا سفرهم^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندی بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندی ابن شاهك ، كان يلي الحسين ببغداد للرشد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ماسى .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائي ، صاحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، يفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغذاء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهى البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا فى س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتى فى موضعه قريباً .

(٥) فى اللسان : « والعليق : القضم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : الشعر . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا فى مصر ، يستعملها سواس البهائم . هـ : « علقوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى طعام المسافر ، وتقال لتلك التى تبسط ويؤكل عليها ، والى يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى الصَّحَرَاءِ ، فَرَأَى أَقَاطِيعَ الظُّبَاءِ قَدْ أَقْبَلَتْ
 مِنْ جِهَةِ الصَّحَارَى ، حَتَّى كَادَتْ تَخَالِطُ الْعَسْكَرَ ، فَقَالَ لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ ! نَادِ فِي النَّاسِ : « يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ^(١) » ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ حَثَّ
 إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وَعَامَّةُ أَصْحَابِكَ لَنْ يَسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قَبْلَ أَنْ يَرَوْا سَرْعَانَ
 الْخَيْلِ ^(٢) . فَقَامَ قَحْطَبَةُ مَذْعُورًا ، فَلَمَّا لَمْ يَرِ شَيْئًا يَرُوعُهُ ، وَلَمْ يَرَ غُبَارًا
 قَالَ لَخَالِدٍ : مَا هَذَا الرَّأْيُ ! قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! لَا تَتَشَاغَلْ بِي وَبِكَلَامِي ، وَنَادِ
 فِي النَّاسِ ^(٣) . أَمَا تَرَى أَقَاطِيعَ الْوَحْشِ قَدْ أَقْبَلَتْ ، فَارَقَتْ ^(٤) مَوَاضِعَهَا
 حَتَّى خَالَطَتْ النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وَرَاءَهَا جَمْعًا عَظِيمًا ^(٥) ! . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَجْمُوا
 وَأَسْرَجُوا ^(٦) حَتَّى رَأَوْا سَاطِعَ الْغُبَارِ ، وَلَا تَلْبَسُوا ^(٧) وَتَسْلَحُوا حَتَّى رَأَوْا
 الطَّلِيعَةَ ^(٨) . فَمَا التَّأَمُّوا حَتَّى اسْتَوَى أَصْحَابُ قَحْطَبَةَ عَلَى ظُهُورِ خَيْولِهِمْ .
 وَلَوْلَا نَظْرَةُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَفِرَاسَتُهُ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْجَيْشُ اصْطِطَمَ ^(٩) .

(١) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه
 عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملاً
 ومثلاً سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفي الأصل : « وغاية أصحابك أن
 يسرجوا » ، صوابه من ابن أبي الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا في هـ . وفي س : « نادى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى
 في الناس » بحرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفي ابن أبي الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيماً » . وفي ابن أبي الحديد : « وإن وراءها لجمعاً كثيفاً » .

(٦) أى وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طلعة الجيش : أولهم . س : « الطلبة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستوصل .

(قصة في قوة الشم)

وكان إبراهيم [بن^(١)] السندى يحدثنا من صدق حس أبيه في الشم ،
بشيء ما يحكى مثله إلا عن السباع والذرّ والنعام . وزعم أن أباه قال ذات
يوم : أجد ريح بول فأرة ! ثم تشمّم وأجال أنفه في المجلس ، فقال : هو
في تلك الزاوية ! فنظروا فإذا على طرف البساط من البلل بقدر الدرهم ،
أو أوسع شيئاً ، فقصوا أنه بول فأرة .

٣٣٦

قال : وشهدته مرة وأشراطه^(٢) قيام على رأسه في السماطين^(٣) ،
فقال : أجد ريح جورب عفن متّن ! فتشمّمنا بأجمعنا ، فلم نجد شيئاً ،
ثم تشمّم وقال : انزعوا خفّ ذلك . فنزعوا خفّه ، فكلما مدّ النازع له
شيئاً بدا من لفافته . فما زال النتن يكثف ويزداد ، حتى خلع خفّه ونزع
من رجله ، فظهر من نتن لفافته ما عرف به صدق حسّه . ثم قال : انزعوا
الآن أخفافكم بأجمعكم ، فلا بدّ من ألا يكون في جميع اللفائف متّن
غير لفافته ، أو تكون لفافته أتنها ، فنزعوا ، فلم يجدوا في جميعها لفافة
منتنة غيرها .

وأنشدوا :

غزا ابن عمير غزوة تركت لنا ثناءً كنتن الجورب المتخرق^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشرط : الحرس ، مثله ما جاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

في ندای بیض الوجوه کرام نبهوا بعد هجعة الأشرط

(٣) السماطين : مثنى سباط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وفي

ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التَّشَمُّمِ)

وليس الذى يُحْكِي من صدقِ الحسِّ فى الشَّمِّ - عن بعض النَّاسِ ،
 «عن النِّعَامِ والسَّباعِ ، والفَّارِّ والذَّرِّ ، وضروبٍ من الحشرات - من شكل
 ما نطق»^(١) به القرآن العظيم ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسلام
 حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونِ .
 قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَبِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال
 يوسفُ : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَبِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بِصِيرًا وَأْتُونِى
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونِ ﴾ ، ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإمَّا هذا علامةٌ ظَهَرَتْ له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتُمون
 أرواحَ أولادِهِمْ^(٢) إذا تَبَاعَدُوا عن أنوفِهِمْ ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدُ
 ريحَ الحِجَرِ ممَّا يجوز الغاوتين والثَّلاث^(٣) . فكيف يجدُ الإنسانُ وهو
 بالشَّامِ ريحَ ابنه فى قبيصه ، ساعةَ فصلٍ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم
 المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتنزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « ما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتُمون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل .

يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمُّم
 الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عاماً^(١) ، لا يذوق ذَوَاقاً^(٢) . وجاع أهل المدينة في تلك الحُطْمَةِ^(٣) ، حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول : « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمَنِي وَيَسْقِينِي » .

(حِجَابُ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِهِ)

وَرَجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ ، يُظْهِرُونَ التَّقَدُّرَ مِنَ الصَّيْدِ ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّيْدِ لَتَوَدِّعُهُمُ الضَّرَاوَةُ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غبر : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لا يكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يلذ ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقا : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجذوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القند والعظام والعلهز . فنال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحايث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدي (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ من ١٣) .

مِنْ طُرُوقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ لِلطُّبَاءِ ، الَّتِي تَنْقَطِعُ عَنْ
الْخِشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ كَهَزْلًا وَجُوعًا ، وَإِشْلَاءِ السَّبَاعِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ .
١٣٧ وَسَتْسَلِمُ (٢) أَهْلُهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاؤُنِ بِدِمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَدَى ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
الصَّبَّيَّ . وَصَغَارُ الْأُمُورِ تَوْدِي إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُودَى إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمًا مَّا .
وَأَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمِنَ النَّصَارَى ؛
لِمُضَاهَاةِ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبُغْضِ لِإِرَاقَةِ
الدِّمَاءِ ، وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ .

وَقَدْ كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنْدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سَبَاعِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَاعِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ
الْبَتَّةَ أَنْ يَقْفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرَفَةً عَيْنٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ
شَرًّا صِرْفًا ، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْمُورًا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتَحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ النُّورِ لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالذَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ .

(١) الْخِشْفَانِ : جَمْعُ غَرِيبٍ لِلْخِشْفِ ، بِتَثْنِيتِ الْخَاءِ ، وَهُوَ وَلَدُ الظُّبْيَةِ عِنْدَ مَا يَتَحَرَّكُ
لِلْمَشْيِ . وَلَمْ أَرِ هَذَا الْجَمْعَ فِي مَعْجَمٍ ، وَجَمَعَهُ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ عَلَى « خَشْفَةٍ » .
بِكَسْرِ فَتْحٍ .

(٢) أَيْ ، وَسَتْسَلِمُ الضَّرَاوَةَ . فِي الْأَصْلِ : « سَتْسَلِمَ » بِدُونِ وَاوٍ . وَالْمُرَادُ بِالسَّبَاعِ هُنَا الْحَيَوَانَ
الْمَفْتَرَسَ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ، كَالْكَلَابِ وَالْفُهُودِ وَالْبُرَازَةِ .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذلك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتها ، والعون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والبهيمة التي يرون أن يدفعوا عنها أيضاً مزوجة^(١) ، إلا أن^(٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ؛ لأن الأغلب على طباعها النور فليغتفروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيا من أجزاء الشر^(٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والسرور^(٤) على مافي البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذ كان أكثر أجزائها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أنتم فيه ، من أكل الحيوان كل يوم من^(٥) الذبائح ، مكروه عند الله ، أنكم لم تروا قط ذبأحي^(٦) الحيوان ولا قتال^(٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون^(٨) أبدا . ويستغنون^(٩) ؛ كندحو صيادي السمك وصيادي الوحش^(١٠) وأصناف الجزارين والقصابين ، والشوائين والطهائين

(١) أى مزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه في ط ، ه .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : ه : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) ه : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملائته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، ه : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفَهَّادِينَ^(١) والبيازرة^(٢) والصَّقَّارِينَ والكَلَابِينَ ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غِنًى وَيُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى حالٍ مشبهةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجَلَّادُونَ ، ومن يضربُ الأعناق بين يَدَيِ المَلُوكِ . وكذلك أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وَحَتَّى ترى بعضهم وإن خَرَجَ نادرًا خارجيًا ، ونال منهم ثروةٌ وجَاهًا وسُلْطَانًا ، فَإِذَا أن يُقْتَلَ ، وَإِذَا أن يُغْتَصَبَ^(٥) نَفْسُهُ بِمِيتَةٍ عاجلة ، عندَ سروره بالثروة ؛ أو يبعث الله عليه الحق^(٦) فلا يَنُمُو له شيء ، وإِذَا ألا يجعل من نسلهم عَقِبًا مذكورًا ، ولا ذِكْرًا نبيهاً وَذُرِّيَّةً طَيِّبَةً مثل الحَجَّاج بن يوسف ، وأبي مسلم^(٧) ، ويزيد بن أبي

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة : بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ه : « البيازرة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) الحق ، بالفتح : التقصان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة . قتله أبوجعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحِبُّ أن نسميهم .
 قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطَّروقة^(٣) وظهورِ القدرة ، مع كثرة
 الأنسال ، قد قَبِحَ اللهُ أمرهم ، وأُحْمِلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعَقَّبْ ،
 أو يَبْنَ مَنْ هُوَ في معنى مَنْ لم يُعَقَّبْ .
 فقلت للنَّصارى بدياً : كيف كان النَّاسُ أَيَّامَ الحُكْمِ بما في التَّوراة
 أَيَّامَ^(٤) موسى ودَاوُدَ ، وهما صاحبا حُرُوبٍ وَقَتْلٍ ، وَسِبَاءٍ وَذَبَائِحَ ؟ ! نعم .
 حتى كان القُرْبَانُ كُلُّهُ أو عامَّتُهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيْتُم بيت المَذْبَحِ .
 ولَسْنَا نَسْأَلُكُمْ عن سِيرة النَّصارى اليومَ ، وَلَكِنَّا نَسْأَلُكُمْ عن دينِ
 موسى وَحُكْمِ التَّوراةِ ، وَحُكْمِ صاحب الزَّبور . وما زالوا عندكم إلى أن
 أنْكَرُوا رُبُوبِيَّةَ الْمَسِيحِ ، على أَكْثَرِ من حالنا اليومَ في الذَّبَائِحِ .
 وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تَغْلُونَ عَلَيْنَا السَّمَكَ حَتَّى نَتَوَخَّى أَيَّاماً
 بأعيانها ، فلا نَشْتَرِي السَّمَكَ إِلَّا فِيهَا ؛ طلباً للإمکانِ والاستِرخَاصِ
 وهى يومُ الخميسِ ، ويومُ السبتِ ويومُ الثَّلَاثاءِ ؛ لأنَّ شِراءَكُمْ في ذلك

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكتبه ،
 ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن
 عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه
 درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
 وفى س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتي .
 على الصواب فى ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفاً .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

«الْيَوْمَ يَقِيلُ . عَلَى أَنْكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ فِي أَيَّامِ الْفِصْحِ» (١) وهل
تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ، وَسَاعَاتٍ مَعْلُومَةٍ ؟ !

فإذا كانت الحِرْفَةُ وَالْمَحْنُ إِنَّمَا لِرِمَا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَّائِينَ ،
وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، مِنْ جِهَةِ الْعُقُوبَةِ — فَأَنْتُمْ شُرَكَاءُ صَيَّادِي السَّمَكِ
خَاصَّةً ، لِأَنَّكُمْ آكَلُ الْخَلْقِ لَهُ ، وَأَنْتُمْ أَيْضًا شُرَكَاءُ الْقَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ
الدَّهْرِ . فَلَا أَنْتُمْ تَدِينُونَ لِلْإِسْلَامِ فَتَعْرِفُوا مَا عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ ، وَفَصْلُ (٢)
مابين الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وَمَا الرَّحْمَةُ ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَكُونُ ذَلِكَ الْقَتْلُ
رَحْمَةً ؟ فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ قَتْلَ الْبَعْضِ إِيحَاءًا لِلْجَمِيعِ ، وَأَنَّ إِصْلَاحَ
النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جَزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) .
وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وَهَذَا شَيْءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا ، غَيْرَ الزَّانِدَةِ .
وَالزَّانِدَةُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، وَلَا كَانَ لَهَا مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ
بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمُنَاقٍ . فَلَا أَنْتُمْ زَانِدَةٌ . وَلَا يَنْكَرُ لِمَنْ كَانَ ذَلِكَ
مَذْهَبُهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فَأَنْتُمْ لَادَهْرِيَّةٌ (٤) ، وَلَا زَانِدَةٌ ، وَلَا مُسْلِمُونَ ؛ وَلَا أَنْتُمْ رَاضُونَ
بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ — وَهُوَ عَدْلٌ — فَلَيْسَ بَيْنَ
الزَّمَانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للتصاري . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧)
والتنبية والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أي فرق . في الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم في القصاص » . وهو مهو من الكتاب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة في ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وَتَتَقَذَّرُونَ مِنَ
الْأَحْمَانِ ! أَفَلَا نَسَمَكُ لَا يَأْلُمُ الْقَتْلَ ، أَمْ لِأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بَلَا سَيِّئِينَ
لَمْ يُحْسَ (١) قَتْلُهُ ؟ ! فَالْجَمِيعُ حَيَوَانٌ ، وَكُلُّ مُقْتُولٍ يَأْلُمُ ، وَكُلُّ يُحْسٍ .
فَكَيْفَ صَارَ أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الْبَهَائِمِ قَسْوَةً ، وَلَا تَكُونُ تَفْرِقَةُ مَا بَيْنَ السَّمَكِ وَالْمَاءِ حَتَّى
تَمُوتَ (٢) قَسْوَةً ! وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وَصَيْدُ السَّمَكِ بِالسَّنَانِيرِ
الْمَذْرَبَةِ الْمَعْقِفَةِ (٣) لَيْسَ لَهَا شَعَائِرُ تَخَالِفُ الْعُقَافَ الْمَنْصُوصَ (٤) فِي جِهَاتِهَا .
وَكَيْفَ وَهِيَ وَإِنْ لَمْ تَنْشَبْ فِي أَجْوَافِهَا ، وَتَقْبِضُ عَلَى مَجَامِعِ أَرْوَاحِهَا ، لَمْ تَقْلِرْ
عَلَى أَخْذِهَا ؟ !

وَكَيْفَ صَارَ وَجْهُ اللَّبَّةِ (٥) مِنَ الْجَزُورِ أَقْسَى مِنْ ضَرْبِ النَّبَائِلِ (٦) ؟ !
أَمْ كَيْفَ صَارَ طَعْنُ الْعَيْرِ (٧) بِالرُّمَحِ ، وَنَصَبُ الْحَبَائِلِ لِلظُّبَاءِ ، وَإِرْسَالُ
الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدَّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ (٨) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

(١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، ه .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .

(٣) المذربة : الحدة . والمعقفة : الملوقة .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل . بيد أنه في ط : « العقاب » مكان
« العقاف » .

(٥) وجه اللبّة : طمنها بالسكينة . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
ه : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « و جا » محرفة .
ط : « اللبة » ، صوابها في س ، ه .

(٦) كذا في ط ، ه . وفي س : « النبايل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى السهام .

ولأنكم تكثرون قولكم : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيام صومنا ،
فلسمك دمٌ ، ولا بدّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يشاكل الدّم ، فما وجهُ
اعتلالكم بالدم ؟! الآن^(١) كلُّ شيءٍ فيه دمٌ فهو أشدُّ ألماً ؟ فكيف نعلم ذلك ؟
وما^(٢) الدليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أن ذلك داخلٌ في باب التعبُّد والمصلحة ، لا في باب
القياس والرحمة والقسوة ، فهذا باب آخر . إلا أن تدعوا أن ذوات الدماء^(٣)
أقوى للأبدان ، وآثر^(٤) للتنفوس ، فأردتم بذلك قلة الأثر وضعف البدن .
فإن كان ذلك كذلك فقد ينبغي أن يكون هذا المعنى مستتباً في آكل السمك
من البحرين^(٥)

وأما ما ذكرتم من ملازمة الحرفة لهؤلاء الأصناف ، فإن كلَّ من
نزلت صناعته ، ودقَّ خطرُ تجارتِه ، كذلك سبيله .

وأحلَّ الكسبُ كلّه وأطيبه عند جميع الناس سقى الماء ، إمّا على
الظهر ، وإمّا على دابةٍ . ولم أر سقاءً قطُّ بلغ حال اليسار والثروة . وكذلك
ضربُ اللَّبَنِ ، والطّيّانُ والحراثُ . وكذلك ما صغَرَ من التّجاراتِ
والصناعاتِ .

ألا ترون أن الأموالَ كثيراً ما تكونُ عند الكتاب ، وعند أصحاب
الجوهر ، وعند أصحاب الوشي والأنماط^(٦) ، وعند الصيّافِ

(١) في الأصل : « ألا أن » .

(٢) في الأصل : « وأما » .

(٣) يعني بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفي الأصل : « دواب الماء » .

(٤) آثر : أفعَلَ من الأثر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . في الأصل : « أمر » .
وانظر السياق .

(٥) في الأصل : « في أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنّاطين^(١) ، وعند البحرّيين والبصريين^(٢) . والجلابُ أبدا^(٣) ، والبيازرة^(٤) أيسرُ بمنّ يبتاع منهم .

وجملُ الأموالِ حقٌّ^(٥) بأنْ تُربحَ الجملَ منْ تفريقِ الأموال . وكذلك سبيلُ القصابِ والجزّار ، والشوّاء ، والبازيار^(٦) ، والفهاد .

وأما ما ذكرتم من انقطاعِ نسلِ القساةِ ، وخمولِ^(٧) أولادهم ، كانقطاعِ نسلِ فرعونَ ، وهامانَ ، ونمرود^(٨) ، ومُجنت نصر^(٩) ، وأشباههم ، فإنّ الله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصّلاح أكثرَ من هؤلاءِ بمنّ كان عقيماً أو كان ميناأ^(١٠) ، أو يكونَ بمنّ نبتَ لهم أولادٌ سوءٌ عقوهمُ في حياتهم ، وعرضوهمُ للسّبِّ بعد موتهم - لو جدتموهم .

وعلى أنى لم أنصبَ نفسى حرباً للحجاج^(١١) بن يوسف ، ويزيد

(١) الحنّاط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون للرفيق والعيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أخرى » من التراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتمهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازياز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدأ : « وجل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمتنثات : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحاجج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم^(١) ، أخرى بهما^(٢) ، وهما عندي من أهل الدار . ولكي عرفتم مغزاكم .

وعلى أنكم ليس القصاصين أردتم ، ولكيكم أردتم دين المسلمين .

وقد خرج الحجاج من الدنيا سليماً في بدنه ، وظاهر نعمته ، وعلى مرتبته من الملك ، ومكانه من جواز الأمر والنهي^(٣) .

فإن كان الله عندكم سلمه وعاقب أولاده ، وكان ذلك ذنبكم فإن هذا قول إن خاطبتم به الجبرية^(٤) فعسى أن تتعلقوا منهم بسبب ، فأما من صحح القول بالعدل^(٥) فإن هذا القول عنده من الخطأ الفاحش الذي لا شبهة فيه .

(شعر في القانص وفقره)

وكان مما أنشدوا من الدليل على أن القانص لا يزال فقيراً — قول ذى الرمة :

(١) سبقت ترجمته في ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهي : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة " هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرأما في الفعل ، وسمى ذلك كسبا ، فليس بجبري . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً — جبريا . الملل والنحل

(١ : ١٠٨) .

(٥) يعني المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طِبَبٌ^(١)
وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَغْلُو عَاقِرًا لَهَبٌ^(٢)
هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسُ مَخَصَّرَةٌ شَوَاذِبُ لَاحَهَا التَّقْرِيبِ وَالْخَبِيبُ^(٣)
جَرْدٌ مُهَرَّتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبُ^(٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رمل . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذورها كأنه الجبال أو القضبان مقبلة عليك . والطيب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا راها » ه : « إذا نانها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طب) . س ، ه « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قب » ه : « طن » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، ه : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقرة من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الشر » .

قلت : ممن جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولت بذاك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غيرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشاذب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التغريث والجنب » . التغريث : التجويع . والجنب بالحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلتزق رنته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

وَمُطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِيُغَيِّتَهُ أَلْنَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْدَسُبُ^(١)
مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ^(٢)
فَانْصَاعَ جَانِبُهُ الْوَحْشَى وَأَنْكَدَرَتْ
يلحن لا يأتلى المطلوب والطلب^(٣)

قال : فجعله كما ترى مقزعا أطلس الأطمار ، وخبر أن كلابه نشبه ،
وأنه ألقى أباه كذلك .
وأنشدوا في ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرة الأشداق : واستها . والسراحين : الذئاب ، واحدا
سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد في أعناق الكلاب ، واحدا
عذبة ، بالتحريك .

﴿١﴾ مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم
وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبة
بفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، هـ : « هناك لنقته » محرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألقى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذاك أمهر له .

﴿٢﴾ مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو
الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو
الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ما تصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

﴿٣﴾ انصاع : ذهب سريعا . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحن : يسلكن
طريقا لاحبا مهيدا . أو يمررن مرأ سريعا . لا يأتلى : أى لا يترك جهدا ولا يخفض من
جره . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يابأ »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار للعرب ، واللسان (صوع ،
لحب ، طلب) .

- وَأَعَصَمَ أَنْسَتَهُ الْمَنِيَّةُ نَفْسَهُ رَعَى النَّبْعَ وَالظَّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَغَرٍ (١)
 جَوَارِدُهُ قَلْتُ تَصَفَّقُهُ الصَّبَا بَنِيْقٍ مُزَلٍّ ، غَيْرُ كَدَرٍ وَلَا نَزَرٍ (٢)
 قَرَنَتُهُ السَّحَابُ مَاءَهَا ، وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ غُصُونُ دَانِيَاتٍ مِنْ السَّمَرِ (٣)
 أُتِيحَ لَهُ طَلْحٌ إِزَاهُ بِكَفِّهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخَيِّرُنَ مِنْ حَجَرٍ (٤)
 أَبُو صَبِيَّةٍ لَا يَسْتَلِدِرُ إِذَا شَتَا لَقُوحًا ، وَلَا عَزَاً ، وَلَيْسَ بِذِي وَفَرٍ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبت والظيان » محرف .

(٢) القلت : نفرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ربح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهملت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها الشعر .
 (٤) أُتِيحَ لَهُ : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاه ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة .
 والهتوف : القوس المرنّة المصوّنة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينا رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الطبقى سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافر
 ط ، س : « خنوف » ه : « حتوف » صوابها ما أثبت . وأشباه :
 أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفصح : قصبة النيامة ،
 ينسب إليها للسهام والاتصال ، قال الراعى :

بَوْخَى حَيْثُ قَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ بِحَجَرِي تَرَى فِيهِ اضْطِمَارًا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحائد حجر مقدسة فى الجودة » .

وقال رؤبة :

حَيَّ إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنَ الزَّرَقِ حَجَرِيَّةٌ كَالْجَمْرِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقِ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسمى جاهدًا ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . والقوح =

- ١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمَطَاءٌ يَدْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تَنَاجِيهِ ، وَآخَرُ فِي الْحِجْرِ (١)
 مُشَوَّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيِّبًا وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هِنْدِيًّا بَلِيلٍ عَلَى بَحْمِرٍ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعُرْقُوبِ ثَلَمَ نَابَهَا تَعْرِقُهَا الْأَوْذَارُ مِنْ فَقَرِ الْحَمْرِ (٣)
 مُسَفَّعَةٌ الْخَدَيْنِ ، سَوَّدَ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخْذُ بِالْقَدْرِ (٤)
 كَغُولِ الْفَلَاحَةِ لَمْ تَخْضُبْ بَنَانَهَا وَلَمْ تَدْرِ مَازِي الْخِرَائِدِ بِالْمَصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمًا أَرْهَفَ الْقَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِضْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء
 لما أنه وقت المجاهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون في الربيع . ط : « يستعدوا »
 صوابه في س ، هـ الوفر ، بالفتح : الغنى .

(١) أعمى حجرها . والشمطاء : التي يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك
 كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهينه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعته
 وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، ماسله كالعتل . والهندي :
 أراد به العود الهندي الذي يتبخر به . والتقتير : تهيج القطار ، وهو بالضم :
 ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه .
 والتمرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم .
 وفي الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ،
 بالكسر ، وهي الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نقر » محرفة . والحمير ،
 أصله الحمير بضمين : جمع حمار . غنى ما يصطاده زوجها من حر الوحش . وسكن الميم
 لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص .
 والتقدر ، مثل معناه الطبخ في القدر ، ولم يذكره صاحبنا اللسان والقاموس .
 وفي اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . راقندر أيضاً بمعنى قدو » .
 ط ، س : « تقدرها » ، وأثبت ما في هـ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهي البكر لم تمس ، أو
 الحفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المسترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حننيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر :
 الجنب . والنحر ، بالفتح : أهل الصدر .

(مَسْأَلَةُ الْمَنَانِيَّةِ)

كان أبو إسحاق يسأل المَنَانِيَّةَ ^(١) ، عن مسألةٍ قَرِيبَةِ الْمَأْخَذِ قاطعة ، وكان يزعمُ أنها ليست له .

وذلك أَنَّ الْمَنَانِيَّةَ تَزْعُمُ أَنَّ الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ ، من عشرةِ أَجْناسٍ : خمسةٌ منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌّ وظلمةٌ . وكلُّها حَاسَّةٌ وَحَارَّةٌ .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْكَبٌ مِنْ جَمِيعِهَا عَلَى قَدَرِ مَا يَكُونُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ رُجْحَانٍ أَجْناسِ الْخَيْرِ عَلَى أَجْناسِ الشَّرِّ ، [وَرُجْحَانِ ^(٢)] أَجْناسِ الشَّرِّ عَلَى أَجْناسِ الْخَيْرِ .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ ذَا حَوَاسٍّ خَمْسَةٍ ^(٣) ، فَإِنَّ فِي كُلِّ حَاسَّةٍ مَتَوْنًا ^(٤) مِنْ ضِدِّهِ مِنَ الْأَجْناسِ الْخَمْسَةِ . فَتَمُتِي نَظَرَ الْإِنْسَانُ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ فَتَلَكِ النَّظْرَةُ مِنَ النُّورِ ، وَمِنْ الْخَيْرِ . وَمَتَى نَظَرَ نَظْرَةَ وَعِيدٍ ، فَتَلَكِ النَّظْرَةُ مِنَ الظُّلَمَةِ . وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْحَوَاسِّ .

وَأَنَّ حَاسَّةَ السَّمْعِ جِنْسٌ عَلَى حِدَةٍ ، وَأَنَّ الَّذِي فِي حَاسَّةِ الْبَصَرِ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّورِ ، لَا يَعِينُ الَّذِي فِي حَاسَّةِ السَّمْعِ مِنَ الْخَيْرِ وَلَكِنَّهُ لَا يَضَادُّهُ ^(٥) ،

(١) المَنَانِيَّةُ : أتباع ماني . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم في تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ - ٣٣٧ ليسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) في الأصل : « فاحتاج » . ووجه ما أثبت .

(٤) كذا . وهي صحيحة ؛ فإنَّ المعدود إذا وصف بالمعدود جاز في العدد المطابقة وعندها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ماني س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يَمْنَعُهُ . فهو لا يَعيَنُه ^(١) لكان الخِلافَ والجِنسَ ، ولا يَعيَنُ عليه ؛ لأنَّهُ ليسَ ضِدًّا .

وأنَّ أَجناسَ الشَّرِّ خِلافٌ لِأَجناسِ الشَّرِّ ، ضِدٌّ لِأَجناسِ الخَيْرِ . وَأَجناسُ الخَيْرِ يَخالفُ بَعْضُها بَعْضاً ولا يَضادُّ . وأنَّ التَّعاوَنَ والتَّادِي ^(٢) لا يَقعُ بينَ مُخْتَلِفِها ، ولا بينَ مُضادِّها ^(٣) ، وإِنما يَقعُ بينَ مُتَّفِقِها .

قال : فيقال للمنائى : ما تقول فى رَجُلٍ قال لِرَجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليس السامع قد أدّى إلى الناظر ، والناظر قد أدّى إلى الذائق ؟ ! وإلاّ فلم قال اللسان نعم ! إلاّ وقد سمع للصوت صاحب اللسان ؟ !
وهذه المسألة قصيرة كما ترى ، ولا حيلة له بأن يدفع قوله .

(مُساءلة زنديق)

ومسألة أخرى ، سأل عنها أمير المؤمنين ^(٤) الزنديق الذى كان يكنى بأبى عليّ ، وذلك عندما رأى من تطويل محمد بن الجهم ^(٥) وعجز العتبي ^(٦) . وسوء فهم ^(٧) القاسم بن سيار ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألك عن حرفين

(١) س : « يعنيه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التآدى : التعاون . وفى الأصل : « التآذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « مضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى فى الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٤) .

(٧) فى الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ فى الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يفتشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً فى ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبرني : هل نديم مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندمُ على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل نديم كثيرٌ من المسيئين على إساءتهم . ١٤٢
قال : فخبّرني عن الندم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : الذي نديم هو الذي أساء .
قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشرِّ ، وقد بطل قولكم : إن الذي ينظر نظراً الوعيد غيرُ الذي ينظر نظراً الرحمة . قال : فإنني أزعمُ أنَّ الذي أساء غيرُ الذي نديم : قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من غيره ؟ فتمطعه ^(١) بمسألته ، ولم يتب ولم يرجع ، حتى مات ، وأصله الله نارَ جهنم .

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادُ عجردٍ ناساً في هجائه لعُمارة ^(٢) ، فقال :

لو كنتُ زنديقاً ، عمارُ ، حبوتني أو كنتُ أعبدُ غيرَ ربِّ محمدٍ ^(٣)
أو كنتُ عندك أو تراك عرفتني كالنضر أو ألفتُ كابن المقعد ^(٤)
أو كابن حمادٍ ربيثة دينكم جبل وما جبل الغوى بمُرشدٍ ^(٥)
لكنني وحدث ربِّي مُخلصاً فجفوتني بغضاً لكلِّ موحدٍ

(١) قطعه : أي غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) في الأصل : « لبشار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أي ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتني » .

(٥) الربیثة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى » ووجه ما أثبت من س .

وَحَبَّوْتُ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكُونَتْ

والأرضَ خالقتها لها لم يمهّد^(١)

والنَّسَمَ مثلَ الزَّرْعِ أَنْ حَصَادُهُ مِنْهُ الْحَصِيدُ وَمِنْهُ مَا لَمْ يُحْصَدِ^(٢)

وحامدٌ هذا أشهر بالزُّنْدَقَةِ مِنْ عُمَارَةَ بْنِ حَرْبِيَّةِ^(٣) ، الذى هجاه

بهذه الأبيات .

وأما قوله :

وحبوت من زعم السماء تكونت (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إِنَّ الْفَلَكَ بِمَا فِيهِ مِنَ التَّدْيِيرِ . تَكُونُ بِنَفْسِهِ

وَمِنْ نَفْسِهِ ! فَجَهْلٌ^(٤) حمادٍ بهذا المقدارِ مِنْ مَقَالَةِ الْقَوْمِ^(٥) ، كَأَنَّهُ عِنْدِي

مَّا يَعْرِفُهُ مِنْ بَرَاءَتِهِ السَّاحَةِ^(٦) . فَإِنْ كَانَ قَدْ أَجَابَهُمْ فَأَعْمَا هُوَ مِنْ

مَقْلُدِهِمْ .

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ،

بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل :

« النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغاني (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن

عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حرببة : « وكان له نديم يعرف بمطيع

ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمي

بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص

يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بجاء مهمله بعدها راء وباء موحدة تحتية تلوها

ياء مشناة تحتية . وفى الأغاني (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى

(١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من برأته

للساحة » وكل محرف .

وهجأ حمادُ بن الزُّبرقان^(١) ، حماداً^(٢) الراوية فقال :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
هَدَلْتُ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَقَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْتَنُهَا الْحَدَادُ^(٣)
وَابْيَضَ مِنْ شَرَبِ الْمَدَامَةِ وَجْهَهُ فَيَبَايَضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ

فقد كان^(٤) كما ترى :

هَدَلْتُ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَقَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فقد رأيتُ جماعةً مَمَّنْ يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قد عظمتُ أَنْفَهُمْ^(٥)
وصارت لهم خراطيمُ ، منهم رَوْحُ الصَّائِغِ^(٦) ، وعبدُ الواحد صاحب اللؤلؤى^(٧)

(١) نسبه صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إلى أبي النُّعول ، وكان حماد قد عاب شعراً له .
وانظر الخزائن (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والمعقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعاني (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .

(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفي مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قُدوم النجار ، مؤنثة . في المخصص :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والمعسكرى :
« هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أى أطفالا .
و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . واللواؤى ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدَمَانِ^(١) حمّاد بن الصّباح ، وعبد الله أخو نهر^(٢) ابن عسكر وناس كثير^(٣) .

ويدلّ على ذلك من المنافرة قول جرير للأختل :

١٤٣ وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدّنان كأنّ أنفك دمل^(٤)

وكان منهم يونس بن فروة^(٥) . وفي يونس يقول حمّاد عجرد :

أما ابنُ فروةَ يونسُ فكأنه من كبره أيرُ الخمارِ القائم^(٦)
ما الناسُ عندك غيرُ نفسك وحدها والخلقُ عندك ما خلّاك بهائم^(٧)
إنّ الذي أصبحتَ مفتوناً به سيزول عنك وأنفُ جارِك راغمُ
فتعضُ من ندمِ يدَيْك على الذي فرطت فيه ، كما يعضُ النّادمُ

(١) الندمان ، بالفتح : التديم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى . وفي اللسان : « وقد يكون الندمان واحداً وجمعا » . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هي في الأصل : « أخوا » .

(٣) في الأصل : « وناسا كثيراً » ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ . وما في الشعر يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة للخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) ، والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الخمار » .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُصْبَةِ آخِيهِمْ وَإِخَاهُمْ لَكَ بِالْمَعْرَِّةِ لَازِمٌ^(١)
فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أَنِّي لَعَرَضُكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ
(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحماد الراوية^(٤) ، وحمادُ بن الزُّبرقان^(٥) ،
ويونسُ بن هارون^(٦) ، وعلى بن الخليل^(٧) ، ويزيد بن الفيض^(٨) ، وعُبادة
وجميل بن محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

-
- (١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم »
تصحيحه من س ، هـ .
- (٢) دخلة الرجل ، بتثنية الدال : بطانته .
- (٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى
الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج
فاحشة . توفى سنة ١٦١ : وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .
- (٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبي ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع
فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .
- (٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) « وهو ممن
اتهم بالزندقة .
- (٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن
الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت
ترجمته قريباً .
- (٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ،
لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشد . انظر الأغاني (١٣ :
١٨ - ١٣) .
- (٨) ذكره صاحب لسان الميزان .
- (٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) نقلًا عن الجاحظ
والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن
محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحيف عليه .
- (١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .
- (١١) هو مطيع بن إياس السكتاني ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفاً خليعاً . ولد =

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمارة بن حربية^(٢) ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشارً ينكر عليهم .

ويونس^٣ الذى زعم حمادُ عجردُ أنه قد غرَّ نفسه بهؤلاء ، كان أشهرَ بهذا الرأى منهم ، وقد كان كتب كتاباً للملك الرومِ فى مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه^(٤) .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بنَ عبد الحميد اللّاحقِ ، وبعض هؤلاء ، ذِكرَ
إنسانٍ يرى لهم قدراً وخطراً ، فى هجائيةٍ لأبان^(٥) ، وهو قوله :
جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبان
ونحنُ حَضِرُ رواقِ أميرِ بالنهروان^(٦)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبه فى الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللّاحقِ ، شاعر من طراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليله ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) فى الأغاني ولسان الميزان : « عمارة بن حزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمانى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجوهُ بذلك » .

(٥) - حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء المضاد . وسكن المضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

غشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

- حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةُ الْـ أَوَّلَى أَتَتْ لِأَوَّانٍ^(١)
 فقامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَّانٍ^(٢)
 فَكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَذَانِ^(٣)
 فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ بِذَا ، بَغِيرِ عِيَانٍ؟^(٤)
 لَا أَشْهَدُ اللَّذَّهْرَ حَتَّى تَعَيَّنَ الْعَيْنَانِ !
 فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فَقَالَ : سُبْحَانَ مَا نِي !^(٥)
 فَقُلْتُ : عَيْسَى رَسُولُ فَقَالَ : مِنْ شَيْطَانٍ !^(٦)
 فَقُلْتُ : مُوسَى كَلِيمُ الْمَنَانِ^(٧) مَهْمِنْ الْمَنَانِ^(٧)

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف في مقدمه . ط ، س : « الأذان » ، « ونحن وحضروا » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

« (١) صلاة الأولى ، عني بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ، وأثبت ما في الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفي هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق) نقلا عن الأغاني : « لأذان » ، وإخاطها تحريفاً .

« (٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

« (٣) أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

« (٤) بهذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

« (٥) ماني : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم في ص ٨١ .

« (٦) في الأصل : « من شيطاني » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

« (٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفي الأصل : « المناني » ، تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : رَبُّكَ ذُو مُقَّةٍ إِذَا وَلِيسَانٍ ؟
 فَنَفْسُهُ خَلَقَتْهُ أَمْ مَنْ ؟ ! فَقُمْتُ مَكَانِي
 عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
 يريد أن يتسوى بالعُصْبَةِ الْمُجَانِ
 بِعَجْرَدٍ وَعُبَادٍ وَالْوَالِيِّ الْهَجَانِ (٢)
 وقاسمٍ ومُطِيعٍ رِيحَانَةِ النَّدْمَانِ (٣)

وَتَعَجَّبِي مِنْ أَبِي نَوَاسٍ ، وَقَدْ كَانَ (٤) جَالِسَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَشَدُّ مِنْ تَعَجُّبِي
 مِنْ حَمَّادٍ ، حِينَ يَحْكِي عَنْ قَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ قَوْلًا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ (٥) . وَهَذِهِ قُرَّةُ (٦)
 عَيْنِ الْمُهْجَوِّ . وَالَّذِي يَقُولُ : سُبْحَانَ مَا نِي ، يَعْظُمُ أَمْرَ عَيْسَى تَعْظِيمًا شَدِيدًا (٧)

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط
 والأوراق : « يتمارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما في س
 والديوان . وفي هـ : « متمرى » تحريف ما في س . وبين هذا البيت وسابته
 بيتان في الديوان ، هما :

وَقُلْتُ رَبِّي ذُو رَحَةٍ وَذُو غُفْرَانٍ
 وَقُمْتُ أُسْحَبُ ذَيْلِي عَنْ هَازِيٍّ بِالْقُرَانِ

(٢) في الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بدم تغيير يسير ، لما يقتضى
 الشعر . أما الوالبي فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ،
 هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئا ، وفضحاه . وهو أستاذ أبي نواس .
 الأغاني (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة في ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق في ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا ما فهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد في فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليسك ٤٥٨
 مصر : « زعم ما نى أنه الفارقلط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج ما نى =

فكيف يقول : إنه من قِبَلِ شيطان ؟ !

وأما قوله : « فنفسه خلقتَه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نَجَدها ظاهرةً على
اللسنِ العوامِّ . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالبىُّ الهيجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنه يقول فى أبان : إِنَّهُ مَمَّنْ يتشبه بعَجْرَدٍ ومُطِيعٍ . ووالبةٌ

ابن الحباب ، وعلى بن الخليل . وأصبغ^(١) - وأبانٌ فوقَ ملءِ الأرض

من هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصبحَ عقلاً من هؤلاء وهم

صحابة^(٢) . فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاسَ لم يؤثروا

فى اعتقادهم الخطأ المكشوفَ ، من جهة النظر^(٣) . ولكنَّ للنَّاسَ تأسَّ

وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق

إلى القلوب ، ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا

فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصارٍ كليله^(٤) ، وأذهان مدخولة ،

[و] مع سوء عادة . والنفسُ لا^(٥) تجيبُ وهى مُستَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية . لكن جاء فى الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فيه
أبو نواس . ففيه : « وما نى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ،
ويزمهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت حل ألسنتهم
بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند
النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك
الخلافاً إلى ما فى أقوال ما نى من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلملح سقط منها شيء .
وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحابة : جمع صاح ، من صحا يصحوا . س : « أحماء » ، صوابه فى ط ، هـ
والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظائر » ، صوابه فى س .

(٤) كليله : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لا » .

يقال : « العقل ^(١) إذا أكره ^(٢) عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ ^(٣) [و] جَسَاً وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد ^(٤) يفهم ما عابه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابِق إلى القلب .

(شعر لحماة عجرد)

وقال حمادُ عَجَرَد :

اعْلَمُوا أَنَّ لُودَى ثَمْنًا عِنْدِي ثَمِينًا
لَيْتَ شِعْرِي أَيْ حُكْمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِي نَ وَأَتُمْ تَأْخُذُونَا ^(٥)
ابْنِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فِي اسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَا ^(٦)

١٤٥

وما رأيتُ أحدًا وضع لُقمانَ بنَ عادٍ في هذا الموضع . غيره ! وقال

حمادُ عَجَرَدٍ في بشار :

يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ إِنَّ أُمَّكَ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ اكْتِنَامٍ ^(٧)
وَتَبَدَّلْتَ ثَوْبَانِذَا الْ—أَيِّرِ الْمَضْبَرِّ وَالْعُرَامِ ^(٨)

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : ولم يكد « بإثبات اللوار قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه في هـ . ولقمان :

أى يالقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهم أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الميوان

ثَوْبَانَ دَقَاقَ الْأَزْزِ بِأُرُوَاتِ حَسَامٍ (١)
عَرْدَ كَقَامَةِ السَّرِّ بِرِ يُبِيلَهَا عِنْدَ الرُّطَامِ (٢)
وَأَثَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْمَلَاتِ الْعِظَامِ (٣)
أُخْتُ لَهُمْ كَانَتْ تَكَا بِرُ أَنْ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ (٤)
وَقَالَ حَمَادٌ يَذْكُرُ بِبَشَارٍ .

غَزَالَةَ الرَّجْسَةِ أَوْ بِنْتَهَا سُمَيْعَةَ النَّاعِيَةِ الْفَهْرَا (٥)
وَقَالَ وَذَكَرَ أُمَّهُ (٦)

أَبْنَى غَزَالَةَ يَا بَنِي جُشْمِ اسْتَهَا لِيَحْقَقَكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَجْزَعُوا (٧)

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغي لبشارٍ أَنْ يَنَظِرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلّقُ

-
- = يابن التي نثرت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والمعبر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
في س ، ه .
(١) ط : « دقاق » صوابه في س ، ه . ط : « الأزار » وأثبت مافي س ،
ه ، وهما محرفان . س : « يدقها أرزب خام » وأثبت مافي ط ، ه .
على تحريفةهما .
(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة الصير » صوابه في س ، ه .
يبيلها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسلمها » ووجهه مأثبات من س .
والرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الأركام » صوابه في ط ، س .
(٣) ضببت « سميعة » بهيئة التصغير في س . والمصملات : الدواهي .
(٤) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .
(٥) كذا جاء البيت .
(٦) أي أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .
(٧) أبني ، أي يابني . والجشم ، كعرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم »
ولا كاله من س .

بالشعر ؛ لأنَّ حماداً في الخضيض ، وبشَّاراً مع العيوق^(١) . وليس في الأرض
مولدٌ قَرَوِيٌّ يُعَدُّ شعرُهُ في المحدث إلاَّ وبشَّارٌ أشعرُ منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن محفوظ^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وَقَدْ كَانَ يَعْدُو عَلَى رِجْلِهِ
يَرُوحُ وَيَغْدُو كَأَيُّرِ الْحَمَارِ وَيَرْجِعُ صَفْراً إِلَى أَهْلِهِ^(٣)
وقد زعموا أَنَّهُ كَافِرٌ وَأَنَّ التَّزْنُدُقَ مِنْ شَكْلِهِ
كَأَنِّي بِهِ قَدْ دَعَاهُ الْإِمَامُ وَأَذَنَ رَبُّكَ فِي قَتْلِهِ

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرَّضُ لِلْقَتْلِ بِجَهْدِهِ . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كَيْفَ لَا يُذْنِبُكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ^(٤)

(١) الميوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضى في طرف الحجرة
الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في الغلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغدو » صوابه في س ، هـ . صفراً : خالي اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة
رائية مشهورة مطلعها :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ مِنْ عَفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمْرِ

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار
هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من
نفره » . انظر الكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ لبيدك والمقد (٣ : ٤٣٦ - ٤٣٧) =

فلما قال :

فأحبب قُرَيْشاً لِحَبِّ أَحْمَدِهَا واشكُرْ لها الجَزَلَ مِنْ مواهبها^(١)
جاء بشيء غطى على الأول .
وأنكروا عليه قوله :

* لو أكثر التَّسْيِيح ما نَجَّاه *

= حيث تجده النقد والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أبا علي الضرير ، أحد رواة أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذي يقول فيه :
كيف لا يدريك من أمل من رسول الله من نفره
فعلت أنه كلام ردى مستمجن موضوع في غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى
أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لي : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من القبيل الذي هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من نفر الذين العباس منهم ، فاتمى
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهزمة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يجب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن الفراء ، أن
حببته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لنصيح » . وفيه : « وحكى سيبويه : حببته وأحببته بمعنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« وأحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يشتخر فيها بقحطان وبهجو
عدنان ، وقد أبدع في صنعتهما إبداعاً ، وأنى بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شوما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبا
وفيها يقول :

فلهج زاراً وافر جلدتها وامتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أَحْمَدَ الْمُرتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قَمَّ سَيِّدِي نَعَصَ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ (١)
غَطَّى هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ (٢) . وهذا البيت مع كفره مَقْبُوتٌ جداً . وكان
يُكْثِرُ فِي هَذَا الْبَابِ (٣) .

(خطأ أبي نواس في شعره)

وأما سوى هذا الفن فلم يعرفوا له من الخطأ إلا قوله :

أَمَسْتَجْبَرَ الدَّارَ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ (٤)
كَأَنَّهَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمُ بَيْنَ ذَوَى تَفْنِيدِهِ مُطَرِّقُ (٥)
فعابوه بذلك ، وقالوا : لا يقول أحد : لقد سكنت هذا الحجر ، كأنه

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبي صالح ، كان أبو نواس يتعشقه . أخبار أبي نواس ١٤٥ .
وأبيات القصيدة فيها ، وفي ديوانه ٢٤٩ - ٢٥٠ . وقبله :

فقلت والليل يحلوه الصباح كما يحلو التيسم عن غير الثنيات

(٢) في الأصل : « الأول » . وانظر مثل هذا التعقيب في الصفحة السابقة .
و « غطى » رسمت بالألف في هذا الموضع وسابقه في كل من ط ، هـ وهو
رسم قديم . وأثبت ما في س .

(٣) أى كان أبو نواس يكثر من القول في مثل المعنى السابق . وبما قال في ذلك .
(الصناعتين ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ الشَّرَاكَانِ

قال السكري : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أنجب الديار » س : « أمستجر الديار » هـ : « يامستجر الدار » ،
ولعل صوابه ما أثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجاني . والتفنيذ ، المراد به : اللوم والعذل . والتفنيذ : التشكيب والتعجيز .
وتخطى الرأي وتضعيفه . والبيت عند السكري في الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ ، وَيُشَبَّهُ صَمَمُهُ بِصَمَمِ الصَّخَرِ .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسدِ بالـجَحُوظِ ، فقال :
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا التَّهَيْتُ بِارِزَةِ الْجَفْنِ عَيْنٌ مُخْنَقٌ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْغُورِ . قال الرَّاجِزُ :
* كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ^(٢) * .

وقال أبو زبيد^(٣) :

كَأَنَّ عَيْنِيهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قِيضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ^(٤)
ومع هذا فإننا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أَشْعَرَ مِنْهُ^(٥) .
وقال أبو زيد :

وَعَيْنَانِ كَالْوَقَبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعَرُ^(٦)

(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدثني أبو شعيب القَلَّالُ ، وهو صُفْرِيُّ^(٧) ، قال : رهبان الزنادقة

- (١) هـ : « والمخنوق » وأثبت مافي ط ، س والصناعتين ١١٥ .
- (٢) في الصناعتين : « من خرق حجر » .
- (٣) هو أبو زيد الطائي ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .
- (٤) الوقب ، بالفتح : النقرة في الصخر . قِيضًا : شقا وحفرا . اقْتِيَاضًا : استئصالا . في الأصل : « قِيضًا اقْتِنَاصًا » بحرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .
- (٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتي .
- (٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة * يرى فيها » .
- (٧) الصُفْرِيُّ ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سيّاحون^(١) ؛ كأنهم^(٢) جعلوا السيّاحة بدلَ تعلقِ النّسطوري^(٣) في المطامير .
و- [مُقام^(٤)] الملكاني^(٥) في الصّوامع . ومُقامُ النّسطوريّ

= للدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصغر ، كما في الفرق والملل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

« (١) السيّاحة : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسياني من قول الجاحظ .

« (٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبت ما في س .

« (٣) في القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السهودس الثالث بمدينة أنفيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخيم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السهودس في سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة للقبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في اللسكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

« (٤) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

« (٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكائية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣ وملكي وملكية كما في التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعني أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

في المطامير ^(١) .

قال : « ولا يسيحون إلا أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت »
« رأيت صاحبه ^(٢) » والسياحة عندهم ألا يبيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال :
ويسيحون على أربع خصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة .
فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة ^(٣) ، ومما طابت به أنفسُ الناس له
حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غرمه ومأثمه . وأما الطهر
فترك الجماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتُم
ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال . فدخل الأهواز منهم رجلان ، فضى أحدهما نحو المقابر للغائط
وجلس الآخر بقرب حانوت صائغ ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصور
ومعها حق ^(٤) فيه أحجار نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان
الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم لبعض أهل تلك الدور يردد ^{١٤٧}
فلما سقط الحق وباينه الطبق ^(٥) ، تبدد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

= « ومعناه » الملك بالسرانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى
أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع المعمود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ
الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهي في أصلها اللغوى : حفر أو أماكن
تحت الأرض ، يطمز فيها الطعام والمال ، أى يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجنة تحت
الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقبة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً
لحقبة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجاب النور » ، لو كشف
طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوى
ما هو غطاء له .

ذلك الظليم أعظم حجراً فيه وأنفسه ، وذلك بعين السائح ^(١) ؛ ووثب الصائغ وغلماؤه فجمعوا تلك الأحجار ، ونحووا الناس ^(٢) وصاحوا بهم فلم يذنب منهم أحد ، وفقدوا ذلك الحجر ، فصرخت المرأة ، فكشف القوم وتناحوا ^(٣) ، فلم يصيبوا الحجر ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الراهب الجالس ، وما ينبغي أن يكون إلا معه ! فسألوه عن الحجر فكره أن يخبرهم أنه في جوف الظليم فيذبح الظليم ، فيكون قد شارك في دم بعض الحيوان ، فقال : ما أخذت شيئاً ! وبحثوه وفتشوا كل شيء معه وألحوا عليه بالضرب ، وأقبل صاحبه وقال : اتقوا الله ! فأخذوه وقالوا ^(٤) دفعته إلى هذا حتى غيبه ! فقال : ما دفعت إليه شيئاً ! فضر بهما ليقرا ^(٥) فينباهما كذلك إذ مرَّ رجلٌ يعقل ، ففهم عنهم القصة ، ورأى ظليماً يتردد فقال لهم : أكان هذا الظليم يتردد في الطريق حين سقط الحجر ؟ قالوا : نعم . قال : فهو صاحبكم . فعوضوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقوا عن قانصته ، فوجدوا الحجر وقد نقص في ذلك المقدار من الزمان شبيهاً بشطره ^(٦) ، إلا أنها أعطته لئلا صار الذي استفادوه من جهة اللون أريح لهم من وزن ذلك الشطر أن لو كان لم يذهب .

ونار القانصة غير نار الحجر ^(٧) .

(١) العين ، بالفتح : الماينة . ومنه قولهم في المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميقاتي في هذا الرسم .

(٢) نحووا : أبعادوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، ه .

(٣) تناحوا : المراد بها تبعوا . ط : « تناجوا » بالميم ، صوابها في س ، ه .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من ه .

(٥) في الأصل : « نيموتا » . وفي الجماهر للبيريوني ٤١ : « فضر بها ضرب التقرير » .

(٦) أى قريباً من نصفه .

(٧) أى النار التي تقدح من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُونَ جُمَلًا في القول في النيرانِ وأجناسها ، ومَوَاضِعِها ، وأَيُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَجَمِ ، وأَيُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَرَبِ . ونُخَبِّرُ عن نيرانِ الدِّياناتِ ، وغيرِ الدِّياناتِ ، وعَمَّنْ عَظَمَها وعَمَّنْ اسْتَهَانَ بِهَا ، وعَمَّنْ أَفْرَطَ في تعظيمِها حتَّى عَبْدَها . ونُخَبِّرُ عن المَوَاضِعِ الَّتِي عَظُمَ فيها مِنْ شَأْنِ النَّارِ .

(نار القربان)

فمن مَوَاضِعِها الَّتِي عَظُمَتْ بِهَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا لِبْنِي إِسْرَائِيلَ في مَوْضِعِ امْتِحَانٍ لِإِخْلَاصِهِمْ ، وَتَعَرُّفِ صِدْقِ نَبِيِّانِهِمْ ؛ فَكَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِالْقُرْبَانِ . فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ^(١) مُخْلِصًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ حَتَّى تُحِيطَ بِهِ ^(٢) فَتَأْكُلَهُ ، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الْقُرْبَانِ مُخْلِصًا فِي تَقَرُّبِهِ . وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ عَلَى حَالِهِ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِدَ النَّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ ٩٤٨ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَنْذَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) ﴾ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ مَعْلُومًا ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) « فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ » ساقطة من هـ .

(٢) أى بِالْقُرْبَانِ . وفي الأصل : « بِهِمْ » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَيَا لَذِي قُلُومٍ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَرَّ عَلَى عِبَادِهِ ، وجعلَ بيانَ ذلك في الآخرة . وكان ذلك التدبيرُ مصلحةً ذلك الزمانِ ^(١) ، ووفق ^(٢) طبائعهم وعللهم . وقد كان القومُ من المعاندة والغباوة على مقدارٍ لم يكن لينجع ^(٣) فيهم ويكمل لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزن . فهذا بابٌ من عظم شأنِ النارِ في صدور الناس .

ومما زاد في تعظيم شأنِ النارِ في صدور الناس ^(٤) قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ^(٥) أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ^(٦) إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد في قدرِ النارِ في صدور الناس .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَغْيُنٍ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك ممَّا زاد في نبأه النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (١) .

والنار من أكبر الماعون (٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك ممَّا يزيد في قدرها ، وفي نبأه ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (٤) . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرها ، ثم توهم مقادير النعم وتصاريدها .

١٤٩ وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالفرق ، والرياح ، وبالخاصب^(١) ، والرجم^(٢) ، وبالصواعق ، وبالحسف^(٣) ، والمسح ، وبالجوع ، وبالتقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نارا ، كما بعث [عليهم^(٤)] ماء وريحا وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يحرق بها شيء من الهوام وقال^(٥) : « لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ » . فَقَدْ عَظَّمَهَا كَمَا تَرَى .
فتفهم — رحلك الله — فقد أراد الله إفهامك .

وقال الله تعالى لِلثَّقَلَيْنِ^(٦) : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواظ والنحاس ، وهما النار والدخان ، من الآية . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها^(٧) ، غير إدخال الناس^(٨) فيها ، وإحراقهم بها .

(١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرى بها .

(٣) الحسف : تغيب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فحسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، وجهه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

وقال المزار بن منقذ^(١) :

وَكَاَنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوْ مُحْصَبٍ بِلَوَى عُنَيْزَةٍ مِنْ مَقِيلِ الثُّرْمَسِ^(٢)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامَى عَرْفَجًا يَاثِيكَ قَابَسُ أَهْلَهَا لَمْ يُقْبَسِ^(٣)
أَرَادَ خِصْبَ الْوَادِي وَرُطُوبَتَهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانُهُ ،
فَإِنْ دَخَلَهَا^(٤) مُسْتَقْبَسٌ لَمْ يُورِ نَارًا .

وقال كثير :

لَهُ حَسْبٌ فِي الْحَيِّ ، وَارٍ زِنَادُهُ عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَتَّهُ الْوَرَى عَاجِلُ^(٥)

(١) المزار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الخطلي ، وهو الذي سمي بجزير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . مجمع المرباني ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرحلنا » صوابه في س . ط : « محصب » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زند ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذي يقتدح به . وهي كناية عن الكرم وغيره من الخصال الحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه في هـ والمخصص . حته : أراد : عجل بإشماله . وفي الأصل « حته » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره في المخصص : « لم حسب » . وما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الماوك خالط فيهن مرخ عفار
ولو بت تقدح في ظلمة حصاة بنيع لأوريت نارا

والْعَفَارِ وَالْمَرْخِ ، مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْعِيدَانِ الَّتِي تُقَدَّحُ ، أَكْثَرُهَا
فِي ذَلِكَ وَأَسْرَعُهَا .

قال : ومن أمثالهم : « فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ
وَالْعَفَارُ ^(١) » .

(نَارُ الْاسْتِمْطَارِ)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّارُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَمْطِرُونَ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ؛
فَلِئَلاَّ يَكُونُوا إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَزْمَاتُ ^(٢) وَرَكَدَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، وَاشْتَدَّ
الْجَدْبُ ، وَاحْتَاجُوا إِلَى الْاسْتِمْطَارِ ، اجْتَمَعُوا وَجَمَعُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبَقَرِ
ثُمَّ عَقَدُوا فِي أَذْنَائِهَا وَبَيْنَ عَرَاقِيهَا ، السَّلْعَ وَالْعُشَرَ ^(٣) ، ثُمَّ صَعَدُوا بِهَا
فِي جَبَلٍ وَغَيْرِهِ ^(٤) ، وَأَشْعَلُوا فِيهَا النَّيْرَانَ ، وَضَجُّوا بِالْذُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ . فَكَانُوا
يَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ السَّقْيَا . وَلِذَلِكَ قَالَ أُمَيَّةٌ :

سَنَةَ أَزْمَةٍ تَخِيلُ بَالِنَا سِرَ تَرَى لِلْعِضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بمرعة ، شبيه بمن يكثر من المطاء-

طلباً للمجد . ط ، س : « استجمد » هـ : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى.

(٢) (١٨ : ٢) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ :

٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٣) الأزمت ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل :
« الأزمان » محرفة .

(٤) السِّلْع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون
حطبهما لغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحذرونها من الجبال . انظر شرح شواهد

- إِذْ يَسْفُونَ بِالذَّقِيقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فَطِيرًا (١)
وَيَسُوقُونَ بَاقِرًا يَطْرُدُ السَّمَّ لَ مَهازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ يَبُورَا (٢)
عَاقِدِينَ النَّيِّرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهَيَّجَ الْبُحُورَا (٣)
فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرَا (٤) ١٥٠
فَرَأَاهَا الْإِلَهِ تَرْشِمَ بِالْقَطِّ رِ وَأَمْسَى جَنَابَهُمْ مَمْطُورَا (٥)
فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ وَكَافَ الْغِيَّ مِ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرَا (٦)
سَلْعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتْ الْبِنَقُورَا (٧)

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين .
والباء في : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب
٣٩٧ والاقضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك
حتى يخبث .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهي رواية
الألوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها
الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س : « تبورا »

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا »
ه : « عدا » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارها . يقال : هاجه
وأهاجه . وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذنان » .

(٤) كلها : أى كل الأذنان ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا
يبرح ، كأنه يصبر أى يحبس .

(٥) ضمير رأها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : بدا نباتها . في الأصل
والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفي
الأصل : « فسقاها نشاطه واكف التبت » تحريف . منه : أى من النشاص .
وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . ه : « إذ رأى دعوة »
وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مقعم
بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والمشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ ينشدُ هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :
صَفَّتْ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد (١) القحذى (٢) للورل الطائي (٣) :

لادَّرْ دُرْ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ (٤)
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيْقُوراً مُسْلَعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ (٥)

= الجاحظ لتصحيف الأصمعي ، كما سيأتى . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ،
كانه وكا في اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال الشيء فلانا : ثقل عليه .
للقاموس . يقول : أثقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل)
وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (على) بعد أن قال : « وعالٍ على »
أى إحمل . فكانته جمل « عالت » مرة أخرى من المعالة . والبيت استشهد
به ابن هشام في المفتى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى في المزهرة
(٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا من تصحيف الأصمعي . وفيه : « النيقورا » .
وليس أحد العصريين بأولى في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى في بلوغ
الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعي هو : « وغالت البيقورا » بالغين
المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه في س ، هـ .

(٢) القحذى هو الوليد بن هشام القحذى ، كما فى البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) .
وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قاله ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن
هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن
عتبان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمعى . مات سنة اثنتين وعشرين
ومائتين » . والقحذى ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة :
نسبة إلى جده قحزم ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحذى » بالذال ، تصحيف ،
صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا فى الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهري ، حيث أنشد البيهقي . وفى اللسان
(سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه فى ط واللسان (بقر ، و سلع) .

(٥) مسلمة : وضع فى أذناها وبين عراقيها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(امتطراد لغوى)

قال : ويقال بَقْر ، وبَقِير . وَيَقُور ، وباقر^(١) . ويقال للجاعة منها :
 قطع وإجل . وكَوْر^(٢) . وأنشد^(٣) :
 فسكّنهم بالقولِ حتى كأنهم بواقرُ جُلحُ أسكنّتها المرائعُ^(٤)
 وأنشد^(٥) :
 ولا شُبُوبٌ مِنَ الثيرانِ أفردَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإغراءِ والطَّرْدُ^(٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .
 (٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكبيرة من الإبل وجمله أبو ذؤيب في البقر أيضاً » .
 (٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي ، كما في اللسان (جلع) . وله ترجمة في معجم المرزباني ٣٢٦ . وللعيزارة أم ، وهو قيس بن خويلد .
 (٤) جلع : جمع أجلع وجلماء ، وهو الذي لا قرن له . أسكنّتها : جعلتها تسكن . وفي اللسان (جلع) : « سكنّتها » ، وروى في (بقر) : « أسكنّتها » . وفي س : : « أمكنّتها » .
 (٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي ، كما في ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَأَلَّهَ يَبْنِي عَلَى الْإَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رَبَاعٌ سِنَّهُ غَرْدٌ

يقول : تأله لا يبق على الأيام مبتقل : أي الذي يربى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أي : ولا يبق شوب . والشوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشيب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهري : « ولا مشب » وهي كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شوب » . وقد ضبط في اللسان : « ولا شُبُوبَ » بالبناء على الفتح « وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفردته عن كوره : جملة مفرداً عن جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ؛ فلا يعقدون حلفهم إلاّ عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم الدّم ، والهدم الهدم ^(٣) (يحركون الدالّ في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلاّ شداً ، وطول الليالي إلاّ مدداً ، ما بلّ البحر صوفة ^(٥) : وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) . (إن كان جبلهم رضوى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرْد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من التيران » محرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخضص والصحاح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا تزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبرة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيّد الحلف .

(٥) في الأصل : « وما بلّ البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويروى : « ما بلّ بحر صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم .
وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم ^(١) .
ويهلون على من يُخافُ عليه الغدرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخْوِيفِ
مِنْ جِرْمَانٍ منفعتهما . وقال الكُمَيْت :
كهُولَةٍ ما أوقدَ المخلُفُو نَ للحالِفينَ وما هَوَّلوا ^(٢)
وأصلُ ^(٣) الحِلْفُ والتَّحالفُ ، إنما هو من الحَلِفِ والأيمان ^(٤)
ولقد تحالفت قبائلُ من قبائلِ مُرَّةَ بنِ عوفٍ ، فتحالفوا عندَ نارٍ فدَنَوْا منها .
وعشَّوا بها ^(٥) . حَتَّى مَحَشَتَهُمْ . فَسَمُّوا : المحاش ^(٦) .
وكان سيدهم والمطاعُ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة ^(٧) .
ولذلك يقول النَّابِغة :

بَجَعُ مَحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي بَجَعْتُ يَرْبُوعاً لَكُمْ وَتَمِيماً ^(٨)

- (١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .
(٢) الهولة ، بالضم : ما يهول . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) .
وكانوا يطرحون في النار ملحا يفتق يهلون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزائنة
(٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلاً أوسع . وقبل البيت كما في الخزائنة :
فَقَدْ صرْتُ عَمَّا لها بالمُشِيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ
(٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .
(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهي القمم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من
س ، هـ .
(٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .
(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقتها . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنومرة
ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح
ديوان النابغة البطلاني ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ،
تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .
(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما
سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .
(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعاً » .

١٥١ وَلِحِقْتُ بِالنَّسَبِ الَّذِي عَيْرَتَنِي وَتَرَكْتُ أَصْلًا يَا زَيْدُ ذَمِيَا^(١)
وقوله : « تميم » يريد : تميمية^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتماقد على الملح)

وَرَبَّمَا تَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْمَلْحِ . وَالْمَلْحُ شَيْئَانِ : أَحَدُهُمَا الْمَرْقَةُ^(٣) ،
وَالْآخَرُ اللَّبَنُ . وَأَنْشَدُوا لِشُعَيْمِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْفَزَارِيِّ^(٤) :
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَالْمَلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً^(٥)

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته في قيس ويقول :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ صُلْبِ قَيْسٍ مَاجِدٍ لَا مَدْعَ نَسَبًا . وَلَا مُسْتَكْرَ .
وكان يقول للنابعة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة . فقال
النابعة له : أنا لاحق بمن عيرتني ومتحقق بهم ، ولست مثلك تلتنى عن أصلك .
وقيس من العدنانية . وأما قضاة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .
انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي اللديوان :
« وتركت أصلك » و « ذميما » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك
وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . و تميمية هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما
في شرح ديوان النابعة ٧٠ . قال : « قوله و تميميا ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد :
تميمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم في غير النداء » . وكلمة :
« مر » هى في أصل الشرح : « مرة » . و « تميمية بن ضبة » هى في أصلها : « تميم
ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزائنة
(٤ : ١٦٤ بلاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها
بأنها المرققة .

(٤) شتم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهلي كما في الخزائنة (٤ : ١٦٤ بلاق) . وروى في
الخزائنة أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيكمة بن الحارث المازني من مازن فزاراة .
ودرواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبيرى .
وفي مقطعات المراثي ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرقى بنى خالدة : كردما
ولإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليسك . عطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطَّمَحَانِ ^(٢) :

وإني لأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ^(٣)
وذلك أَنَّهُ كَانَ جَاوِرَهُمْ ، فَكَانَ يَسْقِيهِمُ اللَّبَنَ ؛ فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ
تَشْكُرُوا لِي رَدَّ إِبِلِي ^(٤) ، عَلَى مَا شَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا ، وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ
أَشْعَثَ أَغْبَرَ . كَأَنَّهُ يَقُولُ : كُنْتُمْ مَهَازِيلَ - وَالْمَهْزُولُ يَتَقَشَّفُ جِلْدُهُ
وَيَنْقَبِضُ - فَبَسَطَ ذَلِكَ مِنْ جُلُودِكُمْ .

(نَارُ الْمَسَافِرِ)

ونار أخرى ^(٥) ، وَهِيَ النَّارُ الَّتِي كَانُوا رَبَّمَا أَوْقَدُوهَا خَلْفَ الْمَسَافِرِ ،

= وروى بالجر عطفًا على « العباد » أو يجعل الوار وار القسم . انظر اللسان (٣) :
٤٤٤ س (٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هي بنت أرقم ،
أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أى في الملح . وفي الأصل : « في » محرفة .

(٢) أبو الطمحن ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرق . كان نديما للزبير بن عبد المطلب
في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني
(١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفي الكامل ٢٨٤ ليسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف
٤٩٤ والمختص (١ : ٢٦) بالجر . والقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

أَلَا حَنْتَ الْمَرْقَالُ وَاشْتَاقَ رَبُّهَا تَذَكَّرُ أَرْمَامًا وَأَذْكُرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم
نزّلوا عليه فشرّبوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائي » س :
« رزائي » بهذا الإهمال . وصوابهما ما أثبت .

(٥) سماها السكري في كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبيح الأعشى (١) :

٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحج الدين أفندي . وسماها الثعالبى في ثمار القلوب ٤٥٩ :

« نار المسافر » .

«وَحَلَفَ الزَّائِرُ الَّذِي لَا يَحْبُونُ رُجُوعَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ
وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقَدَ نَاراً خَلْفَهُ ، وَفِي إِثْرِهِ ! وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارٍ - وَضَرْبُهُ
مثلاً - :

صَحَوْتَ وَأَوْقَدْتَ لِلْجَهْلِ نَاراً وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا^(١)
وَأَنشَدُوا :

وَجَعَلَتْ أَقْوَامٌ حَمَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ لِتَوْقِدِ نَاراً لِإِثْرِهِمْ لِتَنْتَدِمَ^(٢)
وَالْجَمَّةُ : الْجَمَاعَةُ يَمْشُونَ فِي الصَّلْحِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي إِبْلِهِ :
• تَقَسَّمُ فِي الْحَقِّ وَتَعْطَى فِي الْجَمَمِ^(٣) •

يقول^(٤) : لَا تَنْتَدِمُ عَلَى مَا أُعْطِيتَ فِي الْحِمَالَةِ^(٥) ، عِنْدَ كَلَامِ الْجَمَاعَةِ
«فَتَوْقَدَ خَلْفَهُمْ نَاراً كَيْ لَا يَعُودُوا .

(نَارُ الْحَرْبِ)

ونار أخرى^(٦) وهى النَّارُ الَّتِي كَانُوا إِذَا أَرَادُوا حَرْباً ، وَتَوَقَّعُوا جَيْشاً
عَظِيماً ، وَأَرَادُوا الْاجْتِمَاعَ أَوْقَدُوا لَيْلاً عَلَى جَبَلِهِمْ نَاراً ؛ لِيَبْلُغَ الْخَبْرُ أَصْحَابَهُمْ .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمعة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) .
واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية في ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى في اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « وَلَمْ أَكُنْ لِأَوْقَدِ نَاراً » . والجمعة ،
بفتح الجيم وتضم .

(٣) في الحق : أَى فِي حَقِّ الْأَضْيَافِ إِذْ يَنْحَرُّهَا لَهُمْ . هـ : « يَقْسَمُ » س ، هـ : « بِالْحَقِّ »
صوابهما في ط . س : « بِالْجَمَمِ » صوابه في ط ، هـ .

(٤) أَى الشَّاعِرِ الدَّائِقِ ، لَا الرَّاجِزِ .

(٥) الْحِمَالَةُ ، كَسَحَابَةٍ : الدِّيَّةُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ عَنْ قَوْمٍ .

(٦) سماها الثعالبي في ثمار القلوب ٤٦١ : « نَارُ الْإِنْذَارِ » والسكري فيما نقل عنه
حُبِّ الدِّينِ أَفْنَدَى : « نَارُ الْأَهْبَةِ لِلْحَرْبِ » ، وَفِيهَا نُقِلَ عَنْهُ الْقَلْقَشْنَدِيُّ : « نَارُ الْحَرْبِ » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداةَ أوقدَ في خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيَا^(١)

وَإِذَا جَدُّوا فِي جَمْعِ عَشَائِرِهِمْ إِلَيْهِمْ^(٢) أَوْقَدُوا نَارَيْنِ . وهو قول

الفَرَزْدَقِ^(٣) :

لولا فوارِسُ تُغَلِّبَ ابْنَةُ وائِلٍ سَدَّ العدوُّ عَلَيْكَ كُلَ مَكَانٍ^(٤)

ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ أَشْرَفَتَا عَلَى النَّيْرَانِ^(٥)

(١) خزاز وخزازی ، بالفتح : جبل . وروی البيت بالروایتین . س ، هـ : « خزاز » مصحفه . وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٣ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ : « ولما جدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤) بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ - ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنو قيس وبنو تميم اللات ابني ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة للملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدّها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : حواكثهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يجدي عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحَرَّتَيْنِ)

ونار أخرى ، وهي « نار الحَرَّتَيْنِ »^(١) ، وهي نار خالد بن سنان ، أحد بني مخزوم . من بني قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْسٍ^(٢) . ولم يكن في بني إِسْمَاعِيلِ ١٥٢ نبيُّ قبله . وهو الذي أطفأ الله به نار الحَرَّتَيْنِ . وكانت بيلاد بني عبس^(٣) ، فإذا كان اللَّيْلُ فهي نارٌ تسطَعُ في السَّمَاءِ ، وكانت طَبِيٌّ تُنْفِشُ بها إِبِلَها من مسيرة ثلاث^(٤) . وربما نَدَرَتْ منها العُنُقُ^(٥) فتأتى على كلِّ شيء فتحرقه . وإذا كان النهارُ فإنما هي دخانٌ يفور . فبعث الله خالد بن سنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، ونزِيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرفنا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفصح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليل ، لبني مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما في المزهري (٢ : ١١٩) . أما حرة ليل فهي من وراء وادي القرى من جهة المدينة . وحرة النار قرية من حرة ليل قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) في الأصل : « وكانت حرة بيلاد بني عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء في نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعي إبله : جمعها ترمى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أي ثلاث ليال ، كما جاء في ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أي ثلاثة أيام . في الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفي ثمار القلوب : « تنمش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما في عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتَفَرَ لَهَا بَثْرًا ، ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِيهَا ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ؛ ثُمَّ اقْتَحَمَ فِيهَا حَتَّى غَشِيَهَا . وَسَمِعَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهُوَ يَقُولُ : [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ ^(١)] : كَذَبَ ابْنُ رَاعِيَةِ الْمَعَزِ ، لِأَخْرَجَنَّا مِنْهَا وَجِبْنِي يَنْدَى ^(٢) ! فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ دَفَنْتُمُونِي ، فَاحْضُرُونِي بَعْدَ ثَلَاثٍ ؛ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ عَيْرًا أَبْتَرَّ يَطُوفُ بِقَبْرِي ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَانْبَشُونِي ؛ فَإِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا هُوَ كَائِنْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَاجْتَمَعُوا لَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ^(٣) ، فَلَمَّا رَأَوْا الْعَيْرَ ^(٤) وَذَهَبُوا يَنْبَشُونَهُ ، اخْتَلَفُوا ، فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ ، وَابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْفِرْقَةِ الَّتِي أَبَتْ أَنْ تَنْبَشَهُ وَهُوَ يَقُولُ : [لَا أَفْعَلُ ! إِنِّي ^(٥)] إِذَا أَدْعَى ابْنُ الْمَنْبُوشِ ! فَتَرْكُوهُ .

وَقَدْ قَدِمَتْ ابْنَتُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ . وَقَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ نَجِيٍّ ضَيْعُهُ قَوْمُهُ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ سُورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ أَبِي يَتْلُو هَذِهِ السُّورَةَ .

(١) هذه التسمية من الإصابة ٢٣٥١ في ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب في محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة في الأصل . وفي ط : « وجبني تندل » ه : « وحيتني يندا » س : « وجبني تندى » . ويندى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولقحها .

(٣) كذا في س ، وثمار القلوب . وفي ط ، ه : « فاجتمعوا له في ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر للخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمستكلمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أن خالداً هذا كان أعرابياً
وبرياً ، من أهل شرجٍ وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبياً قط من الأعراب
ولا من الفدادين^(٢) أهل الوبر ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكّان
المُدُن .

وقال خَلِيدٌ عَيْنِينَ^(٣) :

وَأَيُّ نَبِيٍّ كَانَ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَّا مَعَ النَّحْلِ^(٤)
وَأُنْشِدُوا :

كَتَارِ الْحَرَتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(٥)

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زال الناسُ كافّةً ، والأُممُ قاطبةً - حتى جاء الله بالحقِّ - مُولعين
بتعظيم النار ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من الناس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها^(٦) .

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين
وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفي ط ، س : « شرج
وناصرة » هـ : « شرج وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل اللبادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليل . وقد ترجمته في (١ : ٢٦٦) .
وفي الأصل : « خليل عيس » محرف .

(٤) يقوله لجرير في قصيدة يهجو بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت
في ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٦) في ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العلوية ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبِدَت البتّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقد يجيء في الأثر وفي سُنّة بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التّعبد والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النّعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من النّاس ، فيجوزون الحدّ .

ويزعم أهل الكتاب أنّ الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لَا تُطْفِئُوا النَّيرَانَ مِنْ بُيُوتِي » . فلذلك لا تجدد الكنائس والبيع^(١) ، وبيوت العبادات ، إلّا وهى لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتّى اتّخذت للنيران ٥٣ البيوت والسّدنة . ووقفوا عليها الغلات الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة^(٢) وقحدم^(٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكرة^(٤) ، وأمره أن يطفيء النيران ، فأراد عبد الله أن يبدأ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهى كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالبدال المهملة . والمعروف في أسمائهم : « قحدم » بالذال ، و « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفع بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور^(١) فيطْفِئُهَا ، فقيل له : ليست للمجوس نَارٌ أَعْظَمَ من نار الكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أَحَدٌ ، وإن أطفأت سافلتها استعدادوا للحَرْبِ وامتنعوا ، فأبدأ بها . فخرج إلى الكاريان فتحصَّن أهلها في القلعة . وكان رَجُلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدة ، لا يقدرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلَّ عَشِيَّةٍ بباب منزله^(٥) استخفاً وإذلاً لا ينفسه ، فغمَّ ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أَحَدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكرة^(٦) رجلٌ من عبد القيس ، من أشدَّ النَّاسِ بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديدٌ جبان . وإن أَمَرْتَهُ به خاف القتال فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلة . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مرَّ الفارسيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلاً خَلَقَ هذا ، وما في الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها ما أثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناء أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروفاً » على الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتى منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « العدولى » ، نسبة إلى عدولى بفتحيتين فسكون ففتح ، مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما تجعلون لى إن احتملته حتى أدخله الدار وأكثفه ؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تفون لى بألف ؟ قال : نعم ! فلما كان الغد مرّ الفارسي^٢ ، فقام إليه العبدى فاحتمله فما امتنع ولا قدر أن يتحرك ، حتى أدخله الدار وضرب به الأرض وثب عليه الناس فقتلوه ، وغشى على العبدى^(٣) حين قتلوه . فلما قتل أعطى أهل القلعة بأيديهم^(٤) . فقتل ابن أبى بكرة الهرايزة^(٥) ، وأطفأ النار ، ومضى يطفى النيران حتى بلغ سجستان .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوس تقدم النار فى التعظيم على الماء ، وتقدم الماء فى التعظيم على الأرض . ولا تسكاد تذكر الهواء^(٥) .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السعالى^(٦) والجن ، وهى غير نار الغيلان^(٧) . وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(٨) :

(١) س : « العبدى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرايزة : جمع هريذ ، بكسر الهاء والياء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شير بن الحارث الضبى » وضبط « شير » =

وَنَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعِيدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بها مُقَامًا^(١)
سوى تحليلٍ راحلةٍ وَعَيْنٍ أَكَالُهَا خَافَةٌ أَنْ تَنَامًا^(٢)
أَتَوْا نَارِي • فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فقالوا: الجنُّ! قلت: عَجَّوْا ظَلَامًا^(٣)
فقلت: إلى الطَّعامِ ، فقال منهم زَعِيمٌ : نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامًا^(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنضعه في موضعه إن شاء الله

تعالى^(٥) . بل الذى يقع ههنا قولُ أبى المطراب عبيد بن أيوب^(٦) :

بهية التصغير . وقال أبو الحسن في ١٢٤ : « حفظي سمير » أى بالسين . وانظر
الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء في الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث
الضبي » ومثله في اللسان (من) . ونسبه في (غير) إلى تأبط شرا .

(١) حضأت : أشعلت . هـ : « حضأت » مصحفة . والهدى ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل
والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) في شرح نوادر أبى زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها
بقدر تحلة العين » . وتحلة العين : مثل في القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل
الذى يقسم عليه المقدار الذى يبربه قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو
وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل
راحلة » أى إزالة للرحل عن ظهرها . وروى في المخصص (١ : ٩٤) الميداني (١ :
٣٢٠) مع نسبه في الأخير إلى تأبط شرا : « وغير » أكالكه خفاة أن يناما » . وفي
الخزانة عن المفضل « وغير أكالكه خفاة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ،
يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول في هذه اللغة في لسان العرب
(من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات في موضعها . انظر الحيوان
(٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بنى العنبر . كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ،
ويبايت الذئباب والأفاعى^٦ ، ويؤاكل الأطباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ - ٧٦١ .

فَلَّهِ دُرُّ الْغُولِ أَيْ رَفِيقَةٌ لِصَاحِبِ قَفْرِ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ ^(١) ١٥٤
أَرْنَتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَالِي نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ ^(٢)

(نار الاحتیال)

وما زالت السَّدَنَةُ تَحْتَالُ لِلنَّاسِ جَهَةَ النَّيْرَانِ بِأَنْوَاعِ الْحِيلِ ، كاحتیال
رُهبَانِ كَنِيسَةِ الْقُمَامَةِ ^(٣) ببيت المقدس بمصاييحها • وَأَنَّ زَيْتَ قَنَادِيلِهَا
يَسْتَوْقِدُ لَهُمْ ^(٤) من غير نَارٍ ، في بعض ليالى أعيادهم .

قال : وبمثل احتیال السَّادِنِ ^(٥) لخالد بن الوليد • حين رماه بالشَّرَرِ ؛

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . في الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسدوى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن
للباقلى ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رقيقة » أى
صاحبه ، كما في هـ والمراجع المتقدمة . وفي الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .

(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . في الأصل : « أذنت » صوابه في المراجع . ط :
« حوالى نيران » صوابه في س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسدوى ، « كانت
العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة » .
وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتقر . تزه : تضيء ، وبابه منع .
والمعنى : أنها تحبوا تارة وتشتمل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن
وتنزيل الآيات . وفي مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزه » . وفي هذا
البيت لإقواء ، فإنه مروي مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان
(٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة للقيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت في معجم البلدان
تسميتها : كنيسة القيامة ، بالضم . في الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان
(٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلاني ،
بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت ، التى يظهر منها النار في يوم السبت
الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . في الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمير ، فأرسل النبي =

ليوهمه أَنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ؛ حتى قال :

يَا عِزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(١)
حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهي النَّارُ التي تَوْقَدُ للظباء وصيدِها . لتعشى إذا أدامت
النَّظَرَ . وتجعلُ من ورائها . ويطلب بها بيضُ النِّعَامِ في أفاحيصها ومكِنَّاتها^(٢) .
ولذلك قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا نِيمَ حَوْلٍ مُجَرَّمٍ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ بِقَفْرَةٍ أَغْنَى مِنَ الْخُنُوسِ الْمُنَاخِرِ تَوَامٍ^(٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعصدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم في الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والعزى ، في لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى في المختصر (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكنتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمكنت : الأمكنة ومنه
الحديث : « أقروا الطير على مكنتها » . انظر التفصيل في لسان العرب (مكن) .
قال الزنجشیری : « ويروى : مُكْنَتَاهَا ، جمع مُكْنٍ . ومُكْنٌ : جمع مكان
كصُعْدَاتٍ فِي صُعْدٍ ، وَحُمَرَاتٍ فِي حُمْرٍ » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه في ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه في ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدُون النَّيِّرَانَ يَهْوَلُونَ بِهَا عَلَى الْأَسَدِ إِذَا خَافُوهَا . وَالْأَسَدُ إِذَا عَايَنَ النَّارَ حَدَقَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَشْغَلُهُ عَنِ السَّابِلَةِ (١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثَعْلَبٍ (٢) الْأَعْرَجُ ، عَلَى وَادِي السَّبَّاعِ ، فَعَرَضَ لَهُ سَبْعٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمُكَارِي : لَوْ أَمَرْتُ غِلْمَانَكَ فَأَوْقَدُوا نَارًا ، وَضَرَبُوا عَلَى الطَّسَّاسِ (٣) ! ففعلوا فأحجمَ عنها (٤) . فَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، فِي حَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّارِ ، وَمَدَحِهِ لَهَا وَلِلصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِهِ لَهُمَا (٥) وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَأَحْبَبْتُهَا (٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلَاطَهَا وَلَوْ فِي صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَصِرْتُ أَلَذَّ الصَّوْتِ لَوْ كَانَ صَاعِقًا وَأَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ الْحِمَارِ الْمَرْقَمِ (٧)
وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ ، فَأَصَابَ نَارًا ، فَدَنَا مِنْهَا لِيَصْطَلِيَ بِهَا (٨) ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْ نِيهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ !

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي الثعلبي هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو ثعلب » . وجاء في الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من المرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ما جاء في نهاية مادة (ا ي ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في س ، هـ و ثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشي بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلي منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أَبْصَرَ النَّارَ اعْتَرَتْهُ الْحِيرَةُ ، الضَّفْدَعُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْقُ
فَإِذَا أَبْصَرَ النَّارَ سَكَتَ .

(نار الحباحب)

ومن النيران « نار الحباحب ^(١) » وهى أيضاً « نار أبى الحباحب » .
وقال أبو حية :

تَعَسَّرَ فِي تَغْرِيبِهِ فَإِذَا انْحَنَى عَلَيْهِمْ فِي قَفٍّ أَرْنَتْ جُنَادِلَهُ ^(٢)
وَأَوْقَدَ نِيرَانَ الْحَبَابِ وَالتَّقَى عَصَى تَرَاقَى بَيْنَهُمْ وَلَوْلَهُ ^(٣) ١٥٥

وقال القطامي في نار أبى الحباحب :

تُخَوِّدُ تَحْوِيدَ النَّعَامَةِ بَعْدَ مَا تَصَوَّبَتِ الْجُوزَاءُ قَصْدَ الْمَغَارِبِ ^(٤)

(١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) في الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، هـ : « أرنت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها في بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفي الأصل : « عصا » صوابه في تنزيل الآيات ٩٣ . تتراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ، جمع ولولة .

(٤) خود البعير والظلم : أسرع واهتز في مشيه . وفي الأصل ، وهو هنا ط ، هـ ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٣٥ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر آباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شيء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوت » صوابه في هـ والمرجعين السابقين . وفي الأصل : « قصر » صوابه في الديوان والأمالى .

ألا إنما نيران قيس إذا اشتوت لطارق ليل مثل نار الحباب^(١)
ويصفون ناراً أخرى ، وهي قريبة من نار أبي الحباب . وكل نار
تراها العين لا حقيقة لها عند التماسها ، فهي نار أبي الحباب . ولم أسمع
في أبي حباب نفسه شيئاً^(٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابي ، وذَكَرَ البرق :

نَارٌ تُعَوِّدُ بِهِ لِلْعُودِ جِدَّتُهُ وَالنَّارُ تُشْعِلُ نِيرَانًا فَتَحْتَرِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من
الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨)
واللسان (حجب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) .
وأما « استوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه
الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتوا » . وقيس تؤنث
باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا اشتوا » أى أقاموا شواء . وهي رواية
جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف .
وهو قد حجا قيس عيلان ؛ لأنه مر في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس
فاستقراها — أى طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتون القدم من الجوع .
قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها
بأشرف ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة
(٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حجب) إلى النابغة .
وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ما قال أبو حنيفة : « لا يعرف حباب ولا
أبو حباب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئاً » . اسكن جاء في المخصص (١١ :
٢٨) نقلاً عن صاحب العين : « كان أبو حباب رجلاً من محارب خصفة .
وكان بجيلاً لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد :
« لثلاثى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباب فضرب بناره المثل ؛ لأنه
كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرق العِيدانَ وتَبْطُلُها وتَهْلِكُها ،
إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تَجِيءُ بالغَيْثِ . وإذا غِيْثَ^(١) الأرضُ ومُطِرَتْ
أَحَدَثَ اللهُ للعِيدانِ جِدَّةً ، وللأشجارِ أَغْصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شبيهةٌ بنار البرق ، ونارٌ أبى جابح ، وهي
« نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إن طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ،
وإن طار بالليل كان كأنَّه شهابٌ قُذِفَ^(٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء بروية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرة المذكورة في الكتب ، أنَّ رجلاً أُلْقِيَ في ماءٍ
راكِدٍ^(٣) في شتاءٍ باردٍ ، في ليلةٍ من الخنَادِسِ^(٤) ، لا قمر ولا ساهور^(٥) -
وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلةَ العَشرِ^(٦) والبدر والطوق الذي يستدير حول
القمر ، يكون كاسِراً^(٧) من برْد تلك الليلة - قالوا : فما زال الرجلُ حيًّا

= أبا جابح وجابحاً اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها
أنها شررة طارت من نار .

(١) غِيْثَ الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غِيْثَ »
صوابه في س .

(٢) أى الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفي الكتاب : « إلا من
خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « بارداً » .

(٤) الخنَادِس : ثلاث ليالٍ من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقي من الشهر .

(٦) أى العشر الليالي . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما في ط .

(٧) كاسراً : أى مضعفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالذال ، صوابه في س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تَجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباح . فلما طَفِئَتْ انْتَفَضَ^(٢) .

(نار الخلعاء والهَرَّاب)

وقال الشاعر :

ونارِ قَبِيلِ الصُّبْحِ بَادَرْتُ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدْتُهَا لِلْمُسَافِرِ^(٣)

يقول : بَادَرْتُ اللَّيْلَ ، لِأَنَّ النَّارَ لَا تُرَى بِالنَّهَارِ ، كَأَنَّهُ كَانَ خَلِيعاً أو مطلوباً^(٤) :

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٌ لَا يَتَقَبُّ النَّارَ سَفَرُهَا وَتَضْحِي بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ لَهِيدٌ^(٥)

كَأَنَّهُمْ كَانُوا هُرَّاباً ، فَمِنْ^(٦) حَتَمِ السَّيْرِ لَا يُوقِدُونَ لِبُرْمَةٍ وَلَا مَلَّةٍ ؛

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « بارد » ، وإذا يفسد المعنى ، ووجه ما أثبت .

(٢) طفتت النار ، كسمع ، طفوا : ذهب لهما ، كانطفت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفي الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (١٨ : ٢٣٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا للنار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، ه : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . في الأصل : « نهيد » بالنون ، وبلا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فجاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، ه .

لأن ذلك لا يكون إلا بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبسيصة^(١) ،
أو بأدنى عُلقة^(٢) . وقال بعضُ اللصوص^(٣) :

ملساً بنودِ الحَدَسِيِّ مَلْسًا^(٤) نَبَّهْتُ عَنْهُنَّ غَلَامًا غُسًّا^(٥)
لَمَّا تَغَشَّى فَرْوَةً وَحِلْسًا^(٦) مِنْ غُدُوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَا^(٧)
بِالْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ تُسَكْسِي وَرَسَا لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَبُسَا بَسَا^(٨)

١٥٦

(١) البسيصة : بالفتح ، سيفسرها الجاحظ . يقال بس البسيصة : صنعها . ط ، س « بالبسيصة » .
هـ : « بالبيصة » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بس) .

(٢) العُلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو المفهوان العقيلي ، أحد بنى المنتقق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والنود ، بالفتح ، جماعة الإبل . والحدسي

يعني الرجل الحدسي الذي سرقوا إبله . والحدسي ، بالتحريك : نسبة إلى بني

حدس ، حتى من الين . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود

الحى مئى » س : « يرود الحى مئى » صوابها في اللسان (حدس) ومعجم

المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بنود

الجلسى » محرف .

(٥) عَنْهُنَّ : أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضميف اللثيم . وفي الأصل : « قاسا »

صوابه من نواذر أبى زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزبانى : « جيسا » . والجيس ،

بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تَغَشَّى الشيء : تغطى به . والجلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .

وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير

تحت القتب .

(٧) مثاه في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى

وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة

بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تسكاسا »

س ، هـ : « تسكسا » صوابه في معجم المرزبانى ونواذر أبى زيد ١١ . ورواية المخصص

ونواذر أبى زيد : « تطل ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد

سبق في (٣ : ٨٨) —

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتختزا فتبطلتا =

ولا تُطِيلَا بِمُخَارِ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَبَسًا^(١)
قال : والبَسِيْسَةُ^(٢) . أن يبلّ الدَّقِيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسم^(٣) والميسم^(٤) » يقال للرجل : ما نار
لبلبك ؟ فيقول عِلَاط^(٥) ، أو خَبَاط^(٥) أو حَلَقَة^(٦) أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرب بعضُ اللّصوص لبلاً من الهواشة^(٧) ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما - فى الأصل : موضعهما - واقتصر على الإيساس وهو الحلب
وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبي : « لا تَحْبِزْ أَخْبِزْاً وَنَسّاً نَسّاً » وهى إحدى
روايتى ابن سيدة فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر
الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى :
« لا تَحْبِزْ أَخْبِزاً وَبَسّاً بَسّاً ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء
فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيْسَةُ ، بالفتح . والمراد عمل البسيْسَةِ . وفى الأصل : « البسيْسَةُ » تحريف .

(٣) الوسم : التعلّم على الإبل بالميسم ، وهو المسكواة .

(٤) العِلَاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسَطَاع بالطول . وربما كان العِلَاط
خطأ ، وربما كان خطين أو خطوطاً فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبني سعد .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » .
س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س
« جلفة » صوابه فى هـ . وانظر باباً مفصلاً فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ :

١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وَجَمَعَهَا مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى ، فَقَرَّبَهَا إِلَى بَعْضِ الْأَسْوَاقِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
التَّجَّارِ : مَا نَارُكَ ؟ وَإِنَّمَا يُسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِمِيسَمِ كُلِّ قَوْمٍ كَرَمَ
إِبْلِهِمْ مِنْ لَوْمِهَا . فَقَالَ :

تَسَأَلُنِي الْبَيَّاعَةَ مَا نِجَارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَتِ أَبْصَارُهَا^(١)
فَكُلُّ دَارٍ لِلنَّاسِ دَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
وقال الكردوس المرادى^(٢) :

تسألني عن نارها ونتاجها وذلك علم لا يحيط به الطَّمَشُ^(٣)
والطَّمَشُ^(٤) : الْخَلْقُ . وَالْوَرَى^(٥) : النَّاسُ خَاصَّةً .

تَمَّ الْمَصْحَفُ^(٦) الرَّابِعُ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَ ، وَيَلِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
الْمَصْحَفُ الْخَامِسُ . وَأَوَّلُهُ . نَبْدًا فِي [هَذَا] الْجُزْءِ بِتِمَامِ الْقَوْلِ فِي نِيرَانِ الْعَجَمِ
وَالْعَرَبِ ، وَنِيرَانِ الدِّيَّانَةِ ، وَمَبْلَغِ أَقْدَارِهَا .

= مِنْ هُنَا وَهُنَا . لِسَانِ الْعَرَبِ . وَفِيهِ : « وَالْهَوَاشَاتُ ، بِالضَّمِّ : الْجَمَاعَاتُ مِنَ النَّاسِ

وَمِنَ الْإِبِلِ ، إِذَا جَمَعُوها فَاخْتَلَطَ بِمِزْجِهَا بِمِزْجِ . وَفِي الْأَصْلِ : « النَّوَاسَةُ » مُحْرَفٌ .

(١) زَعَزَعُوهَا : سَاقَوْهَا سَوَاقًا شَدِيدًا . وَفِي الْخَزَائِنَةِ (٣ : ٢١٣ بُولَاق) : « إِذْ

زَعَزَعْتَهَا » أَيْ زَعَزَعْتَهَا الْبَاعَةَ . وَانْظُرْ رِوَايَةَ الرَّجْزِ فِي الْخَزَائِنَةِ ، وَأَمْثَالَ الْمِيدَانِ

(٢ : ٧٤) وَمُحَاضِرَاتِ الرَّاغِبِ (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « الْمَرَارَى » .

(٣) الطَّمَشُ ، بِالْفَتْحِ ، سَيْفَسِر . وَفِي ط : « الطَّمَسُ » بِالسِّينِ ، صَوَابُهُ فِي

س ، هـ .

(٤) ط : « الطَّمَسُ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ السَّابِقَ .

(٥) ط ، هـ : « الْوَدَى » ، صَوَابُهُ بِالرَّاءِ كَمَا فِي س .

(٦) ط فَقَطْ : « تَمَّ هَذَا الْمَصْحَفُ » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

- ٢٧ ١ كلمة « الشُّبُّور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبريّة (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى ك رأس السنّة . والعيد الأكبر : (عيد الصَّيَّام) .
- ٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم بيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عائمتهم أنَّه لا يَرُأسُ حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغُ أيديه ركبتيه إذا مدَّهما . قلت : وهو بالعبريّة : (גולית) : رُوش جالوَيُوت .
- ٨٩ ٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعضُ من ألف في الصحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يَتَّبْ ، فقتله على كُفْرِهِ ورِدَّتِهِ . والنواحة : الكثيرة النوح .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول
العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه
(٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون :
ضربتني . فيلحقون الياء » .

٩ « ربطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة
عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم يَنْجُ من بنى
المغيرة فى طاعون عمواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن
حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول
المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول .
وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ
١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعاتى لشروحك
القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع
فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك
« الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل .
فإذا تنازلت فىنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب
بالفارسية : أرثدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال)
وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بحيم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أرْ دِهَاء » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أرْدِهَار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أرْ دِهَاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلاً كريماً . . . » .

١٧٤ ٤ روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أنَّ فى العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فنقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواءً على قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهدى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواءً عليهم أنذرتهم »

أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ لإمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرة أخرى في ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٨ ٢٠٣ « الحَلَّاءُ بِاقِرَّة » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

فَهَلْ كُنْتُ إِلَّا نَائِبًا إِذْ دَعَوْتَنِي

مُنَادَى عَيْبِدَانَ الْحَلَّاءِ بِاقِرَّة

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

ش ١٠ ٢١٨ « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمي من الذكور بأسماء الإناث ، في جمع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ، وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

٣ ٢٢١ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨٠) .

١٥ ٢٢٢ ولادة الدَّسَّاس ، ثبت علمياً أن الدَّسَّاس وأنواعاً أخرى من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية، ص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

٨ ٢٤٣ « دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها .
٧ ٢٧٠ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاهى
تكشُّ خلا الأسود ، فإنه يصفر وينسج وينسج . ونسج ،
يقال من بابى منع وضرب .

١١ ٣٢٣ « وكنت كالحيق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى »
وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد والتنقيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا قآب وماله أذنان » اهـ
وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا قآب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا
العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني — عند قولهم :
« كطالب القرن جدعت أذنه » — :

مثل النعامة كانت وهي سائمة
أذناء حتى زهاها الحنين والجنن
جاءت لتشرى قرناً أو تعوضه
والدهر فيه رباح البيع والغبن
فقبل أذناك ظلم ثممت اصطلمت
إلى الصماخ ، فلا قرن ولا أذن
والجنن ، بضميتين : الجنون ، كما في اللسان (جنن ٢٤٩)
عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسي في نحوها » . ومما يستشهد به على تشبيهه
الإبل المهزولة بالقسي ، قول البحتری — (انظر معاهد التنصيص
١ : ٢١٦) — :

كالقسي المعطّفات بل الأنة هم مبريّة بل الأوتار
وقول الشريف :

خوص كأمثال القسي نواحلاً وإذا سمّا خطبُ فهن سِهامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .
ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصد

ولا خفرا زادت به حمرة الحد

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (٢٧٧ : ١) :

وتلقى نواصيا المنايا مشيخة ورود قطا صم تشايخن في ورد
وكلمة « تشايخن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

١ ٤٠٨ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة
يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ؛
لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفىء البرق » .

١ ٤١٣ خلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خلُق . بمعنى
خُلِقَ .

٢ ٤٢٧ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه
« أربعين يوما » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحى الحجر ، لوحى
العهد الذى قطعه الرب معكم ، أقمت في الجبل أربعين يوماً ،
وأربعين ليلة ، لا آكل خُبْزاً ولا أشرب ماء » .

١ ٤٣٢ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى فى أصلها :
(פסח) وتنطق : پيسَح . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .
والعلة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ما جاء فى سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

للب الذي عَبَرَ عن بيوت بني إسرائيل في مصر ، لما ضرب
المصريين وخلص بيوتنا » . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وحدهم بالضرب ، متجاوزاً بيوت بني إسرائيل
لم يمسه بسوء . والضربة التي تشير إليها التوراة ، هي أن الله
قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكل بكر من حيوانهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هي في النص
العبري للتوراة : [עבר] بآسآخ . وهذا هو الفعل العبري
الذي أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعندهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها
عربية للملاءمة نسجها للنسج العربي ، وهي ليست من ذلك .

نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما في القاموس
والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمرود بذال معجمة في آخره
كما في كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى

وبك استعنتُ على الزَّمان المودى

مَالِي بَعَثَ إِلَى أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثَ وَاحِدَةً عَلَى نَمْرُودِ

انظر شرح القاموس .

٢ ٤٥٦ « يا أحمَدَ المرتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيَّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين لإجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بـ ابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بـ أي صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر هـ مع الهوامع (١: ١٧٦) .

٧ ٤٨٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سينه في المخصص (٩: ١٠٢) وافظ الرواية فيه .

مصر الجديدة في } أول صفر سنة ١٣٨٦
٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦ }

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

- ٥ القول في الذرة والنمل
٣٦ باب جملة القول في القرد والخنزير
٦٠ رجع القول إلى ذكر الخنزير
١٠٧ القول في الحيات
١٢٠ ومن أعاجيب الحيات
٢٣٢ أصوات خشاش الأرض
٢٣٣ باب من ضرب المثل للرجل للداهية وللحى الممتنع بالحية
٢٩٢ ماجاء في الحديث من الجهات
٣١٠ جملة القول في الظليم
٣٢٠ باب آخر وهو أعجب من الأول
٣٣٥ القول فيما اشتق له من البيض اسم
٤٦١ القول في النيران
٤٦٣ باب آخر
-